جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الجن في الشعر الجاهلي

إعداد الطالبة
حليمة خالد رشيد صالح

إشراف
د. إحسان الديك

قدمت هذه الاطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية – نابلس – فلسطين.

1426هـ - 2005م



الجن في الشعر الجاهلي

إعداد

حليمة خالد رشيد صالح

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ :13/ 06/ 2005م واجيزت

أعضاء اللجنة	التوقيع
1. د. احسان الديك/ مشرفا ورئيسا	....
2. أ. د. ابراهيم الخواجه/ ممتحنا داخليا	....
3. أ. د. كمال حامد الديب/ ممتحنا خارجيا	....

الإهداء

إلى الأرواح الطاهرة التي رفرفت فوق فكري بأجنحة ملائكية، فوجّهــت، وحــدّدت وأغنت، وشجعت، فصنعت.....إلى تلك الأرواح الباقية بيننا إلى الأبد، روح والــديَّ وأجدادي -رحمهم الله-، وأسكنهم فسيح جنّاته، الذين غرسوا في قلبي الإنســانية، وحبَّ العلم والمعرفة....

إلى تلك الزهرة التي ذبلت وما زالت رائحتها تعطّر أنفاسنا، الطفلة "آمنة".

إلى من رسموا لي دربي؛ لتحقيق أمنياتي، إخواني وفلذات أكبــادهم....الــذين كانوا بمثابة الشعاع الذي أنار لي الدّرب، رغم ما فيه من ظلام...

إلى عماتي وخالتي اللواتي لم يبخلن عليّ بدعواتهن.

إلى رفيقة دربي .... أختي الغالية(خضرة) التي منحتني العزم والقوّة.

إلى بنات إخوتي وأخص (زاهرة وفاطمة) اللتين كانتا ملاذي الوحيــد فــي ســاعة عسرتي.

إلى أستاذي الفاضل الدكتور إحسان الديك الذي كان وما يزال مثــالي وقــدوتي في الصبر، وسعة الصدر.

إلى زميلاتي وطالباتي في مدارس قباطية وعقابا.

إلى الأستاذ الفاضل أمين حنايشة ....الذي ضرب لي مثلاً في النبل والإنسانية

إلى الذين رووا بدمائهم تراب فلسطين؛ ليرسموا بدمائهم خارطة الوطن .

إلى كل عاشق للغة العربية ومحبٍّ لها.

إلى أسرانا البواسل في سجون الاحتلال.

إلى كل من كان قريباً منّي، بدعواته وتوجيهاته أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وَبعد..

فإنّي أتوجّه بالشكر والثناء لله تعالى الذي وهبني القوّة والقدرة والصبر، وأعانني على تخطّي المخاطر والصعاب.

وأتوجّه بالشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور "**إحسان الديك**" الذي أوحى إليّ بفكرة هذا البحث، وزودّني بعلمه الوافر، ورفدني بالنصح والإرشاد.

كما وأتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية، وإلى كلّ من أسْدى ليَ نصحاً أو عوناً لاستكمال هذا البحث.

كما وأتوجّه بالشكر والتقدير لأعضاء مكتبة جامعة النجاح الوطنية، ولأعضاء مكتبة بلدية جنين، وللأستاذ الفاضل "أمين حنايشة"؛ لما قدّموه لي من مساعدة ودعم.

وفي النهاية، أتوجّه بالشكر والعرفان إلى عضوي لجنة المناقشة اللذين سيكسِبان هذا البحث قيمةً أخرى بآرائهما وتوجيهاتهما السديدة.

جزاكم الله عني كلّ الخير وحسن الجزاء.

فهرس الموضوعات

الجن في الشعر الجاهلي

إعداد

حليمة خالد رشيد صالح

إشراف

د. إحسان الديك

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع الجن في الشعر الجاهلي، وتكمن أهمية دراسة هذا الموضوع، في أنه يكشف عن جوانب من فكر الإنسان الجاهلي، الذي يعدُّ جزءاً من فكر الإنسان العربي القديم والحديث، وعن تشابه الأساطير الأساسية لدى شعوب العالم القديم، وتداخلها وانعكاسها في الأدب، كما يبين أصل هذه الأساطير والخرافات، وقدرة الشاعر الجاهلي على توظيف هواجسه وخيالاته في شعره.

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وستة فصول وخاتمة.

عرضت في الفصل الأول إلى الجن في الموروث القديم (الإنساني والعربي)، وتوصلت إلى أنه كان للجن مكانة عالية لدى تلك الأمم؛ لأنهم نظروا إليها نظرة ملؤها التقديس والرهبة والرغبة، فنسبوا إليها كل ما يلاحظونه من ظواهر طبيعية، وما يلحق بهم من مرض وغيره، في ظل غياب القانون الإلهي والعلمي. كما احتلت الجن مكانة هامة على مستوى الديانات (المسيحية واليهودية)، إذ نسبوا إليها قضية السقوط، وما ترتب عليها من شرور ومتاعب، وخلطوا بينها وبين آلهتهم.

وعرضت في المبحث الثاني نظرة العرب الجاهليين إلى الجن، وما كانوا يمارسونه من الطقوس والشعائر؛ لنيل رضاها، والتقرب منها، وكفِّ أذاها، وأثبتُّ من خلاله حلقة التواصل الفكري والثقافي الإنساني بين الشعوب المختلفة.

وخصصت الفصل الثاني للحديث عن المفهوم اللغوي والاصطلاحي، وبينت ما يحمله كل منهما من معاني التستر والاختفاء، مدعّمة بآراء كثير من المؤرخين، ثم تناولت أصناف الجن ومراتبها، ولاحظت أنها تشكل عالماً مماثل لعالم الإنس، من حيث البناء التشكيلي

والطبقي، وتحدثت عن أشكالها وصورها وتشكلاتها، التي عكست تلك العقلية البدائية الساذجة التي نسجت هذه الأوهام والمزاعم.

أما الفصل الثالث، فقد بدأته بالحديث عن علاقة الجن بالإنسان، من خلال ما ورد في الشعر الجاهلي، بدءاً بصراع الجن والإنسان، ومروراً بتسخير الإنس للجن، ومحاولته التقرُّب إليها بكل الوسائل، ثم عرضت لإمكانية التزاوج بين الجن والإنس، وما نجم عن تلك العلاقات من نتاج مركب، وانتقلت إلى ما لعبته الشياطين من دورٍ في عملية الإبداع الشعري، وفي السحر والكهانة، ودور كل من الساحر والكاهن وعلاقتهم بالجن.

وفي الفصل الرابع تحدثت عن علاقة الجن بالحيوان، واتخاذها من بعض هذه الحيوانات مطايا لها، وما نجم عن ذلك من تقديس الجاهليين لتلك الحيوانات، وإمكانية تشكّل الجن، وتقمصها لأشكال بعض الحيوانات، وما يتبع ذلك من شعائر وطقوس كالتنفير، وتعليق كعب الأرنب وغيرها.

ثم انتقلت في الفصل الخامس إلى الحديث عن أماكن تواجد الجن والغيلان، وعرضت إلى أثر الصحراء في نفس الإنسان الجاهلي وعقليته، ومدى انعكاس ذلك الأثر على هواجسه وخيالاته، مما دفعه إلى خلق هذه الأوهام، وتخيل هذه الكائنات.

ووقفت عند علاقتها بالآبار والجبال والأودية، ونظرة العرب إلى تلك الأماكن، وما ترتب على ذلك من تقديسها، والخوف من اختراقها، وبيّنت أثر الخرافات والأساطير، والمعتقدات والديانات القديمة في ذلك.

وفي الفصل السادس توقفت عند مفهوم الصورة الشعرية وأبعادها، وانتقلت إلى الحديث عن أبعاد ودلالات صورة الجن في الشعر الجاهلي، بدءاً بالبعد الميثولوجي، وما ينطوي تحته من أمور دينية، أثبت من خلالها قدرة الشاعر الجاهلي على استقاء مادته من أصول ميثولوجية، وتاريخية ودينية. ثم البعد الاجتماعي الذي توصلت من خلاله إلى محاولة الشاعر الجاهلي إقامة علاقات اجتماعية متنوعة مع هذه المخلوقات، وتحدثت في البعد النفسي

عن الأثر الذي أثارته الجن في نفوس الجاهليين من رهبـــة وخـــوف، وتقـــديس وإعجـــاب، وعرضت في الخاتمة لأهم النتائج التي وصل إليها البحث.

المقدمة

لقد استهوتني فكرة البحث، رغم ما فيها من مخاوف ومخاطر ومصاعب؛ ربما لما فيها من إثارة وتشويق، فالاعتقاد بوجود الجن، وما يتعلق به موغل في القدم، ومعاصر لكثير من معتقداتنا وسلوكنا، وحقيقة راسخة في عقيدتنا الروحية، لا تقبل جدلاً، ولكن الاعتقاد بالمسميات المحسوسة والغيبيات، يداخله كثير من الإضافات والانحرافات، وينسج خيال الناس حولها حكايات وتصورات مع مرور الزمن، مما يقتضي الوقوف على الأصول الأولى للمعتقد، وهي عملية ليست يسيرة.

ومن دواعي البحث ومبرراته، إضافة إلى غرابة موضوعه وجدته؛ أنّ الموضوع لم ينل من الدراسة حظاً وافراً، ولم يحظ بدراسة سابقة شاملة ومتخصصة من هذا النوع، وإنما اقتصرت الدراسات السابقة على بعض الدراسات النظرية التقليدية المبعثرة في ثنايا الكتب التراثية القديمة وكتب الأساطير.

ويسعى البحث إلى تنقية الفكر مما علق به من شوائب، وتهذيبه مما طرأ عليه من إضافات، وإلى إعادة الأصالة والعذرية له؛ لما لج فيه الناس، واختلفوا حوله، وإلى تجاوز الطريقة التقليدية في دراسة الشعر، وتتبع تأثير الفكر في الشعر، فيما يتعلق بالجن والرموز، والدلالات التي استخدمت لها، وإثبات علاقة الفكر بالشعر.

وما يميز الموضوع أنه يتمتع بقيمة أدبية ومعرفية، تكشف بطريقة مباشرة زيف كثير من معتقداتنا عن الجن في الوقت الحاضر، ويثبت أن الفكر المعاصر امتداد وتواصل للفكر الإنساني البدائي، وذلك بناءً على مفهوم اللاشعور الجمعي، إلاّ أنه تواصل يتعرض للتغيير والتحوير، مع المحافظة على البذور الأولى لذلك المعتقد.

كما أنه يتناول موضوع (الجن) تناولاً شاملاً ومفصلاً على مستوى الشعر الجاهلي، معتمداً على الموروث القديم في الأساطير العالمية والتوراة والإنجيل وعند العرب.

واعتمدتُ على المنهج التكاملي؛ فأخذت من المنهج التاريخي والوصفي والاجتماعي والنفسي، واتكأت كثيراً على المنهج الأسطوري؛ بغيةَ الكشف عن الصلَّة بين النتاج الشعري والطقوس الشعائرية البدائية.

وقد استعنت بالمصادر التاريخية للتزود بأخبار العرب ومعتقداتهم، ووجدت في دواوين الشعراء، وما تفرّق من أشعارهم زاداً لا ينفد، ومعيناً لا ينضب، وكان اعتمادي على المصادر العربية القديمة كلسان العرب، والحيوان، وحياة الحيوان الكبرى، و الأصمعيات، والمفضليات، والأغاني، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ومن المراجع ما كان مهماً مثل بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، وبعض الكتب التي تتحدث في أساطير الشعوب القديمة، بدءاً بـ لغز عشتار، وكتب الماجدي وخاصة بخور الآلهة، وانتهاء بكتب الأساطير العربية، أشهرها أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، والأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، وغيرها.

ثم تتبعت الدراسات النقدية والأدبية الحديثة التي اعتنت بجزئيات عن موضوع الجن، أهمها الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، والصورة في الشعر العربي حتى نهاية آخر القرن الثاني الهجري، ولاحقت قدر المستطاع ما كتبه النقاد في الدوريات.

وقسمت الموضوع إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة.

أما **الفصل الأول** فقد تناولت فيه " الجن في الموروث القديم"، وقسمته إلى مبحثين، تناولت في الأول الجن في الموروث الإنساني " بدءاً بالسومريين، ومروراً بالبابليين والكنعانيين، والمصريين القدماء، واليونانيين والعبريين، وانتهاء بالإنجيل، وفي المبحث الثاني " الجن في الموروث الجاهلي عند العرب" وبينت مدى تأثرهم بالأمم السابقة في معتقداتهم وطقوسهم، وعلاقتهم بالجن.

وتناولت في **الفصل الثاني** المفهوم اللغوي والاصطلاحي للجن، وبينت علاقة كل منهما بالآخر، وعرضت لأصناف الجن، وتشكلاتها وأشكالها، وتحدثت عن أنواعها، وقوفاً عند إبليس والشيطان والغول والرئي، وأبرز ملامح كل منها.

أما **الفصل الثالث** فقد وقفت فيه على مواطن الجن في الشعر الجاهلي من حيث علاقتها بالإنسان، بدءاً بالصراع بين الجن والإنسان، والوقاية من الجن، والاستعانة بها،ثم الاستعاذة منها، ومروراً بالعلاقات الإيجابية بينهما من حيث زواج الإنس من الجن، والجن من الإنس، وتسخير الإنس للجن، ثم مكافأة الجن للإنس والإنس للجن.

وختمت الفصل بالحديث عن قضية الإلهام في الشعر، ودور الجن والشياطين فيها، والعلاقة اللغوية بين أسماء شياطين الشعراء، وما استقرت عليه أذهان العرب عن الجن، ثم انتقلت إلى الحديث عن السحر، وعن الكهانة والجن، والعلاقة بينهما من خلال الحديث عن الشعر وبدايته، وصلة الجن بالكاهن.

وقد عرضت في **الفصل الرابع** علاقة الجن بالحيوان، فتحدثت عن مطايا الجن وتشكلاته، بدءاً بالجن والكلب الأسود، ثم الجن والإبل، وَمِن ثم الجن والخيل، وَ وَقَفت مليّاً عند الجن والحية؛ لما لها من حضور بارز في عالم الجن، و في عقلية الجاهليين، وأخيراً عرضت إلى علاقة الجنَّ بالغزال، والجنَّ بالطير، متحدثةً عن الطيرة، وبعض المعتقدات المتعلقة بها.

ثم عرضت في الفصل **الخامس** إلى الجن والطبيعة، وخاصة أماكن تواجدها وتخيلها، فبدأت بعلاقة الجن بالصحاري، ثم الجن والشجر، معلّلة تقديس العرب لبعض الأشجار، ونظرتهم إليها، ثم الجن والآبار والأودية، ونظرة العرب إليها، وتقديسهم لها، وبعض المعتقدات والطقوس المتعلقة بكل منها، كل ذلك من خلال استقراء ما وردَ في الشعر الجاهلي. وقصرت **الفصل الأخير** على ماهية الصورة وأبعادها، ودلالاتها، ثم انتقلت إلى أبعاد ودلالات صورة الجن في الشعر الجاهلي، بدءاً بالبعد المثيولوجي، ثم البعد الاجتماعي فالنفسي.

يلـي ذلـك **خاتمــة** اشـتملت علـى النتـائج التـي خلـص إليهـا البحـث، وإن كنـت لا أخفـي الصـعوبات التـي واجهتنـي فـي عمليـة البحـث والدراسـة، ومـن أهمهـا تنـاثر المـادة فـي مصــادر ومراجع عديدة، إذ لم تكن أكثر من ملاحظات سريعة، يتطلب الحصول عليها الجهد المضـني، فلـم يحظ موضوع ذكر الجن والشياطين في الشـعر العربـي، وبخاصـة الجـاهلي بالـذكر والتوسّـع، كمـا حظي غيره من الموضوعات الأخرى.

ولا أدّعي الكمال لبحثي هذا؛ لأن الكمـال لله وحـده، وحسـبي أننـي اجتهدت، وأنّهـا خطـوة على الطريق، عسى أن تتبعها خطوات تكمل ما اعتراه من نقص أو خلل. ولا بـد مـن الإشـارة إلـى شعوري باللذة والاستمتاع كثيراً في مادة البحث، ويرجع الفضـل فـي ذلـك لله تعـالى الـذي أعـانني، كما وأعترف بفضل أستاذي الكريم الأستاذ **الدكتور إحسـان الـديك** الـذي لـم يبخـل علـيّ بوقتـه، ولا بنصحه وتوجيهاته، وساندني خطوة خطوة، فجزاه الله عني كل خير.

الفصل الأول

الجن في الموروث القديم

المبحث الأول: الجن في الموروث الإنساني القديم

المبحث الثاني: الجن في الموروث العربي القديم

المبحث الأول

الجن في الموروث الإنساني القديم

منذ أن حطَّ الإنسان على سطح الأرض، أخذ يتأمل ظواهر الطبيعة، ومن خلال صراعه معها، أحسّ بأن في تلك الظواهر قوى خفية، أو أرواحاً تسبب أصواتاً، وحركات غريبة، كهبوب الريح والعواصف، وحدوث البرق، والرعد وهطول الأمطار، وحدوث الفيضان، فحاول التوصّل إلى مصدرها، الأمر الذي دفعه إلى ربطها بغريزة دينية عظمى، وقد عزا إلى هذه القوى جميع مظاهر التجدد والعطاء، ثم ما لبث أن ربط هذه القوى بكائنات غيبية أو خفية، قادرة على التشكل في هيئات متعددة، سيطرت على مشاعره، فرسم لها صوراً مثيرة مرعبة، ممزوجة بصور من واقعه.

وقد لاحظ إنسان ما قبل التاريخ أنّ هناك قوة خارقة تحلّ فيما حوله، وتصوّر عالماً من الأرواح، يجهل طبعها وغاياتها، ونسب إليها كل ما يلحق به من الأذى والضرر، واعتقد أن بقدرتها دفع هذا الأذى عنه، فراح يتوسّل إليها بإقامة الطقوس؛ لدرء أذاها أو لتسخيرها له، وقد عمل على استرضائها، واجتلابها في صفه لمعونته[1]، يتولى ذلك أشخاص يمتلكون قوة خارقة، ولهم القدرة على التأثير فيها، فسخّروها لأعمال كثيرة كالصيد واستنزال المطر، والشفاء من بعض الأمراض، ومواجهة الكوارث، وحلّ النزاعات[2]، فهي تمثل بالنسبة إليهم صورة الإله الذي بيده الخير والشرّ، ثم ما لبث هذا الإنسان أن أخذ يتصورها ويتخيلها بأشكال حيوانية وشيطانية متعددة، فبدت بأشكال بدينة مترهلة، مبالغاً في حجمها، وبخاصة في مناطق الأعضاء الجنسية، عديمة الملامح من ناحية الوجه[3].

---

[1] – الماجدي، خزعل: **أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ**– ط1– دار الشروق، عمان، 1997، ص64، ديورانت، ول، وايزيل،: قصة الحضارة **(نشأة الحضارة في الشرق الأدنى)**، بيروت، تونس، تقديم محي الدين صابر، ترجمة نجيب محمود، د.ت، 110/1.

[2] – الماجدي: **أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ**، ص64.

[3] –المرجع نفسه، ص122.

وقد أوحت هذه الصور بأفكار كثيرة منها، وجود أنواع شاذّة من المخلوقات التي اتخذت صفة الإنسان، يؤكد ذلك ما وَرَد في قصة الكاهن البابلي(برغوشا) التي كتبها عن تأملاته في فترة ما قبل التاريخ، وجاء فيها "وقد ظهر رجال مزودون بجناحين.... وكان لبعضهم أربعة أجنحة ووجهان، وللبعض الأخر جسد واحد ورأسان، رأس امرأة ورأس رجل.... وأعضاء مذكرة ومؤنثة في آنٍ واحد، وهناك رجال آخرون، لهم قوائم ماعز، وبعضهم على شكل إنسان في مقدمته، وعلى شكل حصان في مؤخرته، وكذلك ثيران برؤوس إنسانية، كما يوجد أسماك وزواحف وأفاعٍ، ومخلوقات أخرى غريبة لها أشكال متبادلة فيما بينها"[4]، وتعكس هذه الكائنات خيال الإنسان المضطرب، وعقائده وأفكاره التي أوجدها دافع الرعب والفزع من تلك الكائنات، وتدلّ على وجود مخلوقات غريبة، قبل وجود الإنسان، ويتفق هذا مع ما جاء في القرآن الكريم من خلق الجان قبل آدم عليه السلام، إذ قال تعالى: "**وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾**"[5].

ويعد السومريون من أقدم الأمم التي آمنت بوجود مثل هذه القوى وتلك الأرواح؛ إذ اعتقدوا "أن الكون مليء بالعفاريت الطيبّة والخبيثة، وصوروها وحوشاً مخيفة، أو كائنات مركبة، أو أشباحاً كأرواح الموتى، منها ما يخفى ولا يظهر لأحد، ومنها ما يخفى على أناس، ويظهر لآخرين بالرّقى والعزائم، ومنها ما يتلبس جسم الإنسان"[6]، "ومنها الشياطين الطيبّون الذين ينتمون لأصل سماويّ؛ وهم أبناء الآلهة الذين لا يسببون الأذى، أشهرهم "الشيدو" و"الاماسو"[7]، وهم كالملائكة حرّاس لا يرون، "يتولون حراسة المعابد، وهم قوم من الجن والأرواح الطيبّة، يتوسطون بين الآلهة والإنسان، ويتخذون أشكال الثيران المجنحة مع رؤوس البشر"[8].

---

[4] – فريشادو: **الجنس في العالم القديم**، ترجمة فائق دحدوح، دار الكندي للترجمة والنشر، سنة 1988، ص26.

[5] –سورة الحجر، آية 27.

[6] –النعيمي، أحمد إسماعيل: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**– ط1– سينا للنشر، القاهرة، 1995م ص326.

[7] – الماجدي خزعل: متون سومر– ط1– دار الكتاب الأول، **منشورات الأهلية**، عمان، سنة 1998.ص135.

[8] – شابيرو، ماكس رودا هندرلكس: **معجم الأساطير**، ترجمة حنا عبود، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سنة 1999م، ص224.

وهذه الصورة تقربهم من صورة الملائكة التي وردت في قوله تعالى: **"الحمدُ لله، فاطِرِ السموات والأرضِ جاعِلِ الملائكةِ رُسُلاً أُولِي أجنحةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ"**[9]، وقد غلبت على صورة الجن عند السومريين صورة الطائر؛ لما يمتاز به من قدرة على الصعود والهبوط، فكأنه واسطة بين العالمين السفلي والعلوي. وهناك نوع آخر ينتمي إلى أصل بشري، وهم أشباح الموتى، ويسمون(الأطيمو)، ويمثلون الناس الذين تَعِسوا في حياتهم أو الذين لم يدفنوا دفناً صحيحاً، أو لم يجلب لهم أهلهم النذور الجنائزية، ويثبت ذلك إيمانهم أن أرواح الموتى تخرج على شكل طائر، وتطير باتجاه مغرب الشمس، ثم تتّحول إلى أرواح شريرة في النهار، تهاجم الأحياء، وتلحق بهم الأذى وربمّا الموت [10]، وقد أطلقوا عليها "اسم (كدم)، أي مخلوقات الظلام"[11]، "وهناك الشياطين المركبة التي تتكون من تزاوج البشر والشياطين مثل (الليلو) التي تتصف بالعنف والشرّ، فهي تثير الرعب وتطارد النساء [12]، "ويشكل العالم السفلي عند السومريين مكاناً ومركزاً للشياطين والأرواح الشريرة، وقد أطلقوا عليه (kur) [13] الذي ما لبث أن أصبح اسماً للمخلوقات المتوحشة التي تقيم في العالم السفلي، والوحش السفلي الجبار الذي يختطف الآلهةإلى عالم الأموات[14] ومهما يكن من أمر، فإن هذه الشياطين هي "عفاريت عالم الأموات وجنوده، التي تنسب إليها الأمراض والشرور"[15].

وأهم هذه الشياطين في معتقداتهم "الكالا" "الكالو" الذين يُعدُّون جنودَ هذا العالم، وشرطته وحّراسه؛ إذ أنّ مهمتهم تكمن في تنفيذ الأوامر الصادرة، ومن صفاتهم القسوة والطغيان، ومن أعمالهم هدم اللذات، وتفريق الجماعات، ويؤكد ذلك الدور الذي قاموا به عندما

---

[9] – **سورة فاطر**، آية 1.

[10] – الماجدي، خزعل: **بخور الألهة**، (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)– ط1– منشورات الأهلية، عمان، سنة 1998، ص212.

[11] – **متون سومر**، ص135.

[12] – **بخور الآلهة**، ص214– ص215.

[13] – الماجدي، خزعل: **الدين السومري**–ط1– منشورات الأهلية، عمان، ص113.

[14] – السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى**– ط1– دار علاء الدين، دمشق، 1988م، ص 215–216.

[15] – **الدين السومري**، ص 113.

خرجوا بصحبة "إنانا" بمهمة الإتيان ببديل تعّينًُه الإلهة؛ ليحلّ محلّها حسب قانون العالم السفلي [16]، وقد جاء وصفهم وبيان دورهم في ملحمة جلجامش كما يلي: [17]

عفاريتٌ صغيرة، كأنَّها من القصب

وعفاريتٌ هائلةٌ، كأنَّها...(   )

مَشَتْ معها (جميعاً).....

فالماشونَ أمامَها كانوا بلا (   ) وفي أيديهم العُصِيّ.

فقالت العفاريتُ لإنّانا:

إي "إنّانا" امضي إلي مدينتك، ودعينا نحمله معنا، فأجابت "إنّانا" الطاهرة العفاريت، قائلة:

إنّهُ رسولي ذو الكلمات الطيبّة

ورفضت أن تسلّم أحداً حتى وصلت دموزي... انقضّت عليه العفاريتُ

وجَّرتْهُ من ساقيهِ، كانوا مخلوقاتٍ لا تأكلُ الطعامَ ولا تعرفُ الشراب، هرب إلى أخته قائلاً: "أنقذيني من العفاريت، ولا تدعيهم يأخذونني"، وتستمر العفاريت في ملاحقته، وإلقاء القبض عليه مرة، ويفلت منها أخرى، حتى استطاعت في النهاية أخذه [18]، وقد جاء ذلك في الملحمة أيضاً: **[19]**

---

16 – متون سومر، ص136، **بخور الآلهة**، ص215، ادزارد: قاموس الآلهة والأساطير(في بلاد الرافدين) تعريب محمد وحيد خياطة–ط 1– دار مكتبة سومر، حلب، 116/1

17 – مغامرة **العقل الأولى**، ص 324–326.

18 – المرجع نفسه، ص324–326.

19 – المرجع نفسه، ص331، كريمر، صموئيل نوح: أساطير العالم القديم، ترجمة، أحمد عبد الحميد يوسف، **الهيئة المصرية العامة للكتاب**، القاهرة 1974، ص94-.95

دخل الحظيرة العفريت الأول

وضرب خدود "دموزي" بِمُسْمَارٍ طويل نفّاذ.....

ثم دخل العفريت الخامس ...... فحطّم الممخضة الخاوية لبنها

وكسر الكوب، فدموزي لم يعد بين الأحياء، وحظيرته قد راحت نهباً للرياح.

وهكذا فقد بدا في أعمالها وصفاتها ما يدلّ على وحشيتها وهمجيتها. وهناك نوع آخر من الشياطين يسكن العالم الأسفل، يتولى عملية نقل الأمراض من الآلهة إلى البشر، وخاصة إذا ارتكب أحدهم بعض الأخطاء، أو قصّرَ في أداء واجبه، وأشهرها "أساج" الذي "يعدُ عفريت العالم السفلي وإله العلل والأمراض، والساعد الأيمن "الكور"[20]، "ونمتار" الذي "يمثل روحاً شريرة ترسل الأوبئة، وتنفذ الخطط التدميرية "النرجال"، ويجسدّ قدر الإنسان ونصيبَهُ، موطنه "أرالو" [21]، يقوم بدور سفير الموت المقابل" لِعزرائيل" فقد أُمر من قبل إلهة العالم الأسفل "اريشكيجال" برمي "عشتار"، عندما نزلت تبحث عن "دموزي" بستين مرضاً، وفعل، إلاّ أنها شفيت منها وخرجت"[22].

ولا بد من الحديث عن الشيطانة "ليليث" التي احتلت المركز الأول عند السومريين، والتي مثلت رمزاً للشرّ والعداء، وهي إلهة الظلام، وسيّدة السحر الأسود، تظهر في الأعمال التشكيلية على صورة امرأة جميلة الجسد، مكتنزة الصدر مجنّحة، واقفة على لبوتين، ممسكة بالعصا والصولجان، تسكن الأماكن المهجورة، لها مخالب الطير، وتنتمي إلى قوى العالم السفلي، وتظهر صورتها في القصيدة السومرية "جلجامش وأنكيدو في العالم الآخر"، وقد توحدت بالحية، واتخذتا مسكناً لهما عند قاعدة شجرة الإلهة "إنّانا"، بقصد القضاء عليها، فهما تمثلان عنصر الشرّ والدمار، والعماء والفوضى، العنصر المقابل للنظام والحياةَ والخصبِ الممثّل بالشجرة،

3– نعمة، حسن: **موسوعة الأديان السماوية والوضعية**، (ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة)–ط1– دار الفكر اللبناني، 1994م، ص142، **قاموس الآلهة والأساطير**، 117/1.

21 – شابيرو، ماكس رودا هندرلكس: **معجم الأساطير**، ص174، قاموس الآلهة والأساطير، 134/1.

22 – المرجع نفسه، ص 174.

تقول الأسطورة: [23] عندما حاولت "إنّانا" قطع الشجرة، ولم تستطع، أرادت معرفة الأمر، وجدت أنّ:

طائر الصاعقة "زو" قد بنى عشّه ووضع

فراخه في أعلاها، وأنّ عذراءَ الأرضِ المُقْفرة ليليث"

الإلهة التي تهيم في البراري ليلاً، قد نَخَرَتْ وسَطها، وسكَنْت فيهِ

وأن الحيّة استقرّت في قاعدتها.

يبدو من النص الصراع الذي دار بين الآلهة المتمثلة في "جلجامش" البطل الأسطوري الذي قضى على الشرّ والفوضى، ممثلاً في الشيطانة "ليليث" والحية، "فقد قتل جلجامش الحية؛ فقوضت الشيطانة بيتها عائدة إلى البراري حيث اعتادت أن تصيد [24]. وتظهر فكرة عداء "ليليث" للحياة من خلال الدور الذي تقوم به مع أختها الشيطانة نعامة أو (نعمة) في خنق الأطفال حديثي الولادة، والإضرار بهم، وإصابة البشر بالجنون "إذ تعدّ (نعامة) المصدر الأساسي لنشر الشياطين، فقد نسب إليها نشر ما لا يُعدّ ولا يحصى من الشياطين والجن"[25].

وتشاركها في الدور نفسه، الشيطانة "لاماشتو" التي تظهر بصورة وحش غريب الشكل، ذي رأس أسد وَجَسد امرأة، وتنصب العداء للأطفال، والأمهات المرضعات، وتفتك بهم، وتعذب المرضى، وتقذف الرعب في القلوب [26]، فهي "شيطانة حمّى الأطفال" [27]، وكذلك "دمة" عفريتة حميّ الأطفال الرّضع، "وتظهر بصورة امرأة عارية الصدر، ترضع من ثدييها كلباً وخنزيراً، وتحمل في يديها مشطاً ومغزلاً" [28]، ويُعد شيطان الحميّ أهول هذه الشياطين، ويبدو

---

[23] – الماجدي، خزعل: إنجيل سومر –ط1– **منشورات الأهلية**، عمان، 1998، ص223–224.

[24] – المرجع نفسه، ص224–225.

[25] – عبد الحكيم، شوقي: **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية**–ط1– دار ابن خلدون، بيروت، 1978، ص136.

[26] – بخور الآلهة، ص222، نعمة، حسن: **ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص264.

[27] – نعمة، حسن: **ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، 135.

[28] – **قاموس الآلهة والأساطير**، 116/1.

"برأس أسد وأسنان حمار، وأطراف نمر أو قط، وصوته كصوت النمر أو الأسد، يمسك بيديه أفاعي هائلة، ويداعب ثدييه كلب أسود وخنزير"[29]، وكلها تمثل رمز العداء للحياة الإنسانية؛ وتأسيساً على ذلك أخذ السومريون يفكرون في وسائل لردّ أذى هذه الكائنات عنهم، وحماية أنفسهم من شرّها، "فاستخدموا التمائم التي جاءت على شكل وحش برأس أسد، وجسد امرأة" [30]، وقد اعتادت المرأة أن تقدم منذ بداية حملها تقدّمات من اللحوم للعفريتة (لاما شتو)، وكثيراً من الهدايا والُّدمى، كي تهرب دون أن تتربص بها، وتوقع طفلها [31]، وهناك (الأوتوكو) وهم سبعة شياطين أشرار، يعيشون في الصحاري والجبال، ينسب إليهم السحر الأسود، قساة، لا يعرفون الرحمة، ولا يسمعون التماساً ولا دعاءً، معادون للآلهة، يعرقلون الطرق[32]، وينطوي تحت هذه الفئة، مَن يمثل دور الطبيب الذي يستعمل مضاداً للسحر الأسود، وهم "أوتوكو، شيدو، لماسو"[33]، وينسب إلى بعض هذه الشياطين أمراض التشنجات العصبية والصرع؛ وقد أطلق عليها قبضة الشياطين، وتحدث بسبب دخول الشيطان إلى الجسم عن طريق الخطيئة، ويعلن عن وجودها بظواهر كريهة مختلفة، كالِأصوات التي تتردد في البيت، أو لفحات الريح، والرؤى المفزعة [34]، وقد مارس السومريون الكهانة، كوسيلة لطرد هذه العفاريت، والتخلص منها، وأشهر كهنتهم "الأشيبو" الذي كان ينطق كلمات خاصة، مستمدة من وحي الآلهة، ويمارس الشعائر اللازمة؛ لطرد العفاريت المسببة للمرض، فيقوم بدور الوسيط بين الآلهة والبشر، ولكي يظهر بمظهر مميز، كان يلبس اللون الأحمر؛ لأن الشياطين تحب ذلك اللون وتهواه، وقد استخدموا قراءة التعاويذ والرقى؛ لطرد العفاريت؛ ولاستدعاء الشياطين الطيبة[35]، ويتجلّى ذلك

---

29 – **بخور الآلهة**، ص207.

30 – الأحمد، سامي سعيد: **معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور**، مجلة المؤرخ العربي، بغداد 1975م،ص62 ، بخور الآلهة،ص222.

31 – **الدين السومري**، ص157.

32 – **بخور الآلهة**، ص215.

33 – المرجع نفسه، ص215، **معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور**، ص64.

34 – المرجع نفسه، ص206–207.

35 – **بخور الآلهة**، ص203.

من خلال الدور الذي قامت بهِ "انّانا"، عندما حاولت قطع شجرة الصفصاف، ولم تستطع، تقول الملحمة: [36]

حاولت قطعها إلا أنها جَفَلَتْ وتراجَعَتْ،

فقرأتْ التعاويذَ والرّقى لتكسرها، فلم تستطع.

وإلى جانب هذه الشياطين الخيّرة والشريرة، هناك "شياطين بقيت حياديّة مثل (ألاد) الذي يعدّ شخصية حيادية غلب عليها طابع الخير"[37]، "واستخدم في التنبؤ بالغيب، ومعرفة الفأل، وتفسير الأحلام، ورؤية الطالع"[38].

ولم يقتصر أثر هذه الكائنات على الإنسان، بل تعدّاه إلى تجسيد كوارث الطبيعة، وظواهرها المؤذية في الليل خاصة، فقد وجدت شياطين شريرة تؤذي الطبيعة، وتسبب عدم توازنها، فالكوارث والزلازل والفيضانات والقحط كلها بفعل هذه الشياطين، فقد نسبوا خسوف القمر، وكسوف الشمس إلى نوع من الشياطين، منها(سبيتو) التي تقوم بسرقة القمر واحتجازه مؤقتاً، ويتم فك أسره بتقديم القرابين، وتأدية الطقوس لها [39]، وهذا ما سنجده عند معظم الشعوب[40]، وقد ظهرت كائنات خرافية شبيهة بهذه العفاريت، "منها (خمبابا) المارد أو العفريت الذي يبدو رمزاً للشرّ، وعقبة من العقبات التي اعترضت جلجامش، حينما سعى إلى تحقيق أهدافه، ويظهر بصورة وحش هائل، مثير للرعب، عملاق كاسر، سلحّه "إنليل" بسبعة ألوان من الرعب"[41]، وتتضح شخصية "خمبابا" في حديث أنكيدو، لصاحبه، عندما قال: [42]

---

36 – **إنجيل سومر**، ص223.

37 – **قاموس الآلهة والأساطير**، 117/1.

38 – **أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ**، ص61.

39 – **الدين السومري**، ص77–78.

40 – قصة الحضارة، 104/1، الباش، حسن: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، (دراسة في الجذور الأسطورية والدينية والمسلكية والاجتماعية)، دار الجليل، د. ت، ص29.

41 – أحمد، محمد خليفة حسن: **الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم**، (دراسة في ملحمة جلجامش)–ط1– دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1988، ص114–116.

42 – المرجع نفسه، ص114–116.

كيف سندخلَ غابةَ الأَرْز يا "جلجامش"

إنَّ حارسَها مقاتلٌ، وهوقويٌّ لا ينام.

هيئُتهُ تبعثُ الرُّعبَ في النفوسِ.

إذ أنّه الماردُ العفريتُ الذي عينه الإلهُ لحراسةِ غابةِ الأرز.

وهناك كائنات تثير الرعب في النفوس، تحرس الأماكن الأسطورية، "مخلوقات مركبة من الإنسان والعقرب، يطلق عليها " الرجال العقارب"، وتبدو بأشكال مخيفة، وتشير "ساندوز" إلى أن الرجل العقرب نصفه بشر، ونصفه تنين، وله ذنب عقرب، نظراته تقذف الموت في قلوب الناس، وهالاتها المتلألئة تعني الجبال التي تحرس الشمس في الشرق، وهي تحرس الطرق المؤدية إلى مكان " أوتونبشتم" الذي يمتلك نبتة الخلود"[43].

يتبين مما سبق أن الكون مليء بالشياطين، إضافة إلى الآلهة "منها الطيبة، وهي أبناء وبنات الآلهة العظام، يتميزون بوجود أجنحة على أكتافهم، ووجوه كوجوه الآلهة، يسكنون العالم الأسفل، يستخدمهم الناس كملائكة حارسة لهم شخصياً، أو لبيوتهم ومدنهم، ومنها الشياطين الخبيثة والشريرة، وهي مخلوقات لا نسب لها، بل هي كائنات ظهرت في الأماكن المهجورة والمظلمة، وأصبح بعضها جنوداً في العالم الأسفل، ومنها أرواح الموتى، وقد اتخذت صوراً كثيرة، منها وحوش مخيفة، أو حيوانات مركبة، أو كائنات مرعبة، كانت لها أطراف غريبة، وقد تكسو جلودها الأشواك والأصداف"[44].

أما البابليون فقد أخذوا كل ما خلفّه السومريون في المجال الروحي من معتقدات، لدرجة أنه يصعب التمييز بينهما؛ فكلاهما يعتقد بوجود عالم سفلي يعجّ بشياطين تمتلك أجنحه، لها أجسادٌ مركبة من الحيوانات المختلفة أو من الحيوان والإنسان، وتعمل على خِدمَة الآلهة، وتنفذ أوامرها، ومعظمها ذات أصل إلهي، إذ ينتمي بعضها إلى الإله "أنو" "وكي"، ومنهم من ينتمي إلى "أيا" و

[43] – **الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم**، ص116.

[44] – **متون سومر**، ص342–343.

"نرجال"[45]، وقد ورد أن "الإله مردوخ صرع "تيامت" وشق جسدها شقين، ثم مزج دمها بالتراب، وخلق منه الإنسان"[46]، فالمخلوقات إذن كلها شيطانية؛ لأنها خلقت من تراب ممزوج بدم شيطانة؛ ويتضح أنها مصدر الشياطين المؤذية، والأشباح الشريرة؛ لأنها شكلت جيشاً من هذه المخلوقات الجبّارة العتِّية لمواجهة "مردوخ" الذي استخدم الرياح الشيطانية، والعواصف المدمرة؛ لمصارعة تيامت وجنودها[47]، ويبدو ذلك من خلال ما جاء في الملحمة البابلية "الإينوماإيليش":[48]

الأم "هابور" تعامة" خالقة الأشياء جميعاً

أتت بأسلحة لا تقاوم، أفاعٍ هائلة

خلقت الأفعى الخبيثة، والتنين، وأبا الهول

أتت بتنانين ضاربة تبعث الهلع

عفاريت العاصفة، الذبابة العملاقة

وهكذا تبدو "تيامت" وجنودها عنصر الشر الذي استطاع "مردوخ" القضاء عليه، و تخليص الآلهة الفتية من شروره؛ فهي تمثل بداية الصراع الثنائي بين الخير والشر[49].

---

[45] – **المعتقدات الشعبية في التراث العربي،** ص59، الجوهري، محمد: علم الفولكلور، (دراسة المعتقدات الشعبية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، 364/2.

[46] – السواح، فراس: الأسطورة والمعنى، **(دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية)**–ط1– دار علاء الدين، دمشق، 1997،ص37.

[47] – الماجدي، خزعل:إنجيل بابل–ط1– **منشورات الأهلية،** عمان، سنة1998، ص29 بخور الآلهة209، هوك ، صموئيل هنري: منعطف المخيلة البشرية (بحث في الأساطير)–ط2– دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية، 1995م،ص13، بارندر، جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب،ترجمة إمام عبد الفتاح إمام–ط2– مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع القاهرة، 1996م، ص 42.

[48] – **مغامرة العقل الأولى،** ص61، **الأسطورة والمعنى،** ص38.

[49] – قلعية، مي غالية: **أسطورة التكوين البابلية،** دراسة مقارنة على ضوء اللغات السامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، **كلية الآداب والعلوم الإنسانية،** 2003م، ص103–104

ويبدو أن هناك علاقة بين الشياطين والريح؛ فقد كان البابليون يسمون، هبوب الريح الجنوبية "أولوجن"، والشرقية "كورجن"، والغربية "مارجن" والشمالية "سجن"[50]، مما يدلّ على أن الريح لها أجنحة، تستطيع أن تنتقل من مكان إلى آخر، فتشبه بذلك الجن، كما أنها تمثل عنصر الشر والدمار، ويتبين من خلال التسمية أنّ الجن هي المسؤولة عن هبوب الرياح.

وقسّمت الشياطين والمردة الذين يجوبون العالم الأسفل، ويحرسونه إلى أقسام، حسب وظيفة كل منها ودوره، فمنهم الآخذ والمتربص، والمخرِّب، وروح الليل، وشيطان "الليلو"، وأنثاه "ليليث"[51].

تذكر الأسطورة أن "نرجال" كان إلهاً سماوياً، هبط إلى العالم الأسفل؛ بسبب رفضه إظهار الاحترام والطاعة لرسول الإلهة "أريشكيجال"، فتحّول إلى إله عالم الظلام والموت، ولقّب إبليس البابلي[52]؛ نظراً لتشابه قصته مع قصة إبليس في الفكر الإسلامي، ومع قصة لوسيفر.

وقد حظيت الشياطين والجن بعبادة البابليين، وتقديسهم، من ذلك" "الإله " موتا بريك"، وهو من العفاريت التي وَرَد اسمها في نصّ وجد في تلّ العمارنة"[53]، ومنها "أرداتليلي" وهي من عفاريت الليل، ومعناها فتاة الريح"[54]، ويبدو أن عبادتهم لها عبادة خوف ورعب؛ لتلافي غضبها، وليس حباً لها؛ فقد قدّموا لها الأضاحي؛ كي تكفَّ عن قتل الناس، وتصدّ شرورها عنهم، "وظهر "نمتار" وزير القضاء والقدر بشكل عفريت، يستلّ سيفه بيده، ويقبض شعر رأس أحد ضحاياه باليد الأخرى"[55].

---

[50] – الماجدي، خزعل: **المعتقدات الآرامية**–ط1– دار الشروق، عمان2000، ص111.

[51] – **معتقدات العراقيين القدماء في السحر و العرافة والأحلام و الشرور**، ص68–69.

[52] – **مغامرة العقل الأولى**، ص 292

[53] – **ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، 237 .

[54] – المرجع نفسه، ص237.

[55] – **متون سومر**، ص133.

وتشير النصوص إلى أن "ارداتليلى" هي عشتار الأم الكبرى التي تظهر شيطانة، تدعو نفسها بسيدّة الليل، وسيدّة النواح، ونجمة العويل، وسيدة الجنون... تمتلك وجهين متناقضين، أحدهما يشير إلى الحبّ والجمال والخصب، والأخر إلى القتل والدمار(56)، وتجمع بين الحكمة والجنون (57)، ويتجلى ذلك في الترتيلة البابلية؛ إذ يختلط وجهها الأغبر بوجهها الأبيض: (58)

أي عشتار، يا مليكة كلِّ الشعوب، وحاكمة البشر

أنت سبب العويل والنُواح، تزرعين العداوة، وتفرقين بين الإخوة

لذكر اسمك تهتز السماوات والأرض.

ترتجف الآلهة، وتترنح أرواح البشر.

ويبدو أن هذه هي نفسها "ليليث" السومرية التي لم يبق من صورتها في الأذهان إلاّ "صورة الجنية أو الغولة، أو الساحرة العجوز"(59) ، التي تمثّل "مصدر الإلهام، ومنبع الإبداع الفني والأدبي"(60)، وقد "مارست "ليليث" دور العرّاف؛ إذ تؤكد قدرتها على التنبؤ بالغيب، مما يثبت شيطانتها"(61).

ويبدو التشابه بين السومريين والبابليين من خلال نظرة كل منهما إلى هذه الشياطين أنها رمز الشرَّ والمرض، ووسيلة لنشر الدمار والخراب، "إذ يُعدُّ "ايرا" إله الطاعون والأوبئة الفتاكة" (62).

---

56 – السواح، فراس: لغز عشتار **(الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)**–ط6– دار علاء الدين، دمشق 1996، ص212–213، وص251.

57 – المرجع نفسه، ص251.

58 – المرجع نفسه، ص213–214.

59 – المرجع نفسه، ص97

60 – المرجع نفسه، ص249.

61- المرجع نفسه، ص260.

62 – **بخور الآلهة**، ص 333، **لغز عشتار**، ص313.

وتبدو "الاماشتو" بالهيئة نفسها التي ظهرت بها عند السومريين، "عدوة للحياة والأطفال، رمز الغواية والضلال، تهاجم النساء ساعات الولادّة، والأمهات المرضعات، تُعذّب المرضى، تقذف الرعب في قلوبهم"[63]، ونلاحظ غلبة شياطين الشرّ على الأرواح الخيّرة، لأن الآلهة يمثلون قوة كافية لموازنة الأرواح الشريرة، والتصدي لها؛ ولأن الأرواح الطيبة تبدو مزيجاً من البشر والحيوانات، تستخدم لمقاومة الأرواح الشريرة، والقضاء على تأثيرها أو التخفيف من حدّتها"[64].

وعَزَا البابليون كثيراً من الأمراض إلى هجمات الأرواح الشريرة، أو إلى مكر الساحرات والمشعوذات، وحاولوا اتّقاء خطرها باستعمال التمائم والطلاسم والكهانة[65]، واستخدموا السحر الأسود والأبيض، فالأبيض استخدم لمعالجة الأمراض، عن طريق معرفة الشيطان المسبب للمرض، ثم محاولة طرده بطريقة معينة؛ واعتقدوا أنّ للماء بشكل عام دوراً هاماً في التغلب على الأرواح الشريرة، باعتباره مضاداً لها، لذلك "أدّعوا أن رشّ جسم المريض بالماء المحمول من أحد المجاري المقدسّة، يخرج الشيطان من الجسم، وأن عمل صورة للشيطان، ووضعها في قارب، وإلقاءها في الماء بعد تلاوة التعويذات عليها، يخرج الشيطان"[66].

ويرون "أن الصواعق والرياح الصيفية تنسب إلى الشيطان" بازوزو"، وهو شيطان ذو عضلات قوية، وسواعد مفتولة، يظهر بذيل طويل معقوف، وأربعة أجنحة، تظهر صورته وفوقه صف من الكهنة المعزّمين الذين يلبسون أقنعةً لحيوانات مختلفة، ويحمل الصاعقة في يده

---

[63] -**بخور الآلهة**، ص222، **ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**،264.

[64] - **علم الفولكلور**، 365/2.

[65] -**منعطف المخيلة البشرية**، ص 51.

[66] - سعفان، كامل: **معتقدات آسيوية** (العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان) **موسوعة الأديان القديمة**-ط1- دار الندى، 1419هـ -1999، ص58.

غالباً"[67]، وقد ورد "أنّ الكاهن والساحر في بابل كانا يرتديان الأحمر، وتعرف ملابسهم باسم "أشيبو"؛ لأنه لون تنفر منه الشياطين"[68].

ومن الكائنات الخرافية "اللابِو" الذي يبدو "وحشاً جّباراً خرج من الأعماق المائية إلى ديار الحضارة، محاولاً تدمير كل ما بناه الإنسان"[69] فهو إله أرضي.

ولم يبتعد الآشوريون عن سابقيهم من حيث اعتقادهم بوجود كائنات مجنّحة مخيفة، الأمر الذي قادهم إلى تخيّلها على شكل مخلوقات عجيبة، تسكن الأماكن المهجورة والمظلمة، والخرائب والمدافن، وإلى تصورها بأجسام بشرية، ورؤوس حيوانية[70]، وزعم الآشوريون أن هذه الكائنات هي سبب العدوى، ونقل الأمراض، ورأوا "أن سبب الأمراض أجسام غير منظورة، تدخل الجسم مع الهواء عن طريق النفس، وعن طريق الجهاز الهضمي كالفيروسات"[71].

و اعتقد الحثّيّون كذلك "بوجود الشياطين والأرواح الشريرة التي تكون مستعدة لاستغلال فرصة غفلة الإله؛ كي تعيث فساداً "[72]، وسيطرت هذه الكائنات على عقول الكلدانيين حتى اعتقدوا أن الجن إله؛ "فأخذوا يضحون له بنحر الخرفان، ويطبخون ماءً يستحمون به سراً لرئيس الجن"[73]، وراحوا يتوسلون إليه بوسائل مختلفة، كتعليق الجناح الأيسر للفراخ على صدور الأطفال والحوامل؛ اتقاءً لشر "الليليث" والجن، وقرأوا التعاويذ ضد آلهة المرض والشياطين

---

[67] – بخور الآلهة، ص220.

[68] – يوسف، شريف: **السحر عند البابليين والمصريين والعرب قبل الإسلام**، مجلة التراث الشعبي، وزارة الثقافة والفنون في العراق، السنة 9، ع5، 1978م، ص69.

[69] – **مغامرة العقل الأولى**، ص225–226.

[70] – عزيز، كارم محمود: **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**–ط1– دار الكلمة للنشر، دمشق، 1999، ص63.

[71] – **بخور الآلهة**، ص 170

[72] – **أساطير التوراة الكبرى**، ص145.

[73] – **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية**، ص140.

والأشباح[74]، واستخدموا السحر، وقاموا ببعض الأعمال الرمزية، كحرق المواد التي تشبه الأرواح الشريرة، وحل العقد التي يتصوّر الساحر أن ضحيته قد ورط فيها[75].

ثم ما لبثت أن تداخلت هذه المعتقدات مع الثقافة الآرامية بفعل التداخل الزمني؛ فالفنون الآرامية حافلة بأشكال عدة للجن، تظهر ككائنات مجنّحة، مختلفة الأنواع، منها الحيوانية والإنسانية، ومنها المركبة، وآمنوا بوجود كائنات طيبّة، استخدموها كوسيلة لطرد الأرواح الشريرة، وردّ أذاها[76]، وتبدو الشياطين في لوحاتهم الفنية كائنات شريرة بأشكال مختلفة، تتمثل في شخصية الشيطانة "الليليث" التي "تبدو بصورة فتاة جميلة، تتوسط نافذة، توصف بأنَّها الوصيفة الأولى لـِ(عشتار)، وقد صورّت مجنّحة وبدون أجنحة"[77]، ومما يؤكد اختلاف الجن عن الشيطان في المعتقدات الآرامية "أنّ الجنّية العنقاء ترمز إلى القوة والعنف، تستخدم ككائن حامٍ للمدن والقصور"[78]، وهكذا فقد عرف الآراميون الجن والشيطان متأثرين بسابقيهم، "ورمزوا بها إلى الإله "حدد" أحياناً" [79]، وركزوا على صورة الطائر والحيوان المجنّح، وظهرت الجن بصورة إيجابية، أمّا الشياطين فقد شكلت عنصر الخوف والفزع للإنسان، "فقد اتخذت الشياطين في الحكايات الآرامية شكل الغربان" [80]، التي توحي بالتشاؤم.

ولم تختلف صورة الجن في المعتقدات الكنعانية عن سابقتها؛ فقد ظهرت بصورة كائنات مجنحة في نقوشِهم وتماثيلهم، وعبّرت عن العنف الذي يبدو من شكلها؛ إذ تبدو بأشكال مختلفة، "ومنها الجن الذي يمسك سوطاً بيده اليسرى، وكرةً بيده اليمنى، وله رأس طير وجسد بشري، ومزّودٌ بأجنحة"[81]، "ومنها الكروبيم أبالسة يقال بأنهم أبناء الإله "إيل"، والإلهة "ريا" إلهة

---

74 – المرجع نفسه، ص140، **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ص84.

75 –**معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور**، ص59.

76 – **المعتقدات الآرامية**، ص111.

77 – **المعتقدات الآرامية**، ص 121.

78 – المرجع نفسه، ص117.

79 – المرجع نفسه، ص 122.

80 – العنتيل، فوزي: **الفولكلور ما هو ؟**– ط2– مكتبة مدبولي ، القاهرة، دار المسيرة ، بيروت، 1407هـ – 1987م ، ص106.

81 الماجدي، خزعل: **المعتقدات الكنعانية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، 2001م، ص192.

الأرض"[82]، "ويعدّ الإله "بعل" من وجهة نظر الديانة الإيلية زعيم الأبالسة والشياطين، وسيدّ الجحيم، والعالم الأسفل، يرافقه الشيطان حارس الأموات، ودليل المتوفين، كما يرافقه شيطان علة الموت قابض الأرواح"[83]، ويتبع "بعل" كثير من الشياطين، كل يحمل اسمه الذي يدلّ على صفاته وأعماله، منها "الذي يعمي البصيرة"، "والذي يجعل الشفاء مستحيلاً"[84]، وقد ارتبط الإله "بعل" بإبليس؛ لما له من صفات الدهاء، والفتنة، والتحالف مع الشرّ، الأمر الذي دفع الناس إلى التوجّه إليه بالتقديس والعبادة؛ ويبدو الإله "بعل" في المعتقدات الكنعانية بصورة الآمر الذي يأمر الشياطين، ويبدو قادراً على إطلاق قوى الغيب من عقالها والسيطرة عليها، وهو ذو قوة تدميرية قوية [85].

وهكذا فقد خلط الكنعانيون الآلهة بالشياطين، ونسبوا إلى الآلهة صفات شيطانية؛ لدرجة اعتقادهم، "أنّ الأرواح الشريرة تتحالف مع بعض الآلهة ضد البشر، وتتآمر مع بعض الأعداء ضد البلاد"[86]، فقد كان "الإله "إيل زبوب" أمير المردة والشياطين، وهو كذلك الإله المعبود، ربّ الطب والشفاء، يشفي المرضى لأنه رئيس الشياطين"[87]، وقد ذكر الجبيلي في صفات "إيل"، أنه "كان يمتلك صفات شيطانية، له أربع عيون، عينان إلى الأمام، وعينان إلى الخلف، عينان مفتوحتان، وعينان نائمتان، أي أنه ينام وهو متيقظ، ويستيقظ وهو نائم"[88]، وكان مساعدوه العفاريت الذين يشخصون الرياح والصواعق، فاتجه الناس إلى تقديس مصادر الخصوبة التي جسدّها "بعل" وجماعته.

وقد ورد في أساطيرهم "أنّ "إيل" أول من تزّوج بجنيّة مائية اسمها (عين عبريت) و"عين عفريت" وأنجب منها ولداً واحداً"[89]، وهذا يؤكد أنّ الأبالسة هم أبناء "إيل"، وممن ينسب إليه "أبناء أيليم" الذين يحملون غيوم الشقاء عنه، فالكنعانيون آمنوا بوجود الشياطين،

---

82 – المرجع نفسه، ص185.

83 – **لغز عشتار**، ص349.

84 – **المعتقدات الكنعانية**، ص185.

85 – الباش، حسن: **الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي**– ط1– دار الجيل، دمشق، 1988، ص45.

86 – المرجع نفسه، ص45.

87 – **أساطير العالم القديم**، ص187.

88 – **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية**، ص47، **الميثولوجيا الكنعانية، والاغتصاب التوراتي**، ص30.

89 – **الميثولوجيا الكنعانية**، ص29، **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية**، ص47.

ونسبوا إليها كل ما يحلّ فيهم من مصائب وكوارث وأخطار، ويثبت هذه الاعتقادات ما جاء في أسطورة "كارت" ملك صيدون، إذ أنّه عندما مرض سألَ الإله "إيل": مَنْ مِنْكم يقدر أن يشفي كارت ؟ مَنْ منكم يقدر أن يطرد الأرواح الشريرة من داخله؟" (90) فلا يتمّ شفاؤه إلاّ بخروج تلك الأرواح من جسده؛ ومن الطقوس التي مارسوها؛ لاعتقادهم أنها تطرد الشياطين والأرواح، الاغتسال بالماء، وحرق البخور، ودقّ الطبول، كما عدّوا الوشم والختان من وسائل الحماية من تلك الأرواح (91)، "واستخدموا الأقنعة الشيطانية في محاولة طردها والتغلب عليها"(92).

وقد اعتقد الكنعانيون أن الحية إله؛ لأنها تنفرد بقوة هائلة، فقد عبدها الفنيقيون أيضاً، وجعلوها في معابدهم، وكانوا يصفونها بالشيطان الصالح (93).

ومن معتقدات الكنعانيين أن القطط والكلاب من الأرواح الشريرة؛ "فكانوا يتشاءمون من نباح الكلاب، ويتهمونها باستدعاء الشياطين لإلحاق الأذى بهم"(94)، وفي مقابل هذه الأرواح والكائنات الشريرة، اعتقد الكنعانيون، بوجود كائنات طيبّة، اكتسبت صفات إيجابية، تمثل جنس العمالقة، مثل عمالقة الحضارة، ومنها "رفائيم" المسؤولة عن الشفاء من الأمراض، وخاصة العقم، وتشير إلى مجموع سكان العالم الأسفل وأشباح الموتى(95)، وقد تتشابه مع "الكالو" السومرية التي قدمت الحضارة للبشر، وقد نُسِبَ إلى كنعان الجد الأول للكنعانين أنه كان يناجي شيطانه في الجبال؛ مما يؤكد وجود التابع والهاتف، حتى إنّه رفض أن يركب مع والده مفضلاً الالتجاء إلى هذا الجبل معتقداً أن فيه نجاته، فخاب أمله... كما اتخذ السحر، وعبادة الشيطان والاتصال به ديناً له؛ وينسب إليه كثير من شرور العالم، فهو "رمز الوحي ومصدر التنبؤ"(96)، وقد نسب إلى هذه الكائنات ما يدل على أنها تمتلك قدرات خارقة؛ إذ كانت تعلم الناس صناعة

---

90 – **أساطير التوراة الكبرى**، ص145.

91 – **المعتقدات الكنعانية**، ص277.

92 – **متون سومر**، ص131.

93 – عياش، عبد القادر: **الحية في حياتنا وتراثنا**، دير الزور، سوريا، 1968م، ص44–48.

94 – **المعتقدات الكنعانية**:ص184.

95 – المرجع نفسه، ص185.

96 – الساعاتي، سامية: **السحر والمجتمع**، دراسة نظرية–ط1– بحث ميداني، مكتبة الإنجلو المصرية، 1998، ص14–15.

الحراب والمدى والدروع. يلاحظ مما سبق اقتران هذه الكائنات بالقداسة والقوة والخوف، وأنّ الكنعانيين ربطوا بينها وبين قدرتها الخارقة، فقدّسوها، كما ربطوا بينها وبين الحية، كما في ملحمة جلجامش، وعلاقة تلك الكائنات بالشيطانة (ليليث).

وقد آمن اليونانيون كذلك "بوجود أرواح شريرة تسمى (Alstores) تتولى أعمال الشيطان"[97]، وقد عدّتها الأساطير اليونانية "كائنات جنيّة خفيّة مؤثرة تمتلك طبيعة سريّة، جاءت من العالم الأخر، ذات تأثير حسن أو سيءٍ في سلوك البشر"[98]، فأضفوا على آلهتهم صفات شيطانية، ودنّسوها بالرذائل؛ "إذ يبدو الإله"زيوس" شيطاناً، شهوانياً، نَهِماً، أكولاً، شديدَ الطمع... أرسل الصاعقة القاتلة على "اسكولاب" أبي الطب؛ لأنه يشفي المرضى"[99]، فهدفه القضاء على الناس. ولا يختلف هذا عن هدف الشياطين عند الأمم الأخرى، فقد كان هدف "تعامة" و"عشتار" السيطرة على الإنسان أو إلحاق الأذى به، وجاء في الأساطير الإغريقية " أن الشياطين أبناء"أورانوس وجيا" تآلبوا على أبيهم؛ فخلعوه وكادوا أن يقتلوه، لولا تدخل "زفس" الذي ظفربهم وطرحهم في وادي الظلمات"[100].

"وتبدو الساتوري "الساتيرز" مخلوقاتٍ خرافيّةً شبيهةً بالجن، تمثل القوى الحيوية للطبيعة، وترتبط ارتباطاً وثيقاً "بديونيسوس"، تعشق الخمر والرقص، وتفرط في الجنس، تطارد الحوريات محاولة إغواءها، وتظهر بهيئة بشر لهم شعورٍ غزيرة، ووجوه لها لحىً، وسيقان وذيول جياد"[101].

وتمثل "السيرينيات" نوعاً من الجنّيات اللواتي يرمزن للغواية والضلال والغريزة الجنسية والقتل، فهن متعطشات للدماء، يسكن جزيرة سيرين، يظهرن بهيئة نساء برأس آدمي، وجسد طائر، أو على هيئة نصفها آدمي والنصف الآخر سمكي، ويمتزن بصوت عذب، وأغانٍ

---

[97] – البنعلي، يوسف: عباد الشيطان، **أخطر الفرق المعاصرة** –ط1–ط2– 1997م، ص25.

[98] – **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ص59.

[99] – **عبّاد الشيطان**، ص26.

[100] – معلوف، شفيق: عبقر–ط3– منشورات، **العصبة الأندلسية**، دار الطباعة والنشر العربية، 1949، ص59.

[101] – عبد الحميد، يونس: **معجم الفولكلور**، ص140.

ساحرة ينشدنها على القيثارة في الفلوات؛ فتجذب إليهن السفن العابرة، وينقاد الرجال نحوهن دون وعي؛ ليلقوا مصيرهم الأسود[102].

وقد ظهرت بعض الكائنات الخرافية بصورة إنسان حكيم يعلّم الآخرين، من ذلك ما يسمى بـ "القنطورس" الذي يبدو بصورة مخلوق نصفه إنسان، ونصفه الآخر حصان، وأشهرها "خيرون" معلم "أخيل" وبقية الأبطال، فقد علّم "اسكولاب" إله الطبّ الروماني فنون الطب، ودرّبه عليها حتى أصبح طبيباً [103].

وتنسب إلى هذا النوع من الكائنات "هيقاتي" "إحدى ربّات القمر والعالم السفلي في آن واحد، سيّدة الظلام، وواهبة الحكمة للبشر، راعية الساحرات، سيّدة النبوءة"[104]، "تظهر بصورة الجنية عشتار، سيّدة الموت، وعالم السحر والأشباح، من ألقابها "بريتانيا" التي ترسل عفاريتها إلى الأرض؛ كي تعذب الرجال، وتظهر في الليل بموكب مرعب مصحوبة بحشد من شيطاناتها، وكلابها المتوحشة تجوس المناطق المحيطة بالمقابر"[105]، "كانوا يتصورون صورتها على شكل ثلاثة شخوص، واقفة ظهراً إلى ظهر، تمثل الحالات الثلاثة المتوالية للقمر، فهي يقظة؛ لأنها تستطيع الرؤية في اتجاهات ثلاث في آن واحد، يقدمون لها الأضاحي؛ لاسترضائها وكفّ غضبها"[106].

وينسب إلى أبناء هذه الفصيلة "دورُ قطّاع الطرق الذين يحاولون اختطاف النساء؛ فقد حاولت القنطورات اختطاف "هيبوداميا"، عروس "بيرثيوس" ملك اللابثين" ودار صراعٌ بينهما، انهزمت القنطورات على أثره هزيمة ساحقة [107]، وقد كانت تلك الكائنات تخوض صراعاً مع أبطالها، من ذلك "أن هرقل ذهب مع زوجته إلى النهر، وطلب من القنطور نيسوس

---

102 – **لغز عشتار**، ص225، شابيرو، ماكس رودا هندرلكس: **معجم الأساطير**، ص105.

103 – **معجم الأساطير**، ص72–81.

104 – ميتامور فوزس: **مسخ الكائنات**، ترجمة ثروت عكاشة–ط2–الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ص172.

105 – لغز **عشتار**، ص223.

106 – **مسخ الكائنات:** ص172.

107 – معجم **الأساطير**، ص72.

أن يحمل زوجته، ويعبر بها النهر، فأعجب بها، وحاول أن يهرب بها، فقضى عليه هرقل بسهمه المسموم لمغازلته لها" [108]. ومن الروايات ما يُشير إلى "أن تيسوس" عرض له ذلك الحيوان الخرافي المسمى "المينوطور" بشكل مخلوق عجيب نصفه الأعلى رجل، ونصفه الأسفل نصف ثور، وله أنياب كأنياب الأسود، فقتله كما فعل هرقل[109]، ويتضح ذلك الصراع بين أبطالهم وتلك الكائنات، من خلال ما فعله "زيوس" مع "طيفون" الذي يظهر بصورة وحش، رهيب المنظر، له مئة رأس تنين، وعلى هيئة أفعى مجنحة، ذراعاه تمتدان من مشرق الشمس إلى مغربها، تنبعث من كتفيه مئات من رؤوس الأفاعي التي تمدّ أَلسنة طويلة يخرج منها اللهب الحارق، إذا زمجر رددت الجبال صوته الرهيب، واهتزت مساكن الآلهة، وإذا تحرك ارتجت الأرض وأضاء لهبها أنفاسه، إلاّ أن زيوس أثبت جدارته وتغلّب عليه، فشطره بالصواعق والرعد والبرق، وأحرق رؤوس الأفاعي، ودفع به إلى العالم الأسفل، وبقي يصدر العواصف التي تحرك المحيطات، وتغرق السفن، وتحطم ما يبنيه البشر على السواحل[110]، ويبدو أن هذا الكائن يشبه "اللابو" الذي تغلب عليه "مردوخ" البابلي، في كون كل منها يشكل مصدرَ رُعب وإزعاج للإنسان، ويثبت أنّ الصراع بين الأبطال وهذه الكائنات مستمر، والبطل الحقيقي هو من يتغلب على هذه الكائنات.

و يبرز عداء هذه الشياطين للإنسان، وحبها لقتل الأطفال، "عندما أرسل "كانسا" شيطانة تسمى "يوثانا" دهنت ثديها بالسّم، وأخذت ترضع الطفل "كرشنا" بقصد قتله، إلاّ أنه امتصّ الحياة منها فماتت،ولم يصب هو بضرر، وينسب إلى "كرشنا" قتل عدد كبير من العفاريت والشياطين بهذه الطريقة" [111].

ويبدو أنه كان لهذه الكائنات دورُ كبير في التنبؤ بالمستقبل، فقد كان "سقراط" يملك وحيّاً خاصّاً به يُعْلِمه عن المستقبل هو(Daiman) الشهير، "وقد أعلن أفلاطون أن معلمه سقراط كان

---

108 – المرجع نفسه، ص178.

109 – **معجم الأساطير**، ص169، المصري، حسن مجيب: **الأسطورة بين العرب والفرس والتــرك**–ط1– دار الثقافة للنشر، 1421هـ–2000م، ص47.

110 – **لغز عشتار**، ص144.

111 – **أساطير العالم القديم**، ص144.

يتنبأ للأشخاص عن طريق نصائح هذا الشخص"[112]، وذكر أنه كان من أصحاب الهواتف الخفية، وكان يستمع إلى هاتف يخيل إليه أنه يلازمهُ ويوحي إليه، وينفخ في روعه، ويلهمه الرشد والصواب، وتحدث اليونانيون عن جنّيات الفنون التي اصطلح على تسميتها بالعرائس، وهي منسوبة إلى الجان[113].

وقد عرف اليونانيون الكهانة والعرافة، "وأشهر كهان اليونان "أبولو" إله الشمس الذي عد إلهاً للإخبار بالغيب؛ لأنه رمز الشمس يلقي ضوءاً على طريق المستقبل المظلمة، ويقتل وحش الظلام "بيسبون" لأنه يقف في سبيل استطلاع الغيب في دلفي"[114]، وكانت العرافات إمّا فتيات، أو عجائز يعشن في كهوف، ويقدمن النصائح في كلمات غامضة؛ على أنها إيحاء من الأرباب، وأشهر العرّافات (Cybele) التي عملت كوسيلة اتصال بين الإنسان والآلهة[115]، ويبدو أن اليونانيين أعطوا الشيطان أكثر من حقه، وأنه كان شيطانَ خير ورحمة، وليس شيطان شرٍّ ورذيلة.

وما زلنا نلحظ خلطاً بين الأرواح الشريرة والآلهة أو أشباحها، فقد عدّ المصريون هذه الأرواح أشباح الآلهة التي اندثرت، وربطوها بإله الشر والظلام الذي يدعى ست أو ستان"، ممثل إله الأرواح الخبيثة، ومَلك الموت والدمار مقابل إله الخير والنور "أورنس"، فـ(ست) يمثل الشيطان؛ لبشاعة أفعاله وحبه للشر، وبغضه للخير؛ لذلك حظي بتقديس المصريين وعبادتهم، فكانت عبادة خوف ورهبة، بدليل ظهور صُوَره في معابدهم، وأعمالهم الفنية في أشكال مخيفة، "منها ما هو على هيئة حمار"[116]، مما يدلّ على أنّ أرواح الموتى سيطرت على مشاعرهم، حتى أدخلوها ضمن أنواع الجن الشريرة التي تعيث في الأرض فساداً، وتنقل الأمراض إلى الأحياء؛ "إذ تعتبر المقابر الفرعونية، والأماكن المظلمة داخل المقابر المصرية القديمة مأوى

---

112 – **معلوف**، شفيق: عبقر، ص47.

113 – العقاد، عباس محمود: **إبليس**، القاهرة، 1955، ص180.

114 – حميدة، عبد الرزاق: **شياطين الشعراء**، مكتبة الإنجلو المصرية للطبع والنشر، القاهرة، 1956، ص82.

115 – **ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص288.

116 – **عباد الشيطان**، ص18.

للجان" [117]، وما زال المصري المعاصر يعتقد أن أرواح الماء أو جنيّة البحر أو عفريت الماء هي في الحقيقة عفاريت أفرادٍ غرقى وأرواحهم، الأمر الذي يؤكد "فكرة ارتباط كل إنسان بقرين من الجن يسمى "كا" ويرمز له بذراعين مرفوعين" [118]، وقد وصف العالم الأسفل "بأنه عالم مخيف يشبه مدينة محاطة بأسوار سبعة، يقف على كل منها شيطان مخيف، وتحكم هذا العالم آلهة قاسية" [119]، وهو موطن هذه الأرواح وتلك الشياطين.

ويبدو" أن "تيفون" هو الاسم المستعار لـ "ست" الذي رمز به المصريون إلى عالم الظلام والشر، لأنه نهق بصوت أشبه بنهيق الحمار، وبسبب كلماته الخبيثة أصبح شيطاناً توحّد مع الحية فتن"[120].

ومن الآلهة التي ظهرت بصورة شيطان، "الإلهة المصرية "سخمت" وهي إلهة متوحشة انطلقت ضارية، كادت تستأصل الجنس البشري، ظهرت بمظهر "عنات" العنيفة التي قتلت الناس، وفرحت حين تطايرت رؤوسهم وأيديهم المقطعة في الهواء"[121].

ويتضح العداء بين آلهة الخير وآلهة الشرّ "الشياطين"، من خلال الصراع المستمر بين الإله "أبيب" الذي يظهر في صورة حية ملتوية تحمل في كل طيّة من جسمها مدية حادة، وتقود زمرة من الشياطين السوداء المقيمة في العالم الأسفل وإله الشمس الذي يهزمه، كما فعل "مردوخ" مع "تعامة"، ويؤكد ذلك ما قاله فريزر "عندما يهبط إله الشمس في مصر القديمة إلى موطنه في الغرب المتوهج، فإنه يجتاز قتالاً عنيفاً ضد زمرة الشياطين الذين يغيرون عليه بقيادة العدو اللدود "أبيب"، ويستمر الصراع طوال الليل، وقد يمتد للنهار، وقد كانوا يحاولون كفّ أذاه "بصنع صورة من الشمع للعدو "أبيب" في هيئة تمساح قبيح، أو حية طويلة مطوية، ويكتبون عليها اسم الشيطان بالحبر الأحمر، ويلفّ هذا التمثال بغلاف من البردي موشحاً برسمة مشابهة

---

117 – الجوهري،محمد: **علم الفولكلور**، 362/2

118 – المرجع نفسه، 373/2.

119 – عزيز، كارم محمود: **أساطير التوراة الكبرى**، ص140.

120 – عبد الحكيم، شوقي: **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية**، ص58.

121 – كريمر، صموئيل: **أساطير العالم القديم**، ص175.

ويحزّم بشعر أسود، ويقوم الكاهن بالبصق عليه، وضربه بسكين حجرية، وإلقائه على الأرض، بعدئذٍ يرفسه بقدمه اليسرى، ويحرقه في نار تتغذى بنباتات معينة، وهكذا يقضي عليه، ثم يقضي على جميع الشياطين بالأسلوب نفسه[122]، وهذا نوع من السحر التشاكلي؛ إذ يشير اللون الأحمر إلى ملك الجن الأحمر الذي يعدّ أشدّ أنواع الجن، ويمتاز بقدرته على طرد الشياطين، وجلبها في الوقت نفسه، ويؤكد ذلك ما ورد عن الساحرات المصريات "أَنهَن كنَّ يَكتُبن العهد مع الشيطان بدم الحيض"[123].

وقد نسب المصريون الأمراض إلى تلك الأرواح الشريرة التي تتسلط بقواها الخبيثة على الأجسام، فتصيبها الأمراض، وإذا قوبلت بتأثيرات أقوى منها تنهزم أمامها، وتخرج من الجسم فيشفي المريض، وكان ذلك من وظيفة الساحر، إذ ينظر إلى المرض على أنه من فعل روح شريرة دخلت الجسم، ويركز الساحر عليها إمّا بالأمر، كأنْ يقول لها: اخرجي يا كاشرة.. أو بادعاء عدم الإذعان للروح الضارة، اختفي أيتّها الميتة، فالمرض هو تقمص الشيطان للجسم، وعلاجه تلاوة الدُّقي[124]، "وقد استخدم المصريون التمائم ذات اللون الأزرق؛ لطرد الأرواح الشريرة والحماية من الحسد"[125].

وقد عدّ المصريون الأفاعي نوعاً من الجن يتشكل بشكل الأفعى؛ لإيمانهم بقدرة كل منها على التشكل والتنقل السريع؛ ولذلك شكلت الأفعى مصدر رعب وفزع لهم؛ فأخذوا يفكرون في طريقة يسيطرون بها عليها، "فلجأوا إلى التعزيم؛ كوسيلة للتخفيف من حِدّة فاعلية سَمّها أو توجيهها أي جهة يريدونها"[126]، كما قدسوها وجعلوها رمزاً للقوة والسلطان، تحت اسم (أوديس)[127] ولم تقتصر أساطيرهم على الشياطين والآلهة، وإنما تعدتها إلى الكائنات الخرافية، "ومن هذه الكائنات التي اعتقدوا بوجودها" آكل الموتى" الذي "يظهر بصورة حيوان خرافي

---

122 – فرويد، سيجموند: **الطوطم والتابو**–ط1– ترجمة أبو علي ياسين، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا،د.ت، ص102.

123 – يوسف، عمرو: **حقائق مثيرة عن السحر، المركز العربي للنشر والتوزيع**، مصر، د.ت، ص21–26.

124 – قصة الحضارة، 123/2، **السحر والمجتمع**، ص38.

125 – سيد، كريم: **تفسير الأحلام عند المصريين القدماء**، مجلة الهلال، ع 10، السنة 83 اكتوبر، 1975، ص61.

126 – **أساطير التوراة الكبرى**، ص183.

127 – **الحية في حياتنا و تراثنا**، ص44–48.

على شكل تمساح من الأمام، وأسد من الوسط، وفرس نهر من الخلف، ويسمى "أعمعم" [128]، وقد يكون هو بعبع الذي يخوّف الإنسان. "كما ظهر عند المصريين إله غريب يشبه الحمار لونه أحمر، وعيناه حمراوتان، كان يقوم بأعمال شريرة" [129].

واعتقد المصريون بالرئي والهاتف والعرافة، من ذلك ما حصل مع امرأة ابن فرعون (أسانتى) الذي كان عقيماً، فذهبت زوجته إلى المعبد، ودعت ربها أن يرزقها ولداً، ونامت ليلتها في المعبد، فرأت في منامها أن دعوتها مستجابة، وسمعت في ليلة أخرى هاتفاً يخبرها أن ابنها سيكون من أصحاب الكرامات، ويطلب منها أن تسميه "سيتوفرديس"[130]، مما يؤكد علاقة تلك القوى والأرواح بالمعابد...

وهكذا فإن آلهة المصريين القدماء تحّولت إلى جن وشياطين في معتقداتهم[131]، واعتبروا الآبار والكهوف، والأماكن الخربة من الأماكن التي يكثر فيها تواجد الجن؛ لأنها تعد إحدى المنافذ إلى العالم السفلي، ولم تختلف معتقدات المصريين عن سابقيهم، حول اعتداء تلك الأرواح على القمر، ومن حيث إيمانهم بوجود الهواتف، كما لا نستطيع أن ننفي وجود آلهة للشعر عند المصريين؛ لأنه كان للشعر عندهم منزلة عالية[132].

" وقد آمنت الشعوب الفارسية بوجود أرواح وقوى خفية، منها ما هو نافع، وهو إله النور والخير (هرمز)، ومنها ما هو ضار، وتُنْسَبَ إلى إله الشر "أهريمان" الذي قام بخلق كل الكائنات الضارة والشريرة، بما فيها الشياطين، وأخذ يؤثر في أتباعه الأشرار لينضموا إليه، ويلحقوا الأضرار ببني البشر[133]، ونسبت إليهم الأمراض والموت والقذارة والتشويش؛ وقد حظيت بعض هذه الأرواح بالعبادة والتقديس، ومن الشياطين التي حظيت بعبادتهم "ماركوشا"

---

[128] – الماجدي، خزعل: **الدين المصري**–ط1– دار الشروق، للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999م، ص221.

[129] – أرمان، أدولف: **ديانة مصر القديمة**، ترجمة، عبد المنعم أبو بكر –ط1– القاهرة، مكتبة مدبولي، 1995م، ص70.

[130] – **شياطين الشعراء**، ص80.

[131] – **علم الفولكلور**، 374/2.

[132] – **شياطين الشعراء**، ص113–114.

[133] – القمني، سيد: **الأسطورة والتراث**–ط3– المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، 1999م، ص34–35.

شيطان خبيث، سبّب خبثهُ طوفاناً مأساوياً دمر كل المخلوقات الحية [134]؛ و"يازاتا" "مجموعة من

الجن قدّست على اعتبار أنها كائنات إلهية"[135]، و"ديفاس" أرواح شريرة "جن الشرّ"[136].

ومن الشياطين التي عرفها الفرس "النسناس" الذي يعيش على ضفاف الأنهار، ويعرض للمسافر بصورة شيخ هَرِمٍ طالباً إليه إعانته على عبور مجرى النهر، فإذا حمله المسافر على كتفيه وبلغ به وسط النهر، شدّ النسناس على عنقه وأهلكه[137]، فيظهر بصورة الخائن الغدّار.

ومما يلفت النظر في المعتقد الفارسي أن الجنَّ الذكور هم الأرواح الشريرة المؤذية فقط، في حين تظهر الإناث بصورة حوريات حسناوات، وخيرّات جميلات؛ فلم يَعُدن أرواحاً شريرة مشوّهة الشكل، قبيحة الخلق، فقد جاء في الملحمة الفارسية (الشاهنامة) "أن كل (Divs) أي الأرواح الشريرة من الذكور، بينما كل (Peris) حوريات جميلات"[138].

وقد اعتقد الفرس أن حروباً وصراعات جرت بين الملوك والشياطين، من ذلك "أنّ الملك (هوشنكا) عمل على طرد الشياطين حتى ألجأهم إلى الجبال، ومنع شرّهم عن البشر"[139]، كما نسب إلى أحد ملوكهم القدامى "جمشيد" "أنه ناشب الشياطين حروباً تطاولت، وكاد يلحق بهم هزيمة ساحقة، فاستطاع أن يطردهم من المدن؛ فهاموا على وجوههم في الصحراء، فقد أذلّهم وكلفّهم بشاق الأعمال؛ "فكان منه أن أمر بتعليق أحجار الطواحين في أعناقهم، ودفعهم في الجو، فتعلقوا بين السماء والأرض"[140].

---

134 – **ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص267.

135 – **ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص301.

136 - المرجع نفسه ، ص209.

137 – **عبقر**، ص84.

138 – **علم الفولكلور**، 387/2، السيد، عبد الحليم محمود: الثنوية في التفكير، مجلة عالم الفكر، م3، ع 2، 1972-1973م، ص195.

139 – **الأسطورة بين العرب والفرس والترك**، ص98.

140 – المرجع نفسه، ص99.

وقد سجّل الشعر هذه الأحداث، من ذلك أن الشاعر "أسدى" أورد محاربة "كرشاسب" للجن في منظومة طويلة نظمها، وقف فيها على صفاته، "كما اعتزّ الفرس بالبطل (رستم) الذي قاتل الشيطان الأبيض وقهره"[141]، وقتل ملك الجن، وأَخرج كبده، ومسح به على عيني الضرير فارتد إليه بصره، وبعد أنّ فك أسر الملك "كيكاوس" من أسر الجن، بلغ من شدة إعجاب قومه به أن سمّوا قوس قزح (رستم)، تعظيماً لمكانته ورفعوه إلى عنان السماء[142]، وقد ورد "أن قبائل الجن بما فيها الملوك والشعب تجمعت لمهاجمة رستم، جاءت بكل الوسائل، وأحدثت الأمطار والثلوج والبرد بالسحر والشعوذة التي حجبت الرؤية... إلاّ أن ذلك لم يؤثر فيه فقد هجم وقضى عليهم"[143]. رغم هذا العداء والصراع لا بدّ من الإشارة إلى "أن هناك من يؤازر الملوك ويناصرهم في حروبهم ببطولة لا مثيل لها، من ذلك أن الملك "كيكاوس" لما عقد "رآمين" العزم على غزو إقليم "مازندران" استعان عليه ملكه بحليف له من الجن يسمى "سبيدوديو" ملك الجن والشيطان الأبيض، فشدّ على الإيرانيين بعدّته وعتاده ورجاله وخيوله؛ فبدّد شملهم"[144].

وهم كمن سبقهم اعتقدوا بوجود علاقة بين الحية والشيطان؛ إذ تشكل إله الشر بهيئة الحية التي ملأت العالم بسمومها [145]؛ لما تمتلكه من قدرات خارقة، كما تمثل الشيطان لآدم في صورة الحية؛ ليغريه باقتراف الإثم و الخطيئة [146].

وعدّت الغيلان والعفاريت في المعتقد الفارسي أخبث أنواع الجن، وهي كائنات شريرة، تتعرض للمسافر، فتقصيّه عن رفاقه، تظهر بهيئة الصديق، طالبة النجدة والإغاثة حتى إذا أنجدَها، عادت إلى هيئتها الأولى، وافترسته [147]، فهي قادرة على التشكلّ، مما جعلها رمز الحيلة والخداع. ومن أشهر الكائنات الخرافية التي ورد ذكرها، وَترمز إلى الشرّ والموت، "كائن

---

[141] – **عبقر**، ص81.

[142] – **الأسطورة بين العرب والفرس والترك**، ص105.

[143] – شاطر، إحسان باير: **الأساطير الإيرانية القديمة**–ط1– ترجمة محمد صادق نشأت، دار الجيل للطباعة، مصر، سنة 1965، ص90–91.

[144] – **الأسطورة بين العرب والفرس والترك**، ص68.

[145] – **الأسطورة والتراث**، ص47.

[146] – المرجع نفسه، ص50.

[147] – **عبقر**، ص81.

خرافي يدعى "لاحس القدم" يبدو شيطاناً يتسلل إلى النائم في الصحراء، ويمتص دمه من خلال إحكام فمه على أخمص قدميه ويميته" [148].

وقد رسخ في أذهان الفرس "أن الشيطان أساس المرض وأنه خلق (99.999) مرضاً، فلجأوا إلى السحر لعلاج المرضى، وكان ذلك من أعمال الكهنة الذين اعتمدوا على الرَّقى أكثر من اعتمادهم على العقاقير" [149].

وإذا انتقلنا إلى الهنود فإننا نلاحظ أن شخصية الشيطان تكاد تكون معدومة؛ لأنها انحصرت في شخصيات شريرة متمثلة في نوعين الراكشا و"البيشاش"[150]، "أمّا "الراكشا" فقد نسبوها إلى الشراذم المشردة من أبناء البلاد الأصلاء الذين صمدوا للأريين زمناً طويلاً ثم استكانوا على مضض وتربص، أو على هوان واستسلام"[151]، فأطلقوا عليها الهمج الأوليين[152] ، وتظهر الشياطين التي تنتمي لـ "راكشا" في صورة شياطين ساخرة في شكل حيوان أصغر من القط، داكن اللون، يتصدّى للمسافرين، ويضلّهم عن الطريق، قادراً على التشكل بصور عدة، وقد يظهر في صورة إنسان قوي شديد البأس، خارق القوى، في وسعه تحريك الجبال، ونقل المدن، رمز الكيد والعبث، تظهر ليلاً، تصيد من تراه وحيداً في الأماكن النائية المهجورة [153].

ويتجسدّ الشر في رئيس "الراكشا" الشيطان "رافانا" الذي يبدو "خارجاً على القانون، هاتكا لعرض النساء، له عشرة رؤوس وعشرون ذراعاً، طويل القامة، خاض معارك عدة مع الآلهة، يتحكم في الظواهر الكونية، كإيقاف الشمس والقمر بأذرعه"[154]، "وتمثل "البيشاش" في أرواح الناس الخبثاء، أو من مات حرقاً أو غرقاً، وتشكل في صورة إنسان أو قط، يعترض

---

148 – المرجع نفسه، ص82.

149 – **قصة الحضارة**، 445/2.

150 – **عبّاد الشيطان**، ص24.

151 – العقاد: **إبليس**، ص59– 64

152 – المصدر نفسه، ص59.

153 – **علم الفولكلور**، 57/2.

154 – عبد الحميد، يونس: **معجم الفولكلور**، ص128.

طريق الإنسان، ويصيده إذا التفت خلفه"[155]، فهي رمز الشر والضلال والفساد. ولم يختلف الهنود عن غيرهم؛ إذ جعلوا الشيطان بمنزلة المشجب الذي تعلق عليه كل الذنوب والخطايا، وهم يطلقون على كل من يحاول أن يلحق بهم الأذى أو يعترض طريقهم شيطاناً، ويزعمون أن الشياطين تتمثل بصور الحيوانات، "فقد تمثل الشيطان"هيرانيكشا" بصورة خنزير بري، تعرّض له "فشنو" الإله فقتله"[156]، مما يؤكد الصراع بين الآلهة والشياطين، ويبدو ذلك فيما قامت به الأم الهندية تحت اسم "كالي - ما " أي الأم السوداء عندما تصدّت للشيطان "ماهيشا" وتغلبت عليه، كما تصدّت لجيش العفاريت، وأبادته عن آخره عدا قائده الذي ما لبثت أن قضت عليه، بعد أن اكتشفت أنه أصل العفاريت، وشربت دمه؛ كي تقضي على هذه العفاريت، ورمته جثة هامدة [157]، فهي تبدو بصورة عشتار البابلية التي تمتلك وجوهاً متعددة، فهي مصدر الخوف والرعب، كما أنها هي الآلهة الحامية في أزمات الشدائد والمصاعب والكوارث.

اعتقد الهنود أن الحية من الأرواح المتشكلة؛ "فكانوا إذا رأوها في بيوتهم، احترموها وتوسّلوا إليها أن تخرج، فإن لم تخرج أحضروا إليها لبناً ونحوه، واستدعوا البراهمة لِيُكلِّمهَا، وحظيت بعبادتهم؛ لأنها تشكل عنصر الخوف بالنسبة لهم" [158].

وتأثّر الهنود باليونانيين، ففسروا الموهبة الإبداعية بأن براهما وزوجته "سارسواتي" إلهي الشعر والحكمة والخطابة والفن الجميل هما اللذان يمدانهما به[159].

ومن معتقدات الهندوس أن صياح الديكة عند الغروب، يُنْبِىءُ الناس بأن الأرواح الشريرة تغلبت على الشمس، ولكن صياحها عند الصباح، يعلن أن الشمس استردّت قوّتها،

---

155 – **عباد الشيطان أخطر الفرق الدينية**، ص24.

156 – **عباد الشيطان أخطر الفرق الدينية**، ص24.

157 – **لغز عشتار**، ص229.

158 – **الحية في حياتنا وتراثنا**، ص46.

159 – المعطاني، عبد الله سالم: "**قضايا الإبداع "قضية شياطين الشعراء وأثرها في النقد العربي**" مجلة فصول، م4، ع2، 1984م، ص14.

وانتصرت على الأرواح الشريرة[160]، مما يدّل على سيطرة هذه الأرواح على الشمس، كما نسبوا حدوث الزلازل إلى تلك الأرواح، "فالأرض مستقرة على كتف عملاق جبار، فإذا ما تعب من حملها على الكتف الواحدة، حوّلها إلى الأخر، فجعلها تهتز، حينئذ يصرخون؛ كي يُعْلموه أن الأرض ما زالت مسكونة، وإلاّ فإنهم يخشون أنه قد يضيق بعبئه ذرعاً، فيلقي به في البحر"[161].

ثم ما لبثت حكايات الجن والعفاريت أن انتقلت من أساطير فارس إلى الترك، إذ اعتقد الأتراك بوجود جنيات في الماء خلقت من إله الشر الذي يرون أنه يسكن الأرض، ويغوص في أعماق الماء، وينازع إله الخير؛ لذلك خلق لنفسه أتباعاً من الشياطين، ووصف بأنه خبيث السريرة، شديد الميل إلى الشر، ويذكر أن بعض الأتراك عبد الشياطين اتّقاء لشرها[162].

وإذا انتقلنا من معتقدات الشعوب إلى الشرائع والأديان السماوية، فإننا نلاحظ أنه كلما تقدّمت الشعوب في تنزيه الإله. استنكرت أن يصدر عنه الشرّ الذي يصدر عن الشيطان، وكلما علا شأن الأخلاق في ديانة ما اتَّضحت شخصية الشيطان، وأعطيت له صلاحيات ووظائف؛ لذلك لم يَشْعُر العبريّون الأوائل بشيءٍ يدعوهم إلى عزل الشيطان أو إسناد الشرور إليه؛ لأنهم كانوا يخلطون الشيطان بالإله، فينسبون العمل إلى الشيطان تارة، وإلى الإله تارة آخرى، فقد توحّد الشيطان مع الإله، وأسبغ عليه صفاته، فأصبحت أعماله شيطانية، وأصبح شريراً حقوداً يكره جميع الأمم التي خلقها؛ [163] فلم تستقل شخصية الشيطان، ولم تتضح معالمها في أذهانهم إلاّ بعد أن نسبوا إليه ما حدث بينهم في سيناء من صراع دموي، فظهرت صورته كإله مساوٍ لإلهم

---

160 – عبود، محمود سليمان: **الإنسان والحيوانات من الأسطورة وتقديس الحيوانات وعبادتها إلى داروين وحماية البيئة والاستثمار الأمثل لقوى الطبيعة الحية**، ترجمة محمود سليمان عبود–ط1– دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1413هـ– 1993م، ص45.

161 – فريزر، جميس: **أدونيس أوتموز**، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا–ط3– المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982، ص142–143.

162 – **الأسطورة بين العرب والفرس والترك**، ص69.

163 – عباد الشيطان، ص27، **الأسطورة والتراث**، ص37. وقد جاء في سفر الخروج "أن الإله يقررّ ابادة الشعب كله في لحظة غضب، لولا تدخل موسى، ومحاولته ردّ الربّ عن فعل ذلك، فيصرخ قائلاً: " ارجع عن حمو غضبك، واندم على إلحاق الشر بشعبك، فندم الرَّبُ على الشرّ الذي قال إنه يفعله بشعبه"، العهد القديم، سفر الخروج، الإصحاح 32، أية 13–14.

"يهوه" في القدرة، وأطلقوا عليه اسم "عزازيل"، وراحوا يقربون إليه القرابين تحاشياً لشرّه[164]، وقد تأثر اليهود بالزرادشتية، وأخذوا كل تصورات الفرس ومعتقداتهم عن الملائكة والشياطين والجن بمعالمها وأسمائها الفارسية، ويبدو ذلك في إطلاقهم على إله الشرّ لقب شيطان وإبليس، ثم ما لبثت أن تطورت الكلمة "Diabolos" حتى أصبحت علماً على إله الشر، وملاك الموت أو زعيم الهاوية السفلى فقط[165]، فأصبح الشيطان اليهودي يشبه " نمتار" وزير "اريشكيجال" الذي يعدّ إله القدر والنصيب، وقد أكد العقاد أنّ العبرانيين لم يكن عندهم فارق بين خلائق الكائنات العلوية وخلائق الكائنات الأرضية من إنسانية أو حيوانية، ولم يكن بينهما وبين الشيطان فارقٌ، بدليل أن الشيطان كان يحضر بين يدي الله مع الملائكة[166].

ويرى اليهود أن "عزازيل" اسم إله الخراب والقفار، "وهو عفريت من عفاريت الصحراء، تلقى على كاهله الخطايا والمصائب في يوم الغفران، ويروى أنهم كانوا يرسلون إليه يوم الغفران عنزة محمّلة بخطايا الشعب اليهودي"[167]، ويؤكد ذلك ما يروونه من "أنه كان زعيم الملائكة الذين هبطوا، وزنوا ببنات البشر، ثم انهزموا أمام جنود الخير، فلاذوا بالصحراء"[168].

وتظهر صورة الشيطان في اللوحات الفنية مزوداً بقرنين وحوافر وذنب، مما يؤكد أنّ عزازيل اليهود هو عزازيل الذي كان يلقب إله الهلال البابلي(سين) ثم هبط إلى الأرض [169]، ويؤكد ذلك تأثر النبي "حزقيال" في وصفه لطائفة الكروبين بما رآه إبّان الأسر البابلي من تماثيل وصور الكائنات الجنيّة المجنحة التي كانت تحرس معابد بابل وقصورها[170]، مما يبين التداخل الذي حدث لبعض الألهة المتحولة إلى ملائكة، وتأثر اليهود بالبابليين.

---

164 – **الأسطورة والتراث**، ص37.

165 – الجوزو، مصطفى: **من الأساطير العربية والخرافات**–ط2– دار الطليعة، بيروت،1980، ص21، الأسطورة والتراث، ص37.

166 – العقاد :**إبليس**، ص99، **الأسطورة التراث** ، ص45.

167 – **سفر اللأوبين، الإصحاح** 6 ، آية 8–10.

168 – **الأسطورة والتراث**، ص37.

169– المرجع نفسه، ص37.

170 – المرجع نفسه، ص44.

أما بالنسبة لكلمة الجن فقد وردت عند العبرانيين بمعنى كائنات وسطى بين الملائكة والبشر، ذوات أجنحة، تستطيع قطع الأرض من أعلاها إلى أدناها في لمح البصر، وهي طبقات وأنواع، منها الجن الطيارة، ومنها ما يشبه الملائكة أو الناس أو الحيوانات، وتتشكل في صور القطط والكلاب[171].

واعتبر اليهود الحية من الجن، معتقدين أن أصل الإنسان من الحية؛ إذْ توحّدت الشيطانة (ليليث) حواء الأولى عند السامريين بالحية التي توحّدت بالجن، ويرون أن الحية كانت السبب في إخراج آدم من الجنة [172]، ويبدو ذلك في العبارة التالية "فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشر"[173]، وقد جاء في رؤيا "اشعيا" النبي أن طائفة من الملائكة تسمى " السيرافيم" كانت تحرس عرش الرب وتسبحه، "وسيرافيم" مفردها "الساراف" و"سيراف" وتعني الحية، والشيطان واحد من هذه الملائكة، مما يؤكد أنّ هذه الحية ليست إلاّ شيطاناً [174]، وهكذا توحّدت الحية والشيطان؛ إذ تعتبر مصدر الشرّ والإيعاز به، صاحبة الغواية، فهي إذن تجمع بين الضرر الحسي والخطيئة الأخلاقية، كما "حظيت الحية بعبادة الإسرائيليين تحت اسم "سيرافيم"، مع أنها كانت سبباً في موتهم، عندما سبّبتْ خروج الحيات، عليهم حتى رفع موسى حية النحاس"[175].

ومن الشياطين التي تعدّ رمزاً للكذب والخداع "بليعالَ" الذي يقابل "بلاعول" في العربية، وتعني لا معولَ عليه، ولا أخلاق له، ولا خير فيه، ومن هنا يظهر دور الجن والشياطين، فقد "تمثّل بصورة الواشي الموغر للصدور، كما في قصة أيوب عليه السلام"[176]. إلاّ أنه لم يؤثر فيه رغم كل المحاولات، مما يثبت أن سلطته محدودة... ويبدو الشيطان رمز الموت وسببه؛ إذ جاء في كتاب الحكمة" أن الموت نازلٌ على الدنيا من جرّاء حسد الشياطين"[177].

---

171 – **الجوهري: علم الفولكلور،** 376/2.

172 –**عباد الشيطان،** ص33، العقاد: إبليس، ص94.

173 – الكتاب المقدس، **العهد القديم،** سفر التكوين، الإصحاح 3، آية، 3– 6.

174 – **الأسطورة والتراث،** ص47، لغز عشتار، ص153، بخور الآلهة، ص145.

175 – **الحية في حياتنا وتراثنا،** ص25.

176 – **إبليس،** ص95–98.

177 – **المصدر نفسه،**ص99.

ولم تختلف اعتقادات اليهود عن غيرهم، فقد آمنوا بوجود بعض العفاريت التي تعدّ عدوة للأطفال،وترغب في القرابين، "منها العفريت "شديم" الذي "ورد اسمه في المزامير من كتاب العهد القديم، وكان يضحى من أجله بالأطفال"[178]، لذلك حاولوا التخلص من أثر هذه العفاريت والأرواح بعدة وسائل، منها اعتقادهم بقدرة الحديد على طردها، وممارسة بعض الطقوس والتعاويذ التي أطلقوا عليها لفظ "مرط"، وهي أنواع، بعضها على هيئة قلب يعلق في السلسلة في العنق، وبعضها يربط بالعضد، وفي مواضع أخرى من الجسم[179] ، "وآمن العبرانيون بقدرة الكلمة التوارتية على الحماية من الجن؛ وأفعالها الضارة"[180]، وإذا كان اليهود قد نسبوا إليها المرض والأذى والشر؛ فإنهم سخروها كذلك في العرافة والكهانة والتنبؤ؛ ونسبوا إليها قضية الإبداع الفني[181]، ومما يثبت دور الموسيقى في إحضار الشياطين ما جرى مع النبي "اليشاع" "أنه كان بمصاحبة الجيش، ولم يجدوا ماءً، ودعا مغنية وأمرها بالعزف، فإذا به يأمر جنوده، بأن يحفروا خنادق في المجرى الرملي للوادي ففعلوا، وامتلأت الخنادق بالماء"[182]، فاستطاع أن يتعرّف إلى أماكن وجود الماء، وماذا يجب عليه أن يفعل، من خلال تأثير العزف على تلك الشياطين.

ويبدو أن الإله "شاؤول" كان يحاول نفي أصحاب الجان، والتوابع من الأرض، وقد أمر بذلك، إلاّ أنه سرعان ما احتاج إلى مساعدة امرأة صاحبة الجان، فراح يتوسل إليها بعد أن دبَّ الرُّعبُ في قلبه ، قائلاً: "اعرفي لي بالجان، واصعدي لي من أقول لك"، أي أنه أراد تسخيرها لما يريده، وما يعجزه اعترافاً منه بقدرتها على تحقيق مالا يستطيع تحقيقه، فقالت له: "أنت تعلم ما فعل شاؤول، وكيف قَطع أصحاب الجان التوابع من الأرض"[183].

نخلص من ذلك إلى أن الشيطان في اليهودية كائن روحي شرير، لم تتضح معالمه إلاّ ببطءٍ شديد، وأنه نشأ مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بقوى الشر التي تصيب الإنسان، ثم ما لبثت شخصيته

---

178 – **ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص234.

179 – علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**–ط2– دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، 1976، 405/6

180 – الجوهري: **علم الفولكلور**، 379/2.

181 – فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز، ص53–55.

182 – المرجع نفسه، ص53.

183 – صموئيل الأول، الإصحاح، 28 آية 8–10، فريزر: جيمس: **الفولكلور في العهد القديم**، ترجمة نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، 1974م، 47/2.

أن بدأت تتضح في الأناجيل؛ إذ أجمعت كلُّها على كون الشيطان ملاكاً سقط بسبب كبريائه، بعد أن عصى ربّه وتمّرد عليه، فخرج بصحبة آلافِ من الملائكة الذين وقفوا في صفه، وتحولوا إلى شياطين[184]، وتجمع على أنه لقب "لوسيفر" أي حامل النور والضياء؛ لكونه أكثر الملائكة جمالاً وأعظمها شأناً عند الله[185]، وقد جاء في العهد الجديد ما يؤكد ذلك "البسوا سلاح الله، كي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس؛ فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع ولادة العالم، مع أجناد الشر الرُّوحيّة في السماويات"[186].

ومن أسماء الشيطان في العقيدة المسيحية "ملاك الهاوية "بعلزبول"، بليعال، رئيس هذا العالم، إبليس القتال"[187]، "وذكر بلفظ جن وجان"[188]، وقد ورد في أحد الإصحاحات، وأمّا قوم منهم، فقالوا "ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشيطان"[189] "وأطلقت كلمة شيطان على الأرواح الشريرة التي تشكل سبباً رئيساً للأمراض، والألأم الجسدية والعقلية، والأمراض العصبية كالجنون والشلل والصرع؛ "فالأمراض رُسلُ مرسلةَ من الشيطان، وتحت إمرته وسلطانه"[190]، وهو رمز الشر والإغراء والغواية؛ إذ أكدت المسيحية أن الحيّة التي أوعزت لحواء لتأكل من الشجرة، لم تكن سوى إبليس متنكراً، أو أنها ربما حملت إبليس في فمها، فتحدّث من خلالها إلى حواء، وفي الحالتين يعزا السبب في إغوائها وإغرائها إليه؛ لأن "المسيحيين اعتبروا الحية معبوداً شيطانياً" [191]، وقد جاء في أعمال الرسل ما يؤكد ذلك: "إنه التنين العظيم، الحية القديمة، المدعوّ إبليس، الشيطان الذي يضلّ العالم"[192].

ويزعمون أنّ المسيح جاء كي ينقض أعمال إبليس، "من يفعل الخطيئة فهو من إبليس، لأن إبليس يخطىء، لأجل هذا أظهر ابن الله، لكي ينقض أعمال إبليس"[193]، واستطاع المسيح أن

---

184 – **الأسطورة والمعنى**، ص225، ص 37.

185 – المرجع نفسه، ص106، **لغز عشتار**، ص212، **عباد الشيطان**، ص28.

186 – العهد الجديد، **رسالة بولس إلى أهل أفسس**، الإصحاح 6، آية 12، **إبليس**، ص107.

187 – الأسمر، راجي: **الشياطين حقيقتها**، التحصن منها–ط1– جروس برس– طرابلس، لبنان، 1991م ص53–54

188 – رسالة يوحنّا الرسول الأولى الإصحاح الثالث، آية 8، **علم الفولكلور**، 2/ 408.

189 – **إنجيل لوقا**، آية 16.

190 – إنجيل متّى، الإصحاح 9، آية 34، **الشياطين حقيقتها، والتحصن منها**، ص58.

191 – **الأسطورة والتراث**، ص50.

192 – أعمال الرسل، **الإصحاح**، 12، أية 8.

193 – **رسالة يوحنا الرسول الأولى**، الإصحاح 3، أية 8.

يحارب الشياطين، والجن الساكنين في رؤوس الممسوسين؛ لذلك اتّهموه بأنه يشفي المرضى بمعونة ربّ الشياطين "بعلزبول":، فقال المسيح منكراً ما يقولونه:" إن كان الشيطان يُخْرج الشيطان، فقد انقسم على ذاته، وإن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله"[194]. ويتضح ذلك العداء من خلال ما أظهرته الأيقونات المسيحية من صور للسيّدة العذراء وهي تدوس الحية القديمة بقدميها، إذ اختارها الله لتقهر الحية[195].

وفيما يتعلق بأشكاله وصوره، فيظهر من خلال كتاباتهم وأعمالهم الفنية على هيئة إنسان مكسو بشعر الماعز، وله ساقا تيس، وقرنان صغيران، وأذنان مدبدبتان [196]، كما ظهر بصورة إنسان أسود البشرة، ذي عينين ينبعث منهما لهيب النار، وذي قرنين، وأظافر معقوصة، وحافر مشقوق، وبعضها في هيئة إنسان له حوافر وقرون وذيل [197]،فيبدو من ملامحه، أنّه مثير للرعب والفزع، كوحش يستدلّ من شكله على صفاته.

ولم يقتصر تأثير الشيطان على الإنسان، وإنّما حاول إغواء الإله والتعرض له، عندما نزل الله إلى الأرض في شخص "يسوع" المسيح -حسب اعتقادهم- مما يدلّ على امتلاكه قدرات إلهية[198]،واعتقد الرهبان أنه يتعقبهم في الصحراء، حيث يسيرون، يحاول النيل منهم [199]، فالشيطان يبقى شيطاناً خبيثاً، يعمل ضد البرء والقداسة، مملوءاً بالكبرياء والمكر والقسوة.

وإذا عدنا مرة أخرى إلى تقصّي صورة الشيطان عند الأمم والشعوب، وجدنا أنها تجمع على وجود إلهين اثنين أحدهما إله الخير، والآخر إله الشر؛ فالمانوية مثلاً "تعتبر المادة هي الشيطان بعينه،لأنها في رأيها هي أصل الشر[200]، واعتقدوا بوجود شياطين مختلفة، سمّوا كبير الشياطين باسم "أز" (الحرص) أو (أهريمان) الذي يعدّ شيطاناً خبيثاً، يقود مئات العفاريت الخبيثة الشريرة، فاصطدم بعالم النور"هرمزد"[201]. وقد تمثلت الأرواح الشريرة في المعتقدات

194 – إنجيل لوقا، 11، آية 19–20، **إبليس**، ص103.

195 – **ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص39.

196 – **لغز عشتار**، ص190.

197 – **الأسطورة والتراث**، ص46.

198 – المرجع نفسه، ص40.

199 – **علم الفولكلور**، 408/2.

200 – **الثنوية في التفكير**، **مجلة عالم الفكر**، م3، ع1972،2م، ص189.

201 – **الأساطير الإيرانية القديمة**، ص78–79.

الإفريقية في الجن والشياطين التي كانت تعيش وسط الغابات، وتحاول السيطرة على الأجناس البشرية بكل وسيلة، فمارس الإفريقيون الكهانة، وغيرها من الطقوس، بهدف طردها من الإنسان أو

المنازل[202].

وظهر نوع آخر من الجنيات لدى (الأشانتي)، لها قدم في أعلى رأسها، وساق معكوسة الوضع، وتصدر صفيراً بدلاً من أن تتكلم، ونظر إليها على أنها عون للأطباء في إبراء المرضى، ولها دور إيجابي في الخصب، حيث يعتقد "**السارا**" بأن هناك مردة تسمى "سو" تضع قوة النمو في البذور، وتخرج الأجنّة من ظلمات الأرحام إلى نور الوجود، وتنزل المطر، مسكنها باطن الأرض"[203]، فاعتقدوا "أن الساحر قادرٌ على التعامل معها، وعلى تعجيل سقوط المطر، وإبعاد الوباء عن الماشية؛ وضمان النصر للمحاربين"؛[204] وقد يلجأ إليها طلباً للشفاء من مرض، "ومنها ما هو ضارّ يستخدمه الساحر لإلحاق الأذى والضرر بالناس"[205].

وقد اعتقد الأوروبيون أن الأرواح الشريرة تهرب خوفاً من الديكة؛ لذلك وضعت رسومات الديكة ونصبها التذكارية فوق الأبراج وشرفات المنازل، وفوق البيوت، على اعتبار أنها حصن منيع من الأرواح الشريرة[206]، كما ساد الاعتقاد في أرجاء أوروبا والهند واليابان "أنه توجد في مفترق الطرق شياطين وأرواح شريرة، وأشباح وساحرات، ومردة من الجن، وأقزام خرافية، وجنيات تلحق الأذى بالناس، وتعرقل سير القوافل" [207]، وأكد رهبان الكنيسة الفرنسية "أن الشيطان قادر على أن يتخذ شكل أي حيوان من الحيوانات، وأكثر ما يتخذ شكل ذكر الغنم أو تيس الماعز الضخم"[208]، ورأوا علاقة بين القط والشيطان، وَقَد جسدّوا الشيطان

---

[202] – زناتي، محمد سلام: **الإسلام والتقاليد الإفريقية، دار النهضة العربية**، بيروت، 1969م، ص209.

[203] – **الإسلام والتقاليد الإفريقية**، ص207.

[204] – المرجع نفسه، ص209.

[205] – المرجع نفسه، ص206–209.

[206] – **الإنسان والحيوانات من الأسطورة وطقوس تقديس الحيوانات**، ص46.

[207] – يونس، عبد الحميد: **معجم الفولكلور**، ص194.

[208] – **الإنسان والحيوانات من الأسطورة وطقوس تقديس الحيوانات**، ص50.

بصورة القطط واعتبروها شريكة له في كل أعماله، فربطوا كل شيء يشبه القطط بالشيطان والساحر والمشعوذ[209].

وهكذا فإننا نلمس تشابهاً واضحاً بين أساطير الأمم ومعتقداتها؛ نظراً لعوامل التأثر التي شكلت منطلقاً بارزاً في الحضارة الإنسانية، وتاريخ الشعوب، ونرى أنه كان لكل أمة جن وشياطين تلعب دوراً هاماً في حياتها، لا يقل أحياناً كثيرة عن دور الآلهة، وهي تختلف بالأسماء والأفعال، بحسب عقلية الشعب، وما ورثه من معتقدات ومؤثرات وقصص، وإن وجد تشابه وخلط كثير بين الأسماء والأدوار؛ فإن ذلك ناجمٌ عن قضية واحدة، هي قضية انشغال الإنسان بقضية الخير والشر التي بدأت مع بدء استقرار المجتمعات البشرية، وواكبت مسيرتها في ارتقاء السلّم الحضاري، وما تزال مستمرة، وسوف تستمر ما استمرت الحياة.

---

209 – المرجع نفسه، ص49.

المبحث الثاني

الجن في الموروث العربي القديم

الفكر الإنساني سلسلة متصلة، يرثه جيل عن جيل مع اختلاف بفعل التطورات البشرية، فالأمم اللاحقة تتأثر بسابقتها في مختلف الجوانب، وبخاصة الفكرية، وفي المعتقدات، والعرب كغيرهم من الشعوب تأثروا بمن حولهم، فقد آمنوا بأفكار ومعتقدات، ومارسوا طقوساً وشعائر، ولم يكن تفكيرهم، بمعزل عن تيارات فكرية سواء أكانت موروثة أم وافدة، وقد أخذ الجانب الروحي حيّزاً من تفكيرهم، وملأ الجاهليون فراغهم الروحي بالإيمان بالأوثان والأصنام، فضلاً عن الإيمان بالله، والبحث في الحياة والموت.

والمتأمل في أفكار العرب الجاهليين ومعتقداتهم، يجدها فِكرَ إنسان متطور، استطاع أن يرتفع بالآلهة من أن تكون مجرد أصنام وأحجار، جاعلاً منها جناً وملائكة، تتصف بقوى خارقة، قادرة على الإتيان بالخير والشر، وتتصل بربّ الأرباب اتصالاً مباشراً.

وقد عاش الإنسان الجاهلي في عصر تنبعث فيه الآلهة والأرواح في كل ما حوله؛ فآمن بقوى خفية كثيرة، ونسب إليها قدرات خارقة تفوق قدرة البشر، وسلّم بسيطرتها على قوى الطبيعة؛ واختفائها وراء كل حركة أو ظاهرة تعرض له، فحاول التقرب منها، واسترضاءها بمختلف الوسائل والطرق، واستمالتها إليه؛ لردّ شرّها وأذاها عنه، مما دفعه إلى الاعتقاد بوجود كائنات غير مرئية وراء هذه القوى، وصفت بأنها ملائكة حيناً، وجن حيناً آخر، فقاده ذلك إلى عبادتها(210)، وقد ورد " أن قريشاً عبدت الملائكة بدعوى أنّها بنات الله" (211)، إذ زعموا أن الله تزوّج ببنات سراة الجنّ، وولد منهن بنات هنّ الملائكة؛ فالملائكة حسب زعمهم،

---

210 – زيتوني، عبد الغني: الجن وأحوالهم في الشعر الجاهلي، **مجلة التراث العربي**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق– سوريا 1991، ع44، ص188.

211 – زيتوني، عبد الغني: **الوثنية في الأدب الجاهلي**، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، 1987، ص149، الصائغ، عبد الإله: **الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام**، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، 1986ص29، **من الأساطير العربية والخرافات**، ص24 السيرة النبوية 302/1،.

"نسلُ مزدوج من الله والجن"[212]، وقد جاء ذلك في قولهم: "إن بعض العرب كانوا يعبدون صنفاً من الملائكة، يقال لهم الجن"[213]مما يؤكد تصورّهم أنّ الملائكة من الجن، وأن الجن آلهة ترقى إلى أن تكون أنداداً لله سبحانه وتعالى؛ لذلك اختلطت عبادة الجن بعبادة الملائكة، وجاءت الآيات القرآنية مؤكدة ذلك في قوله تعالى(﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾) [214]. وقوله تعالى: " وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ "[215] وزعموا أنّ بينها وبين الآلهة نسباً وقرابة " وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾"[216]

وذكرت المصادر العربية أسماء بعض القبائل التي عبدت الجن، " وأشهرها قبيلة طلحة الطلحات؛ وهو طلحة بن خويلد الأسدي، وكان خطيباً وشاعراً وكاهنا وناسباً"[217]، وقد "تسمّى بعض الأشخاص بأسمائها، مثل عمرو بن عبد الجن بن عائد، وعمرو بن عبد الجن التنوخي، وبنومليح من خزاعة"[218].

ويبدو أن الهدف من عبادتهم لها عائدُ- في الأغلب- إلى خوفهم الشديد منها؛ بدليل تحريمهم لأماكن شاسعة بكاملها، وعدم الاقتراب منها؛ اعتقاداً منهم أنها محطة أسلافهم من الجن، مثل وادي "برهوت "و"يبرين" و"صهيد" التي كانت دياراً لقبائل عاد وثمود وطسم

---

212 – المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر،** قدم له الدكتور مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، د.ت، 138/2، **المفصل في تاريخ العرب**، 709/6.

213 – **من الأساطير العربية والخرافات**، ص11 .

214 – **سورة سبأ**، آية 40–41.

215 – **سورة الأنعام**، آية100.

216 – **سورة الصافات**، آية 158.

217 – الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون–ط4– دار الفكر، د.ت، 359/1، ابن الكلبي، أبي المنذر، هشام بن محمد بن السائب: الأصنام، تحقيق، أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1384هـ–1965م، ص34.

218 – عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالالتها**– ط1– دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1994، 12/2، الأصنام، ص34.

وجديس، والتي سكنها الجن بعد هلاكهم [219]، ومنهم من عبدها إكباراً لها [220]، بدليل أنهم كانوا يتأثرون لموت ملوكهم، فقد أورد فريزر حكاية عن حادثة موت ملك الجن، وكيف " أن الشعب كانوا يضربون على طول الشرق الأوسط من تركيا حتى إيران وبغداد بالدفوف، وينوحون ويشقون ملابسهم مهيلين على رؤوسهم الطين والرُّغام "[221]؛ نستدل من هذه الحادثة على مكانة الجن ومنزلتها عند العرب، وقد عبدها العرب؛ لتكون واسطة بينهم وبين الله، ومن أجل الشفاعة، بدليل قوله تعالى على لسانهم "مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ "[222].

ونتبين من شعائرهم وطقوسهم أن عبادتهم للأصنام والظواهر الكونية، ومظاهر الطبيعة، لم تكن لذاتها؛ وإنما لأنهم يظنون أن أرواحاً تحلّ فيها، ومما عبده العرب الإله (قُزح)، وكان يُسمى بـ(قُزاح)، إله الرعد والخصب والمطر والبرق، كان موقعة قرب مكة، وقالوا:" إن قزح اسم ملَك موكل بالسحاب"[223]، ويذكر الحموي "أنه اسم للشيطان، وهو الموضع الذي كانت توقد فيه نيران الاستمطار في الجاهلية"[224].

وعبدوا اللات والعزى ومناة، وكانوا يظنون أنّ في كل واحدة منهن شيطانة تكلمهم، وتتراءى للسدنة، والدليل على ذلك أن الرسول "عليه السلام" عندما بُعِث بَعثَ خالد بن الوليد ليهدم العزى، وكانت شيطانة تأتي ثلاث شجَرات ببطن نخلة، فوجد تحت أصلها امرأة سوداء ناثرة شعرها قائمة كأنها تنوح عليهن، ويؤكد ذلك ما جرى بين خالد والسادن من حوار وخطاب[225].

---

219 – **مدخل لدراسة الفولكور والأساطير العربية**، ص131.

220 – **شياطين الشعراء**، ص67.

221 – **مدخل لدراسة الفولكور والأساطير العربية**، ص146.

222 – **سورة الزمر**، آية3.

223 – **ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص256.

224 – الحموي، شهاب الدين، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي: **معجم البلدان**، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت، للطباعة، 1376هـ– 1957م، 341/4.

225 – الأزرقي، أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد: **أخبار مكة**، تحقيق رشدي الصالح ملحس–ط3– دار الأندلس، بيروت، 1983م، 126/1 وما بعدها، الأصنام، ص25.

ومما يرجحّ العلاقة بين الجن والأوثان، ما ورد من أنّ الرسول "عليه السلام "حينما كان بمكة يدعو القبائل العربية إلى الإسلام في أثناء الحج، كان يتبعه عمه أبو لهب، ويحذر العرب منه ومِنْ دعوته قائلاً "إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزّى ومناة من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن، من بني أُقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه"[226]، فاللات والعزى ومناة إذن شيطانة، وما الشيطانة إلاّ جنيّة من الملائكة التي تزعم قريش وبعض القبائل الأخرى "أنها بنات الله تحلّ في تلك الأصنام" [227]، ويشير القرآن إلى هذه المعتقدات بقوله "**أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾**"[228].

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، وإنما اعتقد العرب أن الآلهة والأرواح، تحلّ في مظاهر الطبيعة، وتستقرّ فيها، ويمكن أن تستجيب للدعاء والتوسل والصلاة "فكانوا إذا غمّ عليهم أمر جاءوا إلى بئر قديمة بعيدة الغور، ونادوا ثلاث مرات، فإن كان ميّتاً لم يسمعوا في اعتقادهم صوتاً، وكانوا يظنون أن بعض الآبار لها ربّ يحميها، فيمارسون إزاءها الشعائر؛ رغبة ورهبة من القوى التي تحلّ بها"[229].

وزعموا أن الشياطين تدخل في بعض الكواكب؛ فعبدوها، وأقاموا لها أصناماً، وأخذوا يخاطبون من داخلها، ويستطلعون على ما سوف تنكشف عنه الأيام من خلالها [230]، وتوهّموا أن الأصنام تتكلم من خلال ما فيها من شياطين؛ والدليل قولهم "إنهم كانوا يسمعون من أجواف الأصنام همهمة" [231]، وبهذا قد تكون الهمهمة صوت الشيطان.

---

226 – ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: **السيرة النبوية**، المعروفة بسيرة ابن هشام–ط2– المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 1419هـ–1999م، 62/2.

227 – **الوثنية في الأدب الجاهلي**، ص173.

228 – **سورة النجم**، آية 19– 20.

229 – الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، شرح محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، 30/3.

230 – **الأسطورة بين العرب والفرس والترك**، ص35.

231 – الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر: **الحيوان**، تحقيق عبد السلام محمد هارون–ط3– منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان 1388هـ، 1969م، 201/6، الأصنام، حاشية ص12.

وعرف عن العرب معرفتهم بالنجوم ومطالعها وأنوائها، واعتقادهم أنّها شياطين وأشباح، فقد وصفت الأعراب النجوم بعدة أوصاف تؤكد علاقتها بالشياطين، فمنها نجوم الأنواء، ونجوم الاهتداء والسعود والنحوس... وسخّرت "لمعرفة الأمور الخافية عليهم من حاضر ومستقبل"[232]، "فكان الكهان يتنبأون بما سيقع من أمور وأحداث، بالاستدلال بحركات تلك الأجرام"[233]، واعتقدوا بقدرة الكاهن على معالجة المرضى عن طريق "طرد الشياطين من جسم المريض بالتعاويذ والتراتيل والأناشيد المقدسة"[234]، فكان عملهم هذا بمنزلة أهل العلم والفلسفة والطب والقضاء واليقين.

ومن العادات الجاهلية التي ارتبطت بالجن والشياطين التطير "الذي يبدو على صلة بعقيدة استحالة الأرواح طيوراً بعد مفارقتها الأجساد"[235]، على اعتبار "أن الجن والشياطين هي النفوس البشرية المفارقة عن الأبدان بحسب الخير والشرّ" [236]، فالغرض من الطيرة هو دفع تلك القوى التي تتلبّس ببعض الحيوانات المرتبطة بالجن، إذ آمن العرب بتلبس الأرواح في الطيور، شريرة كانت أم خيّرة، فتفاءلوا ببعضها وتشاءموا من البعض الآخر [237]،وقد يكون السبب في تشاؤمهم من البارح، اعتقادهم "أن جهة اليسار نافذة تطلّ منها الجن والشياطين؛ لتوسوس في نفوس البشر، أو مصدر شؤم وأذى"[238]، ومن الأمور التي ارتبطت بالشيطان (السحر) "إذ يعدّه البعض عملاً يقّرب فيه إلى الشيطان، وبمعونة منه، يؤدي إلى الخداع وفساد العقل"[239]، ولذلك عزوا السحر إلى كل من يأتي بشيء مدهش، كما عزوا رسالة رسول الله "عليه السلام" إلى

---

232 – **الأسطورة بين العرب والفرس والترك**، ص35.

233 – **الحيوان** ،30/6.

234 – **المفصل في تاريخ العرب**، 434/8.

235 – الأحمد، سامي سعيد: **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م، ص44.

236 – **المفصل في تاريخ العرب**، 788/6.

237 – **عبقر**، ص60.

238 –**الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص201–206.

239 – الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، مادة(سحر)، 740/6.

السحر [240]، وقد أشار القرآن الكريم إلى ارتباط السحر بالشيطان، وإلى أن الشياطين كانوا يعلّمون الناس السحر؛ ليفرقوا بين المرء وزوجه[241].

ومما يؤكد ذلك أنهم استخدموا في السحر بعض المواد التي تألفها الشياطين، كالبخور والملح والعظام، إضافة إلى حركات وتمتمات خاصة بهم، تشير إلى أن الساحر يخاطب أشخاصاً من الجن، كما كانوا يدفنونها في المقابر؛ لأنها على -حد زعمهم- أنسب الأماكن للسحر[242]، ومن هنا ارتبط السحر بالأرواح الخفية التي تهوى هذه الأماكن.

وزعم العرب كذلك أن الشعر وحي يوحى، وفن تلقيه القوى العليا على المصطفين الأخيار من بني آدم؛ فينطقون بلسان هذه القوى، ويذيعون في الناس ما تلهمهم به تلك الأرواح، وأن مع كل فحل من الشعراء شيطاناً يقول الشعر على لسانه، وقد يكون ذلك من باب اعتقادهم بتفوق الجن، وأنها تستطيع ما لا يستطيعون؛ لذلك جعلوا بين الشعراء والشياطين صلة ونسباً، وآمنوا بقدرة الجن على نظم الشعر، ورووا أشعاراً على ألسنتها، كما ذكروا أسماء شياطين معظم الشعراء[243]، ونظراً لعلاقة الشعر بالغناء فقد نسبوه إلى الجن ايضاً؛ فتخيل إليهم أن الجن توحي إليهم الغناء في اليقظة والمنام، وتلقنونهم أصول الفطنة[244]، فسيطرت الجن على ألحانهم، وإن لم يبلغ هذا الأمر مبلغ الشعر؛ فقد كان للشعر أثر لا يقلّ عن أثر السحر وخاصة الهجاء، و أطلقوا عليه رُقى الشيطان؛ تشبيهاً له بالرقية التي كان يمارسها الكاهن والساحر، مما يثبت "أن لكل منهم رئياً أو تابعاً ينفذ أوامره"[245]، وقد بيّنت الروايات أنهم كانوا يعتقدون بأن الهدف من السحر

---

[240] - **وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم، وقال الكافرون، هذا ساحرٌ كذاب"، سورة (ص)** ، آية 4.

[241] - "**وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر...... فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه**" البقرة، آية 101.

[242] - **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 744/6-745.

[243]- الثعالبي، أبو منصور محمد بن إسماعيل النيسابوري: **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل-ط1- دار المعارف، القاهرة، 1965م، ص 70-71، شياطين الشعراء، ص31.

[244]- **شياطين الشعراء**، ص190.

[245]- **بلوغ الأرب**، 366/2، **ثمار القلوب في المضاف المنسوب**، ص74.

والشعر واحد، "وهو التحكم بقوى الطبيعة الخفية، والسيطرة عليها، وتسخيرها لخدمة البشر ومصالحهم"[246].

ورَدّ بعض الكهّان الأحلام المزعجة إلى فعل الأرواح الشريرة، فزعم القدماء "أن الأحلام نوعان: أحلام من فعل الشيطان والأرواح الخبيثة، وأحلام من قبل الإلهام، أي من الآلهة"[247]. وقد مارس الجاهليون شعائر دالّة على خوفهم من هذه الأرواح، وتقديسهم لها، منها أنهم كانوا إذا أرادوا أن يسكنوا بيتاً جديداً، أو يحفروا بئر ماء، تقربوا إلى تلك الأرواح التي يعتقدون أنها تحلّ فيها وقد تؤذيهم، بتقديم الذبائح لها؛ كي يطردوا شرّها وأذاها، وقد سمّاها الرسول عليه السلام "ذبائح الجن" ونهى عنها[248].

ومن سلوكياتهم أنهم "إذا هبطوا وادياً وأرادوا المبيت فيه،- إذ كانت الأودية مظان الجان- توجهّوا إليه، قائلين: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه؛ فلا يؤذيهم أحد، وتصير لهم بذلك خفارة،[249] وكان الرجل منهم "إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل، عمد إلى وادٍ ذي شجر، فأناخ راحلته في قراراته، وعقلها، وخطّ عليها خطاً، ثم قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي، أو بعظيم هذا الوادي من الجن الليلة، ومن شرَّ ما فيه" [250].

وذلك اعتقاداً منهم أن الجان يصيبون الإنسان بضروب من الأذى، ويلحقون به أنواع الشرور، فإذا أراد أن يتحصن منهم، ولا يصيبه شيء، عليه أن يستنجد بعظيم المكان الذي ينزله كي يحميه، ويجعله في جواره.

---

[246]- **المفصل في تاريخ العرب**، 784/6.

[247]- المرجع نفسه، 784/6-785، ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**-ط3- دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص104.

[248]- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة،(د.ت) مادة(ذبح)، المفصل في تاريخ العرب، 747/6، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص69.

[249]- **الحيوان**، 217/6، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**-ط دار الكتب العربية- دار الكتب العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ- 1967م، 10/19.

[250]- **السيرة النبوية**، 153/1، **بلوغ الأرب**، 325/2، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 807/6.

ومـن معتقـدات العـرب الجـاهليين أن الجـن قبائـل وعشـائر، تتقاتـل وتتصـالح، وتعقـد الأحلاف، وقد تخوض صراعاً مع الإنس، كما حدث مع بنـي سـهم، إذ يـروى "أن رجـلاً من بنـي سهم قتل ابن امرأة من الجن، فوقعت الحرب بين قبيلة الجني المتوفى وبنـي سـهم، وقتـل الجـن مـن بنـي سـهم خلقـاً كثيـرين، فنهضـت بنوسـهم وحلفاؤهـا وعبيـدها، وصـعدت إلـى رؤوس الجبـال وشعابها، فما تركوا حية، ولا عقرباً، ولا عضاضة، ولا خنفساء، ولا هامـة تـدبّ علـى الأرض إلاّ قتلوها، حتى ضجّت الجن، فصاح صائحها يطلب وساطة قريش بينهم وبين بنـي سـهم، فتوسطت قريش، وانتهى النـزاع بينهمـا [251]، وقـد سُـموّا "بـالغياطلـة قتلـة الجـن" [252]. وقـد تخـوض الجـن صـراعاً بين قبائلهـا؛ لـذلك اعتقـدوا "أن الزوابـع عبـارة عـن الظـواهر المرئيـة لمعركـة تـدور بـين عشيرتين من الجن"[253]، كما قتلت الجن عدداً مـن الإنـس، مـنهم مـرداس بـن أبـي عـامر السـلمي، وحرب بن أمية .. وعلقمة بن صفوان بـن أميـة، إذ ذكـروا أنـه خـرج فـي بعـض الليـالي، يريـد مـالاً بمكة، فـانتهى إلـى الموضـع المعـروف "بحـائط حرمـان"، فـإذا هـو بشـقٍّ قـد ظهـر لـه، فـدار بينهمـا حوار شعري، وضرب كلٌّ منهما الأخر، فخرّا ميتين[254].

ولـم يقتصـر الأمـر علـى الصـراع والقتـال، وإنمـا زعمـوا أن الجـن تخطـف الإنسـان وتستهويه، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر مـا يحكـى مـن أن الجـن خطفـت رجـلاً مـن عـذرة، واسمه خرافة، استهوته، فلبث فيهم زمناً، ثم رجع، وأخبر بما رأى فكذّبوه، وصـاروا كلمـا سـمعوا حكاية أو نادرة من الغرائب، قالوا "حديث خرافة"، أي حديث مستملح كذب[255]، وممـن اسـتهوته

251– **أخبار مكة**، 2/15–16، **مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير العربية**، ص141.

252–المصدر نفسه: 2/15–16.

253 – **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص224.

254 – **الحيوان**، 6/602–207، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 1/320–321.

255 – **لسان العرب**، مادة (خرف)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**: ص130، زكـي، أحمـد كمـال: التشـكيل الخرافي في شعرنا القديم. مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، 1978، 5/200 ، الميداني، أبـو الفضـل محمـد: **مجمع الأمثال**–ط1– تحقيق محمد اللحام، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشـر والتوزيـع، 1422هـ– 2002م، 1/243.

الجن، طالب بن أبي طالب، وسنان بن حارثة....، وقد تعددّت معتقدات العرب في الجن، إلى درجة زعمهم، أنَّ الجن احتكموا في خلافاتهم للإنس[256].

ومن معتقدات الجاهليين أن الجن تخالطهم، وتتكلم معهم، وتتزاوج منهم وتناسلهم؛ فيرون "أن الجنيات إنما تعرض لصرع رجال الإنس على جهة التعشق والسفاد، وكذلك رجال الجن قد يعرضون لنساء بني آدم" [257]، ويؤكد ذلك انتساب بعض القبائل للجن مثل بني مالك، وبني شيصبان، وبني يربوع الذين تسموا ببني السعلاة؛ إذ يروى أن "عمرو بن يربوع تزوّج الغول وأولدها بنين وبنات، ومكثت عنده دهراً، فكانت تقول له، إذا لاح البرق من جهة بلاد قومي، فاستره عني، فإني إن لم تستره، تركت ولدك عليك، وطرت إلى بلاد قومي، فكان عمرو كلما بَرق البرق، غطّى وجهها بردائه، فلا تبصره، فغفل عَنها ليلة وقد لمع البرق، فلم يستر وجهها، فطارت، ومن هنا أصبح بنو عمرو، يدعون ببني السعلاة"[258].

وزعموا أن للجن دوراً كبيراً في تعليم الإنس أنواعا من الطبّ أو غيره، من ذلك ما حدث مع أمية بن أبي الصلت، وقد كان له قرين أو تابع من الجن، "فخرج في عير من قريش، فمرّت بهم حية فقتلوها، فاعترضت لهم حية أخرى، تطلب بثأرها، وقالت قتلتم فلاناً، ثم ضربت الأرض بقضيب، فنفرت الإبل، فلم يقدروا عليها إلاّ بعد عناء شديد، فلما جمعوها، جاءت فضربت ثانية، فنفرت، فلم يقدروا عليها إلاّ بعد نصف الليل، ثم جاءت فضربت ثالثة، فنفرت فلم يقدروا عليها، حتى كادوا أن يهلكوا بها عطشاً وعناء، وهم في مفازة لا ماء فيها، فقالوا لأمية بن أبي الصلت: هل عندك من حيلة؟ قال: لعلها، ثم ذهب حتى جاوز كثيباً، فرأى ضوء نار على بعد، فاتبعه، حتى أتى على شيخ في خباء، فشكا إليه ما نزل به وبصحبه، وكان الشيخ جنياً فقال: اذهب، فإن جاءتكم فقولوا "باسمك اللهم سبعاً" فرجع وقد أشرفوا على الهلكة، فأخبرهم بذلك، فلمّا جاءتهم

---

256 – الشبلي، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله: **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، تحقيق أيمن البحيري–ط1– مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1995، ص112.

257 – **الحيوان**، 6/217–218.

258 – المصدر نفسه، 6/217–218.

الحية، قالوا ذلك، فقالت: تُباً لكم، من علّمكم هذا؟! ثم ذهبت، وأخذوا إبلهم، وكان فيهم حرب بن أمية بن عبد شمس جد معاوية، فقتلته الجن بعد ذلك بثأر الحية." [259]

وهكذا تعلّم أمية بن أبي الصلت كلمة سحريّة (باسمك اللهم) تغلبّ بها على الجن، وتتضح من خلال القصة علاقة الجن بالحية، فقد كانت الحية التي قتلوها جناً، والحية التي اعترضت لهم جناً آخر جاء يأخذ بثأره.

لذلك كانوا يتجنبون قتل الحية خوفاً من ثأر الجن لها؛ فإذا قتل شخص ما ثعباناً، فإنهم يأخذون رُوثهُ ويفتونه على رأسه، ويقولون رَوْثةُ راثٍ ثائرك، وقد يُذَرُ على الحية المقتولة يسيرٌ من الرماد، ويقال لها قَتْلُكِ العين فلا ثائرَ لك[260].

وكانوا كذلك إذا مرض شخص، وطال مرضه، ردّوا طول مرضه إلى مسّ الجن الذي يهاجمه بسبب قتله حيّة، "عملوا جمالاً من الطين، وجعلوا عليها جوالق، وملئوها حنطة وشعيراً وتمراً، وجعلوا تلك الجمال في باب جحر إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس، وباتوا ليلتهم تلك، فإن أصبحوا، نظروا إليها، فإذا رأوا أنها بحالها، قالوا: لم تقبل الديّة، فزادوا فيها، وإن رأوها تساقطت، وتبدد ما عليها من الميرة، قالوا: قد قبلت الديّة، واستدلّوا على شفاء المريض، وفرحوا، وضربوا بالدفّ"[261] ومن مزاعم العرب الجاهليين، أن الغيلان تعترض الطريق عليهم، وتوقد النيران بالليل؛ للعبث والتخيل، وإضلال السابلة، فقد روي "أن عمر بن الخطاب شاهد في بعض أسفاره إلى الشام غولاً، وأن الغول كانت تتغول له، وأنه ضربها بسيفه"[262].

ويتجسّد جانب الشّر فيما ينسبون إليها من الأمراض الخبيثة والخطيرة، فقد زعموا أن الجنون وسائر الأمراض العصبية تحدث بسبب دخول الجن والشياطين في جسد الإنسان، وسيطرتها عليه؛ لذلك لا يمكن شفاء من أصابه مس من الجن، أو لوثة في العقل إلاّ بإخراج تلك

---

[259] – المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1965، 135/2.

[260] – **بلوغ الأرب** 313/2، **المفصل في تاريخ العرب** 812/6.

[261] – المصدر نفسه، 358/2، المرجع نفسه، 812/6.

[262] – **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، 135/2، زكي، أحمد كمال: الأساطير دراسة حضارية مقارنة–ط2– دار العودة، بيروت، 1979م، ص66–68.

الأرواح المسيطرة على المريض من جسده، فكان علاجها من واجب الكهنة[263]. وزعموا، أن الطاعون وخز الشيطان، وكانوا يسمونه رماح الجن[264]، وقد قال الرسول "صلى الله عليه وسلم": "الطاعون رجز أو عذابٌ أرسل على بني إسرائيل، أو على مَنْ كان قبلكم، فإذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليها"[265]، و لا يخفى أن الرجس من الشيطان. ومن معتقداتهم "أن الشيطان يلطم الإنسان على وجهه فيعوّج شدقه، وعلى عينه فينقلب جفنه ويتشنج؛ فكانوا ينادون من به لقوة أو شتر، يا لطيم الشيطان" [266]، وزعموا أن عين الجن اشدّ تأثيراً من أعين الإنس، وأن الشيطان يعشق المرأة من الإنس، وأن نظرته إليها عن طريق العجب بها أشدّ عليها من حمّى أيام[267]، وقد أثبت القرآن الكريم هذه المعتقدات، بقوله: "أو **كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ** "[268].

واعتقد العرب "أن السفعة [269] هي نظرة الجن، والمسفوع هو المعيون"[270]، ومن معتقدات العرب أن الكلاب من الجن؛ لذلك قد تصيب عيونها الإنس، فقد أورد الشبلي عن ابن عباس، قوله: "الكلاب من الجن، فإن غشيتكم عند طعامكم؛ فألقوا لهن، فإن لها أعْينا، وقيلّ نفساً" .(271)

وقد تجسّد عنصر الشر في العزى؛ إذ اعتقدوا "أنها شيطانة (إلهة ضارة) تؤذي من يسيء إليها، فربما جدعت الأذن، وشلّت الأيدي، وسلبت العقول"[272]، فقد أخذ سادنها يخوفّ

---

263 – **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 410/8.

264 – **الحيوان**، 219/6، **ثمار القلوب في المضاف المنسوب**، ص68، آكام المرجان في غرائب الاخبار وأحكام الجان، ص139.

265 – النيسابوري، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري: **صحيح مسلم**، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، د.ت، 1737/4.

266 – **الحيوان**، 178/6.

267 – المصدر نفسه، 217/6–218.

268 – **سورة الأنعام**، آية71.

269 – السفعة: العين، ويقال به سفعة من الشيطان؛ أي مسّ، **لسان العرب**، مادة (سفع).

270 – **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، ص141، المفصل في تاريخ العرب، 753/6.

271 – **الحيوان**، 131/2، الشبلي، بدر الدين أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله: غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن و السنة، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ت، ص36،.

272 – **الوثنية في الأدب الجاهلي**، ص140.

خالد ابن الوليد، عندما أراد تدميرها، وقطع شجرتها، قائلاً: "يا خالد، احذرها، فإنها تجدع، وتكتّع، أي أنها تقطع الأعضاء، وتشلّ الأيدي"[273]، وعندما أخذت قريش تصيح "يا عزّى خبليه، يا عزّى عزّريه، وهو لا ينثني عن تهاويلهم، كما قيل إنّها حرقت فخذه"[274]، وشاع "أنها تفشي في جسم الإنسان أخبث الأمراض، وتسمه بأشنع العاهات، وتؤدي به إلى الصرع والجنون، أو تذهب ببصره"[275]، ويؤيد ذلك أيضا ما روي عن ضمام بن ثعلبة " أنه لما أسلم قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أول الجنون" [276]، وقد روي عن امرأة رومية تدعى زنيرة، كانت بمكة، فأسلمت ثم عميت، فقال المشركون: أعمتها اللات والعزى، وقالوا: "ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى"[277].

وهكذا نسبوا إلى الجن والشياطين معظم الأمراض وأخبثها، الأمر الذي دفعهم إلى التفكير بإيجاد وسائل للتغلب على تلك القوى، والحدّ من ضررها؛ فوجدوا أن استخدام الرقى والتمائم والتعاويذ خير وسيلة لتنفير الجن وإبعاد العين، مع ثقتهم التامة بأن هذه المعتقدات يتوقف مفعولها عندما يأتي الموت[278]، وهذا يؤكد قداسة الكلمة، وأثرها في تلك الأرواح والمخلوقات.

ومن التعاويذ التي اعتقدوا أنها تؤثر فيها ما يسمى بـ النُّشرة، "وهي ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان يظن أن به مساً من الجن، وسميت بذلك لأنه ينشر بها عنه؛ أي يحلّ عنه ما خامره من الداء، وتبعد عنه الأرواح الشريرة المسبّبة له، وهي نوع من السحر،[279] كما "أنها من عمل الشيطان" [280]، ومما يدل على إيمانهم بقدرة التمائم على ردّ أذى الأرواح الشريرة ودفع العين عنهم؛ " أنهم كانوا يضعون خرزة سوداء في عنق الصبي تسمى الكحلة؛

---

273 – المرجع نفسه، ص140.

274 –**ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص22– 23، عبقر، ص30.

275 – **الوثنية في الأدب الجاهلي**، ص141.

276 – المرجع نفسه، ص141.

277 – **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 183/6، الوثنية في الأدب الجاهلي، ص144.

278 – القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، 10/19.

279 – **الحيوان** 185/4، تاج العروس، مادة (نشر)، **المفصل في تاريخ العرب**، 747/6، بلوغ الأرب9/3.

280 – الحلبي، علي حسن وآخرون: **موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة**–ط1– مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ–1999م، 5/ 179.

لحمايته من العين"[281]، "وكانت النساء "تتخذ حوطا من خيط مفتول من لونين أسود وأحمر، يضعن فيه شيئاً من الخرز، فيشددنه على وسطهن حرزاً من إصابة العين، ومن تلك الأرواح"[282]، وقد يكون ذلك من باب السحر التشاكلي؛ لأن اللون الأسود والأحمر أحب الألوان إلى الشيطان.

ومن الوسائل التي استخدمت لحماية الوليد من الجنون والأمراض، أنهم كانوا "إذا ولدت المرأة يأخذون من دم السمرة، وينقفون بين عيني النفساء، ثم يخطون على وجه الصبي خطاً، فيزعمون أنْ الجن يرهبون منه، ولا يؤذونه "[283]؛ لأنهم اعتقدوا أن السَمَرة هي شجرة العزى، وهذا هو دم العزّى.

وقد اتخذ الجاهليون من الحيوانات ذات العلاقة بالجن وسائل وتعاويذ لدفع شرّها، من ذلك اعتقادهم "أن كعب الأرنب وسن الثعلب، وسن الهرّة، وحيض السمرة من منفرات الجن، فقالوا من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين، ولا سحر، وقيل لم تَصبه جنان الحيّ، ولا عُمار الديار، ولا شيطان الحماطة، ولا غول القفرة، وتطفيء عنه نيران السعالي ولا يُصيبه جان العشرة، وذلك لأن الجن تهرب من الأرنب؛ لأنها تحيض وليست من مطاياها" [284]، فكأن لكعب الأرنب قوة سحرية تمنع وصول أيّ نوع من أنواع الجن، ولم يقتصر تعليقها على المريض، وإنما علقوها على السليم دفعاً للأذى، وعلى المريض أملاً بالشفاء، ويقول القلقشندي " وكانوا يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفه، فعلق عليه شيء من ذلك سلم من آفته، وأن الجنيّة إذا أرادته لم تقدر عليه"[285] ، ولا تزال هذه العادات الأسطورية القديمة، منتشرة في بلادنا، كتعويذ الطفل من العين بخرزة زرقاء، وكف عليها شعار "عين الحاسد تبلى بالعمى"، الذي يماثله تعويذ الأطفال بسن ثعلب وسن هرةً.

---

[281] – **بلوغ الأرب**، 7/3، تاج العروس، مادة (كحل)، **المفصل في تاريخ العرب**، 751/6، 352/5.

[282] – **عبقر**، ص71.

[283] – **بلوغ الأرب**، 325/2، الوشم والوشي في الشعر الجاهلي، ص24.

[284] – **الحيوان**، 357/6، الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد: **المستطرف في كل فن مستظرف**–ط جديدة ومنقحة– دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت، 85/2.

[285] – القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**–ط1– شرحه وعلق عليه، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ– 1987م، 462/1.

ومن معتقدات الجاهليين تجاه السليم تعليق الحليّ والجلاجل عليه؛ ليشفى بذلك، حتى لا ينام بوجودها، ولا يستطيع السمّ السريان في جسمه فيهلك، وللمادة المصنوع منها الحلي أثر في الحياة والموت؛ "فإن كانت الحلي ذهباً شفي، وإن كانت رصاصاً مات"[286].

ومن المنفرات التي استخدمها العرب، ليحفظوا أبناءهم من أعين الإنس والجن "عادة تغريب الأسماء، فقد قال عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي أنّ بعض العرب قال لأبي: إذا ولد لك ولد فنفّر عنه، فقال له أبي: وما التنفير؟ قال: "غرّب اسمه، فولد له ولد، فسماه قنفذا، وكناه أبا العداء"([287])؛ وذلك لأن القنفذ من مطايا الجن، فيعتقدون أنها لا تؤذيه، فالتنفير إذن تسمية الأبناء أسماء غريبة، ولا سيمّا حيوان تركبه الجن؛ لتنفر منها الجن، ولا تقترب منه، ومن هنا جاءت أسماء القبائل كلب وثور وضب وأسد وغيرها[288].

ومن معتقداتهم "أن الملك غير منتسب إلى الإنس، وإنما هو ملك نزل من السماء، وفعاله عظيمة لا يقدر على مثلها أحد "[289] "وأن أبطال الملاحم كائنات إنسانية ذوو قدرات خارقة لمعاونة الآلهة وأشباه الآلهة لهم "[290]، لذلك اعتقدوا "أن دماء ساداتهم شفاء من الكَلَب" [291]؛ فكانوا إذا أصاب الرجل الكلب، قطروا له دم رجلٍ من بني ماء السماء؛ كي يطردوا الأرواح الشريرة عنه[292].

واعتقدوا "أن شرب دم الملوك يشفي من الخبل" [293]؛ مما يثبت "أنّ الملوك والرؤساء والأبطال والسادة يمتلكون قوى سحرية، يستطيعون بها دفع الأذى والمرض عن المريض" [294]، وبلغ بهم الحد إلى تقديس هذه الفئات من الناس.

---

[286] – **الحيوان** 247/4، بلوغ الأرب، 304/2، **المفصل في تاريخ العرب**، 812/6.

[287] – **المفصل في تاريخ العرب**، 520/1.

[288] – **بلوغ الأرب**، 325/2.

[289] – **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص83.

[290] – المرجع نفسه، ص126.

[291] – الكَلَبْ: داء يصيب الإنسان والإبل، سببه روح شريرة تحل فيه، شبيه بالجنون، **لسان العرب**: مادة (كَلَب).

[292] –الحيوان، 5/2، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: **الاشتقاق**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون–ط1– دار الجيل، بيروت، 1991م، 20/1.

[293] – الخبل: مرض يحدث بسبب نوع من الجن، يسمى الخبل والخابل، **لسان العرب**، مادة (خبل).

[294] – أمين، أحمد: **فجر الإسلام** –ط11– مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص39.

وكانوا يخشون الظواهر الطبيعية؛ لما فيها من أرواح شريرة وشياطين؛ فقد وقفوا بخشوع للهلال عند ظهوره، وسجدوا للشمس عند طلوعها، وتوسطها وغروبها، فكأنّ الشيطان يقارنها في هذه الأوقات؛ ليمنعهم من عبادتها والسجود لها، وتقع عبادتهم وسجودهم له وليس لها[295].

وقد أثبت الرسول الكريم ذلك، بقوله عن الشمس "**إنها تطلع بين قرني شيطان، وتغرب بين قرني شيطان**"[296]، وتتجلى مظاهر خوفهم من الظواهر الكونية في عبادتهم لها، وخاصة البرق فقد عبدوه؛ معتقدين أنّ فيه قوى خفية تتحكم في سقوط المطر، فكانوا إذا امتنع المطر يتقدمون له بأنواع الشعائر لاستنزاله، وقد أشار الجاحظ إلى ذلك بقوله:"كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات، وركد عليهم البلاء، واشتد الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار، اجتمعوا، وجمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع[297]، و العُشُر[298]، وصعدوا بها جبلاً وعراً، وأشعلوا فيها النيران، وضجّوا بالدعاء والتضرع؛ لأنهم يرون أن ذلك من أسباب السقيا[299]، وتشير بعض المصادر إلى أنهم "كانوا يُصعدون البقر في جهة الغرب دون الجهات الأخرى، وذلك كي تقترب من الآلهة التي تسكن السحب الغربية، حيث تثور الأمطار، وهي جهة الجن والشياطين"[300]. وقد علّلوا إضرام النيران في أذناب البقر، بقولهم: "إنما فعلوه على سبيل التفاؤل؛ لأن النار إشارة إلى البرق، والبرق مجلبة للمطر" [301]، ومهما يكن فإن هذه الطقوس ما هي إلاّ تطورّ لطقوس واحتفالات قديمة، تتصل بالاستسقاء، وعباده الثيران المقدسة، وكون الثور

---

295 – **بلوغ الأرب**، 216/2، **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص146، قوله تعالى:"لا تسجدو للشمس ولا للقمر" سورة فصلت آية 37.

296 – البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: **صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 149/4.

297 – السّلع: نبات، وقيل شجر مرّ، له ورقة صغيرة، **لسان العرب**، مادة (سلع).

298 – العشر: من كبار شجر العضاء، وهو ذو صمغ حلو وحراق يقتدح به، اللسان، مادة (عشر).

299 – **الحيوان**، 466/4، المفصل في تاريخ العرب، 815/6.

300 – **المفصل في تاريخ العرب**، 341/5

301 – أبو سويلم، أنور: **المطر في الشعر الجاهلي**–ط1– دار الجيل، بيروت، 1407هـ 1987م، ص93.

رمز الخصب والخير والعطاء.. [302] واعتقد العرب الجاهليون أنّ في النيران قوى سحرية قادرة على إشفاء المرضى، من ذلك "نار السّليم التي توقد للملدوغ والمجروح ومن عضه الكلب؛ لكي لا ينام، فيشتد به الألم فيهلك"[303]، ومما يؤكد القوى السحرية الموجودة في النار، "ما زعموه في العزّى أنها رمَتْ خالد بن الوليد بالشرر، وقذفته بنيرانها الكامنة فيها، وقالوا: إنّها عقوبة على ترك عبادتها وإنكارها"[304]، وكذلك ما وَرَدَ عن نار السعالي والجن والغيلان التي توقدها- على حدّ زعمهم- للعبث والتخيل، وإضلال السابلة، وأنها ترفع للمتقفر ويتبعها؛ فتهلكه وتهوي به الغول [305].

ويعدُّ الوشم واحدة من التعاويذ التي مارسها العربي، لطرد الأرواح الشريرة، ودفعاً لأذاها، مما يؤكد "أن الوشم هو إفراز لعالم السحر، والغيب المجهول"[306]، فوصف بقايا الديار بالوشم ما هو إلا "تعويذة سحرية تحمي الطللِ من الزوال والاندثار"[307]، ويؤكد ذلك نهي الرسول "عليه السلام" عنه بقوله"لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة"[308].

ومن معتقداتهم "أن الجبال كانت مسكونة بالأرواح التي قد تسبب الأذى لمن لا يعملُ على اتقاء أذاها، وترضيتها "[309]، لذا نظروا إليها نظرة مقدسة ممزوجة بالخوف، ومن مزاعم العرب "أن الجن تركب الثيران، وتصدّها عن الماء حتى تمسك البقر عن الشرب فتهلك؛ لذلك يضربون الثور إذا امتنعت البقر عن الشرب، كي تهرب الجن ويشرب، فتلحقه البقر [310]، ويرون أن الشيطان يركب قرني الثور؛ " فاتخذوا من الثيران تعويذة سحرية في طقوس

---

302 – أبو سويلم، أنور: **مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي**،دار عمار، عمان، 1410هـ، 1991م، ص158.

303 – النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**. طبعة مصورة بالأوفست عن دار الكتب المصرية، القاهرة، 1983. 336/2

304 – **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص22، عبقر، ص30

305 – **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 467/1.

306 – **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص271.

307 – المرجع نفسه، ص269..

308 –**صحيح مسلم**، 1677/3.

309 – **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص168.

310 – **الحيوان**:160/1.

الاستسقاء"[311]، وكانوا يضعون في الواحات جمجمة ثور قائمة على مداخل البيوت، أو على الجدران المحيطة ببساتين النخيل؛ لحمايتها من الحسد، وهذا يُدَلِّل على عبادة الثيران التي تجمع بين السحر والدين"[312]، وعلى ما يرمز إليه الثور من الخصب و الحياة والقوة وعلاقته بالشيطان.

كما اعتقدوا أن الأشجار مسكونة بالجن والملائكة، لذلك حرّموا قطع أغصانها، وكانوا يحجون إليها، ويتقربون منها بالضحايا، ويعلقون على أغصانها اللحم والخرز، ويعتقدون بقدرتها على شفائهم من الأمراض [313]، وساد الاعتقاد عندهم أن قطع الأشجار المسكونة، سوف يؤدي إلى غضب الأرواح، بخروجها من مسكنها- كما فعلت العزّى- التي خرج منها عند قطعها شيطانة[314]، وكانوا يتقربون إليها بالقرابين والنذور؛ اتقاء لشرها، ويندرج تحت هذا المعتقد ما يسمى بـ "تعقاد الرّتم"؛ وهو أن الرجل إذا عزم على سفر، كان يعمد إلى شجرة؛ فيعقد غصنين منها، أو يعقد خيطاً في غصن شجرة أو ساقها، فإذا عاد ووجد الخيط على حاله، علم أن زوجته حفظت غيبته، ولم تَخُنْه، وإن لم يجده، أو وجده محلولاً، قال إنها خانته، وهذا ما يسمى بالرّتم أو الرتيمة، ويعزون ذلك إلى الجن والأرواح الخفية التي تسكنها[315]، "فكان العربي يجعلها رقيباً وحارساً على زوجته في مدة غيابه"[316].

ومن الطقوس التي مارسها الجاهليون، وكان لها علاقة بالجن أنهم كانوا "إذا دَخَلَ أحدهم قرية، وخاف من جن أهلها، أخذ يعشّر كما يعشّر الحمار في نهيقه، ثم دخلها، ولم يصبه

---

311 – الشورى، مصطفى عبد الشافي: **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، الشركة المصرية العلمية للنشر، لونجمان، 1996، ص122.

312 – **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص122.

313 – **في طريق الميثولوجيا عند العرب**: ص111، القيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**–ط1– دار الإرشاد، بيروت، 1970، ص69.

314 – **الوثنية في الأدب الجاهلي**، ص140

315 – **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 465/1، **بلوغ الأرب**، 316/2–317، القزويني، زكريا: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق فاروق سعد–ط4– دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981م، ص227.

316 – خان، محمد عبد المعيد: **الأساطير العربية قبل الإسلام**–ط1– لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1973، ص52.

شيء"[317]، وقد يكون سبب التعشير كون الحمار ينهق إذا رأى شيطاناً، بدليل ما ورد عن النبي "عليه السلام" قال: "إذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً"[318].

وكان الإنسان الجاهلي "إذا ضلّ بالصحراء رغم خبره بها، ينسب ضلاله إلى قوى خفية شريرة، فأخذ يتعوذ منها بإسلوب معين، كأن يقلب قميصه، ويصفق بيديه، كأنما يومئ إلى إنسان ليهديه"[319]، وقد يكون ذلك من باب التسلية لنفسه، بسماع صدى يديه؛ أو ليتوهم أن إنساناً يسمع تصفيقة يديه، فيسرع إليه؛ ليعينه، أو لتهرب القوى الخفية؛ لأن الشياطين تهرب من الصوت والضجيج[320]، ويقترب من هذا ما كان يفعله برقية الحيوان؛ كي يهتدي إلى طريقه بعد ضلال، فيقول متعوذاً صائحاً في أذن ناقته "الوحا الوحا ،النجا النجا، العجل العجل، الساعة الساعة، فكأنه يتعوذّ بذلك من شرّ الضلال ومغبته"[321]، فكأنه بذلك يضمن الهداية إلى طريقه.

ومن العادات القديمة الجاهلية التي يقوم بها الكاهن والساحر "معالجة المرضى، بواسطة السحر بالنفث على المريض أو في فمه، وبإمساك رأسه أو الجزء المريض، لقراءة شيء عليه يضمن شفاءه"[322]، وهي طريقة من طرق السحر الجاهلي، دلّت عليها الآية القرآنية "**وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤**"[323] وكان الساحر يشفع سحره بطقوس، أو بحركات خاصة، وبتمتمة تلقي في الروع أنّ الساحر يقول شيئاً، ويخاطب أشخاصاً هم الجن، واعتقدوا " بالتنبؤ بالتفرّس في الأشباح التي تظهر على الماء، أو الزيت المصبوب في الأقداح، أو الحركات التي تظهر على سطح السائل بعد رمي شيء منه؛ لمعرفة الأسرار والمغيبات والأجرام كالسرقات"[324].

---

317 – **الحيوان**، 358/6، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 464/1.

318 – البخاري: صحيح البخاري، 155/4.

319 – **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،461/1–462، **بلوغ الأرب**، 316/2.

320 – فريزر، جيمس: الفلوكلور في العهد القديم، 228/2.

321 – خليل، أحمد خليل: **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**–ط2– دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، 1980، ص20.

322 – تاج العروس، مادة (نفث)، **المفصل في تاريخ العرب** 743/2.

323 – **سورة الفلق**، آية 4.

324 – **المفصل في تاريخ العرب**، 782/6.

"وكانوا يعتقدون بالمسخ وهو تحويل صورة إلى أخرى أقبح منها، وتحويل إنسان إلى حيوان أو حجر، ولهم اعتقادات في مسخ الأطفال، وتبديل الجن لهم بأولادهم ذوي العاهات، وقد زعموا أن اللات صنم ثقيف، كان في الأصل يهودياً، يلتّ السويق[325] في (الطائف)، فمسخ حجراً، عُبِدَ، فصار (اللات)"[326]، ومن العادات التي مارسوها، "أنهم كانوا إذا بلغت إبلهم الألف، فقأوا عين الفحل، فإن زادت الإبل على الألف فقأوا العين الأخرى"[327]، ويرى النعيمي أن هذه المعتقدات، لا بدّ أن يكون لها امتدادات أسطورية ضاعت أصولها، ترتبط بالقوى الخفية من الجن والشياطين؛ لكون هذه القوى قاسماً مشتركا بينها [328]،ومن طقوس التطهير الجماعية التي كانوا يمارسونها بهدف طرد الشّر والشؤم والأرواح الشريرة عن كل من القبيلة والمدينة معاً، ما ذكره ابن الكلبي في معرض حديثه عن محاولة اتقائهم شؤم الغراب،"أن قبيلة "عك" كانوا إذا خرجوا حجاجاً، قدّموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم يصيحان: نَحنُ غُرابا عَكّ !

فتقول عَكّ من بعدهما: عَكٌّ إليكِ عَانَيِهْ عَبادُكِ اليَمَانَيِهْ

كَيْما نَحجُّ الثانِيَهْ على السّداد المُناجِيَهْ[329]!

مما يؤكد تشاؤمهم من الغراب، وحرصهم على لفت أنظار الأرواح الشريرة إلى هذين الغرابين عن القبيلة، وهذا يؤكد ما ذهبت إليه بعض المعتقدات الشعبية من "أنّ الشيطان يظهر في هيئة غراب، وأن بعض الغربان تقوم بمهمة رسول إبليس" [330].

ومن عاداتهم أنهم كانوا "إذا وقع العرّ في إبلهم، اعترضوا بعيراً صحيحاً لم يقع ذلك فيه، فكووا مِشفره وعضده وفخذه كي يَشُمَّ رائحتَه بريء؛ فيبرأ، وربّما زعموا أنّه يؤمن معه العدوى"[331].

---

[325] – يلت السويق: يخلطه، والسويق: ما يتخذ من الحنطة والشعير، **لسان العرب**، مادة (سوق).

[326] – **المفصل في تاريخ العرب**، 819/6.

[327] – **بلوغ الأرب**، 306/2، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 459/1.

[328] – **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص189.

[329] – **الأصنام**، ص7، البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني للهجرة** (دراسة في أصولها وتطورها)–ط3– دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، ص50.

[330] – **الفولكلور ما هو؟** ، ص107.

ومما يؤكد علاقة الجن بالحية، "اعتقادهم أن الحيات كانت مصدر مساعدة أو تهديد؛ اعتماداً على طبيعة الأرواح التي تحملها، ونوايا الناس التي تواجههم"[332]؛ فهي تكافئ من يفعل خيراً معها، ولا

تنسى ذلك، كما حدث مع عبيد بن الأبرص والشجاع[333].

نخلص من ذلك إلى أن العربي في عبادته للآلهة الممثلة في الجن والشياطين أحياناً والقوى الخفية، ورهبته منها، وتقديسه للظواهر الكونية والمظاهر الطبيعية؛ إنمّا هو ساعٍ إلى تحقيق رغباته، ودفع الأذى عنه، وتبديد مخاوفه وقلقه، فإذا ما تكفل أشخاص بعينهم بتلبية تلك البواعث، عظموا في نفسه، فلا عجب أن يكفل لهم الثناء، ويحيطهم بهالة من التعظيم، شأنهم في ذلك شأن آلهته ومعبوداته، وأن يحلّ الشعر محلّ التراتيل والأدعية، ويحلّ أصحاب الفضيلة محلّ الآلهة، فكأنه في شعره يتوسل إليهم.

وقد سيطر الفكر الأسطوري على كل مناحي الحياة، فأخذ الإنسان يفسرها ويعللها، ويمنح المعتقدين بها الأمن الروحي، والاستقرار النفسي في عالم مليء بالمخاوف والأشباح، مهدداً بالجفاف والسيول، محاطاً بالفتك والقتل، تدبُّ في مسالكه الحيّات الرهيبة، وتتشكل في عتمة الكثبان الغيلان والشياطين، وتهتف في الفراغ المخيف الجنان والهواتف، فحفلت قصصهم بأخبار عجيبة لسدّ حاجاتهم الروحية، وملء فراغهم النفسي، والتخفيف من التوتر والقلق، وبعث الطمأنينة والراحة النفسية، ومدّهم بالقوة والقدرة، ثم المقاومة والبقاء التي يبحثون عنها[334].

---

331 – **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 463/1، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 804/6.

332 – النوري، قيس: **الأساطير وعلم الأجناس**، جامعة بغداد، بغداد، 1981، ص149.

333 – **بلوغ الأرب**، 362/2.

334 – أبو سويلم، أنور: **دراسات في الشعر الجاهلي**–ط1– دار الجيل، بيروت، دار عمار، عمان 1408–1987م، ص104.

الفصل الثاني

الجن بين اللغة والاصطلاح

المبحث الأول: الجن في المفهوم اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الثاني: أصناف الجن ومراتبها.

المبحث الثالث: تشكلات الجن وتلوناتها.

المبحث الرابع: أشكال الجن وصورها.

المبحث الخامس: أنواع الجن.

المبحث الأول

الجن في المفهوم اللغوي والاصطلاحي

تدور الدلالة اللغوية المحورية للفعل (جَنّ) حول معنى التستر والاختفاء، نقول: جَنَّ الشيءُ يَجِنّهُ جَنّا: ستره، وبه سُميّ الجِنُّ؛ لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين؛ لاستتاره في بطن أمه، واستجنَّ فلان إذا استتر بشيء، وَجنَّ المْيتَ جَنّا، وأَجَنَّه: ستره.

والجَنَان هو القلب؛ لاستتاره في الصدر، وربّما سُميّ الروحُ جَنَاناً؛ لأن الجسم يَجنُّهُ، والُجنّةُ ما واراك من السلاح، واستترت فيه، والجِنّةُ: السُتْرة، والجُنَةُ: الخُرقة تلبسها المرأة، فتغطي رأسها.

ويفيد الفعل (جَنّ) معنى الجدّة والنشاط والالتفاف، وجِنُّ الشباب: حدَّتُه ونشاطه، وجَنَّ أولُ شيء: هو شدّته، وجُنّتْ الأرضُ: إذا جاءت بشيء مُعْجَب، وَجُنُونُ النَبْت: التفافه، وأرض مَجْنَونة: مُعْشبة، لم يرعها أحد، والجَنُّة: البستان، والعربُ تسمي النخيل جَنّة.[335] قال زهير[336]:

كأنّ عَينيَ في غَرْبَيْ مُقتّلةٍ مِنَ النَواضِحِ تَسْقي جَنّةً سُحُقاً [337]

(البسيط)

والجِنُّ: ولد الجَانّ، وهم نوع من العالم سُموا بذلك؛ لاختفائهم عن الأبصار، ولأنهم اسْتُجنُّوا، فلا يُرَون، والجانُّ: أبو الجِنّ، خلق من نار، ثم خلق منه نسله، والجانُّ: ضرب من الحيّاتَ، أكحل العينين يضرب إلى الصفرة، لا يؤذي، وهو كثير في بيوت الناس[338].

---

335 – **لسان العرب**، مادة (جنن).

336 – زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، دار صادر، بيروت، ص40.

337 – السحق: الواحد سحوق، النخلة التي ذهبت جريدتها صعداً وطالت، **لسان العرب**، مادة (سحق).

338 – **لسان العرب**، مادة (جنن).

وكلُّ مُسْتَجِنٍّ، فهو جنّيٌّ، وجانٌّ، وَجنَينٌ، ويقالَ جَنَّه الليلُ، وأَجَنّهَ، وأجنَّ عليه، وغَطّاه، بمعنى واحد، إذا ستره، وكان أهل الجاهلية يسمون الملائكة جِنّاً؛ لاستتارهم عن العيون .(339)

وقد وردت بهذا المعنى في شعر البريق إذ يقول: (340) (المتقارب)

وماءٍ وَرَدْتُ على خِيْفَةٍ وَقَدْ جَنَّهُ السَّدَفُ الأدَهَمُ

ويقال: هو جنَّة على خيفةٍ ومحاذرةٍ. وقد عرّف الدميري الجن، بقوله:" هي أجسام هوائية، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لها عقول وأفهام، وقدرة على الأعمال الشاقة" (341). ويتطورون ويتشكلون في صور الإنس والبهائم، ويرى الشبلي أنهم "يتصورون في صور الحيات والعقارب وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل، والبغال والحمير والطير "(342)، ويقول القزويني:" زعموا أن الجن حيوان ناري...من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة، واختلف الناس في وجوده، فمنهم من ذهب إلى أن الجن والشياطين مردة الناس، ومنهم من ذهب إلى أن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار، وخلق الجن من لهبها، والشياطين من دخانها، وأن هذه الأنواع لا يراها الناظر". (343)

أما المسعودي فيقول:" إنَّ الله خلق الجانَّ من سموم النار، وخلق منه زوجته، وأنَّ الجانَّ غشيها، فحملت منه، وأنها باضت إحدى وثلاثين بيضة....وأن الأبالسة من بيضة، منهم الحارث ابن مرة، وأن مسكنهم الجزائر، وأن الغيلان من بيضة أخرى، وسكنوا الحمامات والمزابل، وأن

---

339 – المصدر نفسه، مادة (جنن).

340 – الهذليّون: **الديوان**،الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة، 1384هـ–1965م، 56/3.

341 –الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: **حياة الحيوان الكبرى**، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، مكتبة البيان، بيروت، د.ت، 185/1

342 – **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، ص32.

343 – **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص 311

الهوام من بيضة أخرى، وسكنوا الهواء في صورة الحيات ذوات الأجنحة، وأن بيضة منها تخلقت عن قطربة، وهي على صورة الهرة."[344]

ولم تختلف صورة الجن في الذهنية الإسلامية عنها في الجاهلية، إذ أشار القرآن الكريم إلى أن الجن مخلوقات شفافة يرون الناس، ولكن الناس لا يرونهم، وذلك في قوله تعالى: (**إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ**)[345]، وأثبتت الآيات القرآنية أن الجن مخلوقات نارية، خلقت قبل آدم عليه السلام، وذلك في قوله تعالى (**وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾**)[346]، و (**وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾**)[347]

وهكذا تبدو صورة الجن، مخلوقات شبحية نارية، سريعة التنقل والحركة، تنتمي إلى عالم غيبي، تعيش تحت الأرض، وتحب زيارة الأرض ليلا، وخاصة الأماكن المهجورة والمقابر، وهي جنس يقابل الإنس من ناحية، وتشمل الملائكة والشياطين والغول والسعلاة....وكل ما لا يقع عليه البصر من ناحية أخرى، ويؤكد ذلك قول ابن عباس" **الخلق كلهم أربعة أصناف، فخلق في الجنة كلُّهم، وهم الملائكة، وخلق كلهم في النار، وهم الشياطين، وخلق في الجنة والنار، وهم الجن والإنس**".[348]

ويبدو أن تعدد التعريفات والتصورات السابقة للجن، توحي بطبيعة العصر الثقافية الذي قيلت فيه، وثقافة المؤلف كذلك، فبينما يقترب الدميري من التعريف الموضوعي للجن؛ لكون كتابه يقترب من الموسوعة العلمية عن الحيوان، فإن الشبلي يتوسع بتعريفه للجن متأثراً بالثقافة الدينية التي اتّسم بها كتابه، أمّا القزويني، فيعمد إلى الجمع بين آراء من سبقه الحديث عن الجن، ويغرق المسعودي في الحديث عن أصل الجن وخلقه، معتمداً في ذلك على الحكايات، والخرافات الواردة في الإسرائيليات.

---

344 - **مروج الذهب**، 2/138-139.

345 -**سورة الأعراف**، آية 27

346 -**سورة الحجر**، آية 27

347 -**سورة الرحمن**، آية 15

348 -**حياة الحيوان الكبرى**، 1/186

ويرى سمث "أن الجن ليست أرواحا خالصة، بل هي أجسام أكثر شبهاً بالحيوان، منها بالناس، وأجسامها ليست وهمية؛ وذلك لأن الجنَّ إذا قتل صار رفاته جسداً صلباً"[349]، وقد اعتقد سمث بطوطمية الجن عند العرب، في حين خالفه بعض كتاب العربية، أمثال الجاحظ ومحمد عبد المعيد خان، الذين رأوا أن الجن لم يكن طوطماً عند العرب،مع وجود ما يشير إلى ذلك، كعبادة الجن، ونسبة كثير من القبائل إليها؛ لأنّ الجنَّ مخُيف ومنفّر للناس، يستعيذون منه، ولم يروا فيه خيراً، فهو يمثل قوة الشر[350]، ورغم تلك الأدلة على حيوانية الجن، إلا أنها -في الأغلب- مخلوقات مستترة قادرة على التصور بصور الحيوانات، ولها علاقة قوية ببعضها، وتدخل في عالم الماورائيات المرعب، كان لطبيعة الصحراء، وما فيها من تغيرات، تثير الرعب والقلق، دور كبير في الاعتقاد بها.

349 - **الأساطير العربية قبل الإسلام**، ص65، شياطين الشعراء، ص56.

350 - **الأساطير العربية قبل الإسلام**، ص75- 76.

المبحث الثاني

أصناف الجن ومراتبها

ذكرت بعض المظان العربية أصناف الجن، فقال أبو القاسم السهلي "الجن ثلاثة أصناف، كما جاء في حديث، صنف على صور الحيات، وصنف على صور الكلاب، وصنف ريح طيّارة أو قال هفافة ذو أجنحة وزاد بعض الرواة صنفاً يحلون ويظعنون وهم "السعالى"[351] وقال: "لعل هذا الصنف هو الذي لا يأكل ولا يشرب، إن صحّ أن الجن لا تأكل ولا تشرب، يعني الريح الطيارة" [352]، ويروى عن رسول الله"صلى الله عليه وسلم" ما يثبت ذلك وهو "أن الجن ثلاثة أصناف، صنف حيات وعقارب، وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف كبني آدم عليهم الحساب والعقاب".[353]

ومما جاء في أصناف الجان، "أن الله تعالى خلق الجان من نار السموم، وخلق منه زوجته، كما خلق حواء وآدم، وأن الجان غشيها، فحملت منه، وأنها باضت إحدى وثلاثين بيضة، وأن بيضة من ذلك البيض تفلقت عن قطربة، وهي أم القطارب، وأن القطرب على صورة الهرة، وأن الأبالسة من بيضة أخرى، ومنهم الحارث بن مرة، ومسكنهم البحر، وأن المردة من بيضة أخرى، ومسكنهم جزائر البحر، وأن الغيلان من بيضة أخرى، مسكنهم الخرابات والفلوات، وأن السعالى من بيضة أخرى، ومسكنها الجبال، وأن الوساويس من بيضة أخرى، سكنوا الهواء في صورة الحيات ذوات الأجنحة، يطيرون هناك، ومن بيضة أخرى الدواسق، ومن أخرى الحماميص".[354]

وقد ذكر الدميري: "أنّ الجنَّ يأكلون ويشربون، ويتناكحون، كما تفعل الإنس، وظاهر العمومات أن جميع الجن كذلك، وهو رأي قوم، ثم اختلفوا، فقال بعضهم: " أكلهم وشربهم تشمم

---

[351] – **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، ص24، **غرائب وعجائب الجن والشياطين**، ص31.

[352] – **حياة الحيوان الكبرى**، 185/1.

[353] –الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير**، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت 1988م، 85/3، حياة الحيوان الكبرى، 185/1.

[354] – مروج الذهب، 138/2، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 17/2-18.

واسترواح، لا مضغ ولا بلع، وقال أكثرهم مضغ وبلع، وذهب قوم إلى أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون، وهذا قول ساقط، وذهب قوم إلى أنّ صنفاً منهم يأكلون ويشربون، وصنفاً لا يأكلون ولا يشربون، وأخرج ابن جرير عن وهب بن منبه، أنه سئل عن الجن: هل يأكلون ويشربون ويموتون ويتناكحون، فقال: هم أجناس. فأما خالص الجن فهم ريح، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يموتون ولا يتوالدون، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون، ويموتون ويتناكحون".[355]

وقد اتّضح من خلال قصة "جذع بن سنان الغسّاني"[356] أنهم يأكلون ويشربون، لأنهم حَلّوا ضيوفاً على الشاعر، وأكرمهم، ونحر لهم، ودعاهم إلى الطعام، إلاّ أنهم ترددوا في تناوله، فألحّ عليهم، وقال مصوراً ذلك: [357] (الوافر)

نَحَرتُ لهم، وَقُلتُ: ألاَ هَلمّوُا كُلوا مِما طَهيتُ لَكُم سَماحا

فَنَازَعَني الزُّجَاجةَ بَعدَ وَهْنٍ مَزَجْتُ لهم بِها عَسَلاً ورَاحا

فالشاعر يترك المجال مفتوحاً أمام القارئ، ولم يذكر إجابة الجن لدعوته، وما ذاك إلاّ ليبين اختلاف العرب في طعام الجن وشرابهم. ويشير إلى تلك المعتقدات شاعر أخر هو شمير ابن الحارث الضبي بقوله: [358] (الوافر)

فقلتُ إلى الطعامِ، فقالَ مِنهُم زَعِيمٌ نَحْسِدُ الإنَسَ الطَعاما

لقد فُضِّلتم بالأَكلِ فينا وَلَكِنْ ذاكَ يَعْقبُكُم سِقَاما

أَمِطْ عنّا الطعامَ فإنَّ فيه لآِكلهِ النَّقاصةَ والسَّقاما.

---

355 –**حياة الحيوان الكبرى1**/192، الحوت: في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص217.

356 – جذع بن سنان الغسّاني: **شاعر جاهلي قديم**، البغدادي، عبد القادر: خزانة الأدب ولَبّ لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون– ط4– مكتبة الخانجي، القاهرة، 1420هـ– 2000م، 180/6.

357 – **بلوغ الأرب**، 352/2.

358 – **الحيوان**، 482/4، و196/6–197، **بلوغ الأرب**، 350/2.

فقد رفض ضيوف الشاعر تناول الطعام، وبينوا له سبب ذلك، فهم يحسدون الإنس، ويرون أن الطعامَ سبب المرض والمذلة، وهذا يثبت ما ذهب إليه الشبلي والدميري وغيرهم، من خلاف حول أكل الجن وشربهم.

ولم يكتف المؤلفون بذلك، بل أنزلوا الجن مراتب، فإذا ذكروا الجنيّ سالماً، قالوا جنيّ، فإذا أرادوا أنّه ممن َسكن مع الناس، قالوا عامر، والجمع عُمّار، وإن كان ممن يعرض للصبيان، فهم أرواح، فإن خبث أحدهم وتعرّم، فهو شيطان، فإذا زاد على ذلك فهو مارد، فإن زاد على ذلك في القوة، فهو عفريت، والجمع عفاريت، فإن طَهُرَ ونظُف ونقِي فهو مَلَك[359]، "وجميعهم جِنٌّ وخوافٍ"[360]، وقد عرض القرآن الكريم لكثير من هذه الانواع، من ذلك مثلاً، قوله تعالى: **"وحفظاً من كل شيطان مارد"**[361] وقوله تعالى: **"قال عفريت من الجن"**[362]، وقد أشار الشاعر أعشى باهله الى أن الجن هم الخوافي الذين لا يظهرون، بقوله مصوراً جرأته وقدرته على اقتحام الصحراء التي لا أثر فيها لغير الجن: [363] (البسيط)

يَمْشي بِبَيْداءَ لا يمْشي بِها أَحَدٌ ولا يُحَسُّ خلا الخَافِي بِها أَثَرُ

وجاء في الأخبار أنّ الجنَّ هم سكان الأرض، قبل النوع البشري، أربعون فرقة، كل فرقة ستمائة ألف، أكثروا في الأرض فساداً، وثاروا على الآلهة، فلاحقتهم الملائكة، وحاربتهم ثم شتتتهم، وطردتهم إلى أطراف الجزائر المهجورة، بعد أن أسرت منهم الكثير، كل ذلك وآدم لم يخلق بعد [364].

---

359 –**الحيوان**، 6/190–191.

360 – المصدر نفسه، 6/190.

361 – الصافات، آية 7.

362 – **النمل**، آية 39.

363 –القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب: **جمهرة أشعار العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص255، الحيوان، 6/190.

364 – **مدخل لدراسة الفولكور والأساطير العربية**، ص65.

وقد أشار بعض الكُتّاب إلى ملك الجن الأحمر أو الأحمر فقط، الذي يعد أحد ملوك الجن السبعة الذي يأتمر بأمره نفر كبير من الجن الحمر الذين يُعدُّون أشرَّ أنواع الجن، وأكثرهم أذى وأشدهم خطراً.[365]

والأعراب تجعل الخوافي والمستجنات، من قبل أن ترتب المراتب جنسين، يقولون جِنٌّ وحِنٌّ،[366] بالجيم والحاء، وينشدون:[367] (السريع)

أَبيتُ أهْوِي في شياطينَ تُرِنْ مُختَلِفٍ نَجواهُم حِنٌّ وجِنٌّ

والحِنُّ بالكسر: حيٌّ مِنَ الجِنّ، يقال: منهم الكلاب السود البُهم، وقيل: " الحِنُّ: ضربٌ مِنَ الجِنَّ وأنشد:" يلعبن حولي من حِنَّ وجِنَّ"، والحنُّ: سَفَلَةُ الجِنَّ وضعفاؤهم، وقيل السود من الكلاب الجن، والبقع منها الحِنُّ[368]. والسودُ أقوى؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية.

ثم صنفوا الجن إلى حِنٍّ، وهم ضَعَفةُ الجنَّ، وجِنَّ، وهم يتفاوتون قوة، فمنهم الجنيُّ، وفوقه الشيطان...والجِنُّ إذن فوق الحِنُّ[369]، ويتضح ذلك من خلال قول أعشى سليم، نافياً كونه من الجن، حتى ولو كان خافياً، مما يثبت أن هناك من الخوافي، ما هو أعلى مرتبة من الجن:[370]

فما أنا مِنْ جِنٍّ إذا كُنْتُ خَافِياً وَلَسْتُ مِن النَّسْنَاسِ في عُنْصُرِ البَشَرِ (الطويل)

---

365 – الباش، حسن: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ص 60.

366 – **الحيوان**، 292/1، 193/6.

367 – المتلمس الضبعي: **ديوانه**، شرح وتحقيق محمّد التونجي –ط1– دار صادر، بيروت، 1998م، ص186، الحيوان، 292/1، و193/6.

368 – **الحيوان**: 291/1، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 9/2، المتلمس الضبعي: ديوانه، ص186.

369 –**الحيوان**، 293/1.

370 –المصدر نفسه، 193/6

ولم يكتفوا بذلك، بل جعلوا الجن قبائل وعشائر، ولهم سادة ورؤساء وعظماء، ومن قبائلهم "بنو غزوان"[371]، ومنهم "بنو الشيصبان"، وهم أكثر الجن عدداً وأقواهم شوكة[372]، وهم عامة جنود إبليس الذين كان لِحَسان بن ثابت صاحبٌ منهم، فهو يقول: [373]

وَلِي صاحِبٌ مِنْ بَني الشَيْصَبان فَطَوراً أقولُ وَطَوراً هُوَه (المتقارب)

ومن قبائلهم بنو زوبعة الجني، وهم أصحاب الرهج والقتام والتنوير، يقول الراجز في ذلك: [374]

إنّ الشياطِينَ أَتَوْني أَرْبَعَهْ في غَبَشِ اللَّيل، وَفِيْهِمِ زَوْبَعه (الرجز)

ومن القبائل "آل العذام" الذين كانوا بأرض الشام، وكان منهم "شصار" رئي "خنافر الحميري"، ومن قبائلهم، بنو مالك[375]، ومنهم "بنو أُقيش" الذين ذكرهم النابغة في شعره، وذلك بقوله واصفاً فرسهُ: [376]

كَأَنّك مِنْ جِمالِ بَني أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيهِ بِشَنِّ[377] (الوافر)

وقد ذكرهم لبيد بن ربيعة بقوله: [378] (الوافر)

كأنّي في نَديَّ بَني أُقَيْشٍ إذا ما جئتَ نادِيَهُم تُهالُ[379]

وهذا الأعشى يذكر اسم شيطانه في شعره، فيقول: [380]

---

[371] – داود، جرجس داود: **أديان العرب قبل الإسلام** (ووجهها الحضاري والاجتماعي) –ط1– المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، 1402هـ–1981م، ص354.

[372] – القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 3/19.

[373] – حسان بن ثابت: **شرح ديوانه**–ط1– ضبطه عبد الرحمن البرقوقي، راجعه يوسف الشيخ، محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1424هـ– 2004م، ص296.

[374] – **الحيوان**، 231/6.

[375] – المصدر نفسه، 631/2.

[376] – النابغة الذبياني: **ديوانه**، شرح وتعليق حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1416هـ–1996م، ص194.

[377]– جمال بني أقيش: جمال غير عتاق، تنفر من كل شيء، قعقع الشيء: صوت، يقعقع له بالشنان: يروعه ما لا حقيقة له.

[378] – لبيد بن ربيعة: **ديوانه**، شرح الطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1424هـ– 2004م، ص149.

[379] – بنو أقيش: قيل حيٌ من الجن، تُهال: يصيبك الهول والخوف.

دَعَوْتُ خَلِيْلي مِسْحِلاً وَدَعوا لَهُ   جُهُنّامَ جَدْعاً لِلْهَجِينِ المُذَمّمِ   (الطويل)

ومن الشياطين الذين ذكرت أسماؤهم في الجاهليةِ "دحرش" الذي كانَ أباً لقبيلة من الجن، ومن الشياطين الذين ذكروا في الإسلام، وفد نصيبين الذين أتوا مكة إلى رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ، وجنُّ نينوى الذين أتوه بنخلة [381]،وأشار الشعراء إلى الزواج المركب الذي تمّ بين الإنس والجن، فَتَسّمت بعض القبائل باسم الجن، مثل بني يربوع الذين تَسمَّوا ببني السعلاة،

وهذا ما جاء في هجاء علياء بن أرقم لبني تميم : [382]   (الرجز)

يا قاتلَ اللهُ بنَي السِّعْلاة   عَمْروَ بِنَ يَرْبوعَ شِرارَ النَّاتِ

ليسوا بِأَبْطَالٍ وَلاَ أَكْياتِ

وجاء في قصة بلقيس "أن والدها تزوج امرأة من الجن، يقال لها: "ريحانة بنت السكن"، فولدت بلقيس، وَتُسَمّى (بَلْقَمة) "[383]، ويؤكدون ذلك، بأنهم يزعمون أن للجن أنساباً وصلات قرابة، وروابط أسرية وعلاقات أخوية، وليست مخلوقات، لا يعرف لها نسب أو أصل، فقد ورد في قول جذع بن سنان الغساني: [384]

أتَاَني "قَاشِرٌ" وَبَنُو أَبيهِ   وَقَدْ جَنَّ الدُّجّى والليلُ لاَحا   (الوافر)

فالشاعر يبين النظام الأسري الاجتماعي للجن، إذ كان لهم زعيم ينوب عنهم، ويأتمرون بأمره، شأنهم في ذلك شأن الإنس، لا يخرجون إلاّ جماعات. ويضرب على الوتر نفسه الشاعر شمير بن الحارث الضبي، بقوله: [385]

أَتَوا ناري فَقُلْتُ: مَنُونَ؟ قالوا: سُراةُ الجِنِّ، قُلْتُ: عِمُوا ظَلاما   (الوافر)

---

380 –الأعشى، ميمون بن قيس: **ديوانه**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 183

381 – القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 3/19 ، تفسير سورة الجن.

382 – **الحيوان**، 161/6، بلوغ الأرب، 341/2، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 715/6.

383 – **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 45/2.

384 – **بلوغ الأرب**، 352/2.

385 – **الحيوان**، 171/6، بلوغ الأرب، 350/2، كما ورد برواية قالوا: الجنُّ، قلتُ: عِمُوا صباحاً، لجذع بن سنان الغسّاني، بلوغ الأرب، 352/2.

ويكشف البيت نفسه عن إيمان راسخ بطوائف الجِنَّ، ذوات الحيوات المستقرة، فمنها جن المدر، وجن الوبر، ومنها من يسير ليلا، ومن يسير نهاراً، فقد كان ضيوف الشاعر من سادة الجن. وقد أورد الجاحظ قصة "سعيد بن خالد" الذي كان يموت نصف سنة، ويصحو نصف سنة، فلما سئل، أجابت امرأة على لسانه: "أنا رُقَيّةُ بِنتُ مِلْحان سِّيد الجن"[386]، مما يؤكد أن لهم سادة وزعماء ورؤساء.

وزعموا أن شياطين بعض المناطق أكثر عدداً وقوة من غيرها، فقالوا: "إن العدد والقوة في الجن والشياطين لنازلة الشام والهند، وأن عظيم شياطين الهند، يقال له تنكوير، وعظيم شياطين الشام، يقال له دركاذاب".[387]

نلاحظ أن عالم الجن - فيما زعم الجاهليون- أشبه ما يكون بعالم البشر، خاصة بالعرب، فيهم قبائل وعشائر، ولهم زعماء وسادة، يتحالفون ويتفاخرون.

---

386 – **الحيوان**، 171/6.

387 – **المصدر نفسه**، 232/6، عبقر، ص57-58

المبحث الثالث

تشكلات الجن وتلوناتها

ورد في تعريف الجن" أنها أجسام هوائية، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة"[388]، فهي غير متحددة بهيئة واحدة، وإنّما يتطورون، ويتشكلون في صور الإنس والبهائم، "فيتصورون في صور الحيات والعقارب، وفي صور الإبل والبقر، والغنم والخيل، والبغال والحمير والطير"[389]. فقد ظهر إبليس بصور متعددة، فتارة في صورة "دحية بن خليفة الكلبي"، وأخرى في صورة "سُراقة بن مالك بن جعشم"، ويروى أنه تمثل في صورة شيخ نجدي، وجاء قريشاً بهذه الهيئة.[390]

كما يروى أنه تصور لفرعون بمصر في الحمام بصورة الإنس، فأنكره فرعون، فقال له إبليس: ويحك، أما تعرفني؟ قال: لا، قال: فكيف وأنت خلقتني، ألست القائل: أنا ربكم الأعلى؟[391]. ويثبت ذلك ما ذكره عمار بن ياسر عن نفسه، قائلاً: "أرسلني رسول الله إلى بئر استقي منها، فرأيت الشيطان في صورته، فصارعني فصرعته، ثم جعلت أدمي أنفه بفهر كان معي أو حجر".[392]

وتبدو الحية بصورة الرئي الذي يخبر حجراً "آكل المرار" بما حاولت امرأته إخفاءه عليه، إذ ورد " أنه كان نائما في يوم البردان، فإذا بثعبان أسود يظهر، وزوجه تراه، فيهوي عليه يريد عضّه، وهو يتحرك فلا ينيله من نفسه، والمرأة لا تزال ترى، وترجو أن يتّم العض؛ ليموت الملك كما تريد، حتى إذا رأى الثعبان عسَّ الملك المملوءَ لبناً، سعى إليه، وشربه ثم مجّه، فقالت: يستيقظ، فيشرب، فيموت، فأستريح، ولما انتبه حجر جَلَب العِسَّ، ولم يكد يرفعه إلى

---

388 – **حياة الحيوان الكبرى**، 185/1

389 – **أخبار مكة**، 15/2–16، آكام المرجان، ص25، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 22/2.

390 – **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، ص25، وص280، في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص223.

391 – الثعلبي، أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: **قصص الأنبياء** (عرائس المجالس)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1414هـ– 1994م، ص42.

392 – **حياة الحيوان الكبرى**، 189/1، غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة، ص146.

شفتيه حتى اضطربت يداه، وأريق اللبن، فنظر إليها؛ ليسألها عن الثعبان، أين ذهب، فقالت ما رأيته، فقال: كذبت والله؛ فيبدو أنه تكهن، أو لعل الثعبان كان رئيه فأخبره"[393].

ويتضح ذلك من خلال قصة عبيد بن الأبرص الذي لاقى شجاعاً، يتقلب في الصحراء، فسقاه ماء، ثم مضى في طريقه، فأضاع بعيره، فقدّم له الشجاع بعيراً؛ ليركبه ففعل، وعندما سأله عن نفسه، أجابه: [394] (البسيط)

أنا الشُّجَاعُ الذي ألفيتَهُ رَمِضَاً   في قَفْرةٍ بَين أحْجَارٍ وَأَعقَادِ

فقد تمثل له الهاتف بصورة شجاع، مما يؤكد إمكانية تلوّن الجن وتشكلها. ويؤكد تلك الإمكانية ما حدث مع (مالك بن حريم الدلاني) وجماعته الذين أثاروا شجاعاً، فأقبل حتى دخل رحل مالك، واستنجد به، فأنقذه مالك، وأخلى سبيله، فما كان من الشجاع إلاّ أن أرشدهم إلى موضع الماء، وقال معرفاً بنفسه :[395] (البسيط)

أنا الشُجاع الذي أَنجَيْتَ مِنْ رَهَقٍ   شَكَرْتُ ذَلكَ، إنّ الشُكر مَقْسُومُ

ويبدو ذلك من خلال ما كانوا يقدمونه من قرابين للحية إذا اعتلّ أحدهم، واعتقدوا أن به مسّاً من الجن؛ لأنه قتل الحية[396]، ويتجلى ذلك من خلال قصة أمية بن أبي الصلت، عندما قتل وجماعته حية اعترضت طريقهم، فاعترض طريقهم حية ثانية، فَنَفَّرّت إبلَهم، وبقوا على هذه الحال، حتى رأى أمية بن أبي الصلت شيخاً، فشكا إليه حاله، وكان جنياً .. فعلمه عبارة يقولها للحية إذا عادت، وهي **(باسمك اللهم)** فكان كما قال له [397]، وهذا يثبت أن الجن تتشكل في صورة الحية، ويؤكد ذلك أن الجن قتلت حرب بن أمية ثأراً للحية، وقالت فيه شعراً.

---

[393] – زكي، أحمد كمال: **دراسات في النقد الأدبي**–ط1– الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، لبنان، ص322، التشكيل الخرافي في شعرنا القديم، ص 213.

[394]– عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، دار صادر، بيروت، 1418هـ – 1998م، ص 15، ورد في جمهرة أشعار العرب مع تغيير بسيط، ص50.

[395]– **بلوغ الأرب**، 363/2

[396] ـ المصدر نفسه، 359/2، **المفصل في تاريخ العرب**، 812/6.

[397]– **مروج الذهب**، 141/2.

ويبدو الجن في صورة شق له يد واحدة، وعين واحدة، ويتضح ذلك في قصة علقمة ابن صفوان الذي تعرّض له الجن في صورة شق، في موضع يقال له (رحا حرمان) وكان معه سيف وأخذ يقول : [398]

عَلْقَمُ إنّي مَقْتُولٌ   وإنّ لَحْمي مَأْكُولْ

أَضْرِبْهُم بالهُذْلُول   ضَرْبَ غُلاَمٍ شَمْلُولْ

رَحْبَ الذِّراعِ بُهلُولْ

فقال له علقمة: يا شِقُّ ما لِيَ ولكْ   اغْمِدْ عنّي مُِنْصُلك

تقتُلُ مَنْ لاَ يقتُلُك

فقال شق: عَبَيتُ لك ، عبيتُ لك   كَيْما أُبيحُ مَقْتَلَك

فاصبر لِمَا قدْ حُمّ لَك

فضرب كل واحد منهما الآخر، فخرّا ميتين.

وزعموا أن الغول سُميت بذلك؛ "لأنها تتغول لهم، أي تتلونّ، وتتشكل بصور شتى، أو لأنها تغتالهم"[399]، قال كعب بن زهير في وصف تلوّن امرأة: [400]

فما تدوُمُ على حالٍ تَكونُ بِها   كما تَلَوّنُ في أَثْوابِها الغُولُ   (البسيط)

وهذا التلوّن وإن كان وهماً وخيالاً، فإنه لا شك يعكس تصورات العرب الجاهليين للغول، ويتفق مع هذا، ما ورد عن عباس بن مرداس السُّلَمي: [401]

---

[398] – **الحيوان**، 206/6–207، **مروج الذهب**، 140/2.

[399]– المصدر نفسه، 158/6.

[400]- كعب بن زهير: **ديوانه**، حققه وشرحه وقدّم له علي فاعور– ط1– دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،1407هـــ–1987م، ص61، الحيوان، 159/6.

[401]- **الحيوان**، 161/6، السيرة النبويه، 72/4.

أَصَابَتْ العامَ رِعلاَ غُولُ قَوْمهِم   وَسْطَ البيوتِ وَلَونُ الغُولِ ألوانُ[402] (البسيط)

وربما جاءت تسمية الغول (خيتعور)، وهو كل شيء لا يدوم على حال واحد، وإنما يضمحل ويتلاشى كالسراب، من تلونه وتشكُّله، فالشاعر يقول: [403] (الخفيف)

كلُّ أُنْثَى وإنْ بدا لَكَ مِنْها   آيةُ الحُبِّ حُبُّها خَيْتَعورُ

وقد ظهر الغول في قصة تأبط شراً بصورة كبشٍ، حَمَله وعاد به، فإذا به غول، فقال له أصحابه :"لقد تأبطت شراً" فقال في ذلك :[404] (الطويل)

تأَبّط شرّاً ثم راحَ أَو اغْتَدى   يُوائِمُ غُنْماً أو يَسيِفُ على ذحْلِ [405]

ويؤكد "الحرث بن ظالم" الصلة بين الدهر والغول في تقلبه، بقوله [406]: (الطويل)

أصابهُم الدَّهرُ الخَتُورُ بِخَتْرِهِ   وَمَن لا يَقِ اللهُ الحوادثَ يَعثُر

أما الشيطان "فقد ظهر لسيدنا سليمان بصورٍ مختلفة، فمرة ظهر نصفه في صورة كلب والنصف الآخر سنور، وله خرطوم طويل، وأخرى في صورة قرد، له أظافر كالمنجل" [407] وهذا يتماثل مع صورة الغول الذي ظهر لعنترة، بصورة حيوان خفي، يظهر ويختفي كما يشاء، كضوء المشعل، يسطع ثم يخبو، وقد يطفأ ثم يعود للسطوع، فهو كالوهم، أو كالطيف في سرعة حركته، وفي ذلك يقول عنترة[408]: (الكامل)

والغُولُ بَيَنَ يديَّ يَخْفَى تارَةً   وَيَعُودَ يَظْهَرُ مِثْلَ ضَوْءِ المِشْعَلِ

---

402 – رِعل: قبيلة من سلَم.

403– **بلوغ الأرب**،347/2، **حياة الحيوان الكبرى**، 170/2.

404– تأبط شراً: **ديوانه**، إعداد طلال حَرب– ط1– دار صادر، بيروت. 1996م، ص6، **الأغاني**، م9، 210/18.

405 – الذحل: الثأر، وقيل طلب مكافأة بجناية جنيت عليك أو عداوة أتت إليك، وقيل، هي العداوة والحقد.

406– **الأغاني**، م5، 18/10.

407 – **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص272–274، **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص 211.

408 –عنترة بن شداد: **ديوانه**، شرح يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، 2001م، ص 133–134.

وتقترب صورة الجن عند حسّان بن ثابت، من وصف عنترة، إذ تبدو الجنيّة كالطيف الذي يلمّ به في نومه، ثم يغادره في اليقظة، فيقول حسان: [409] (السريع)

جنِّيةٌ أرَّقني طَيْفُها   تَذْهَبُ صُبْحاً وَتُرى في المَنامِ

ويتجلى تلون الجِن في صورة السِّعلاة التي تتزيا بزيِّ النساء، وتتراءى للرجال، إذ حكي أن أحدهم تزوج امرأة منهم فنظرت، فرأت ناراً من بعيد فاضطربت، وقالت له: ألم ترى نيران السعالي، وَتَغيّر لونِها، ثم طارت، ولم تَعُد إليه[410]، وهذا يؤكد ما يذهبون إليه، من أن السعلاة ساحرة الجن، فقد تحولت في القصة نفسها إلى طير، طارت إلى بلادها، ولم تعد، كما ظهرت بصورة المرأة، في قول عميرة بن جُعل: [411]

ترى الحاصِنَ الغَّراءَ مِنْهُم لِشَارِفٍ   أخِي سَلَّةٍ قَدْ كَانَ مِنْهُ سَلِيلُها[412] (الطويل)

قليلاً تَبَغِّيها الفُحُولَةَ غَيْرهُ   إذا اسْتَسْعَلَتْ جِنَّانُ أرضٍ وَغُوْلُها[413]

ويبدو تلونها، فيما يزعمون "أنها تتصور في أحسن صورة، إلاّ أنه لا بد أن تكون رجلها رجل حمار"[414] أو عنزٍ[415]، بدليل أنهم كانوا، إذا اعترضتهم الغول في الفيافي، يرتجزون، ويقولون: [416]

يا رِجلَ عَنْزٍ انْهَقي نَهِيقاً لَنْ تَنْزِلي السَبيلَ والطَّرِيقَا [417] (الرجز)

وقد كانت تشرد عنهم في بطون الأودية، ورؤوس الجبال عند سماعها ذلك، وقد روي البيت في موضع آخر: [418] (البسيط)

409- حسان بن ثابت: **شرح ديوانه**، ص 271.

410- **المستطرف في كل فن مستظرف**، 156/2.

411 -الضبي، المفضل محمد بن يعْلى: **المفضليات**- ط10- تحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ص258.

412 - الحاصِن: الكريمة العفيفة، الشارف: الكبير، السّلّة: السرقة، سَليلها: وَلَدها.

413 - استسعلت: صارت كالسعّاة، وهي أشدُّ شرارة من الغول والجن.

414 -**الحيوان**،214/6، و220.

415- **مروج الذهب**، 135/2.

416- المصدر نفسه، 135/2، **الأساطير العربية قبل الإسلام**، ص74.

417 - وفي رواية أخرى "يا رجلا عير"، **مروج الذهب**، 135/2.

وَحَافِرِ العَنْزِ في ساقٍ مُدَمْلَجةٍ وَجَفْنِ عَيْنٍ خِلافَ الإِنْسِ في الطُّولِ

في حين رواه الجاحظ "وحافر العير في ساقٍ خدلجة"[419]، فكلها روايات تدل على إمكانية تشكل الغول، الذي قد "يظهر بصورة حمار" [420]، أو ربما كان هذا الدافع الذي دفعهم إلى تشبيه المراة، خاصة إذا كانت ذميمة بالغول والسعلاة، فقالوا: السعلاة أخبث الغيلان، واستسعلت المرأة؛ "أي تحولت وصارت سعلاة؛ أي صارت صاخبة وبذيئة" [421]. ولابد من الإشارة إلى الصور التي ظهرت بها الشيطانة العُزّى، إذ "بدت بصورة عجوز شمطاء، نافشة شعرها، واضعة يديها على عاتقها، تصرف بأنيابها، ترتدي قناعاً"[422]، وذلك عندما قطع خالد بن الوليد شجرتها، وقيل: " خرجت إليه امرأة سوداء عريانة ناثرة شعرها"[423]، وورد "أن العزى عند العرب مثلت امرأة حسناء في صورة الزهرة، كما كانت عند البابليين، وقد وصف كوك تمثال عشتار بأنّها امرأة تَلْبسَ القلائد والقراط والقناع، فالقناع الذي من مميزات عشتار، كان للعزى عند العرب"[424]، بدليل قول الشاعر: [425]

أعزَّى شِدِّي شَدّةً لا تكَذِّبي! أعزَّى أَلْقِي القِنَاعَ وَشَمِّري! (الطويل)

أعزَّى، إنْ لَمْ تَقْتُلي المرءَ خَالداً! تَبُوئي بإثمٍ عاجلٍ وَ تَنَصَّري!

فالعزى شيطانة، تقلبت في كافة الطقوس، الأرضية والسماوية التي تمتعت بها عشتار عند البابليين، وهي بنت إله الخصب والرزق، "ومثَّلَت فصلَ الشِّتاء، مقابل اللات التي مثَّلت فصل الصيف"[426].

---

418 – **مروج الذهب**، 139/2.

419 –**الحيوان**، 214/6، خَدلجة: القوية، الممتلئة، الضخمة..

420 – الأشقر، عمر سليمان: **عالم الجن والشيطان**، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 1409هـ–1989م، ص16.

421– **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص 258

422– أخبار مكة، 126/1–128.

423– الأصنام،ص25، **بلوغ الأرب**،202/2.

424– **الأساطير العربية قبل الإسلام**، ص123.

425 – الأصنام، ص26، **أخبار مكة**، 127/1، السيرة النبوية، 69/4.

426 – **أخبار مكة**، 126/1.

وقد "تبدو البقرة في بعض الروايات الأسطورية المبشرة بالبعثة المحمدية شيطاناً، تهتف من داخله شياطين الأصنام، داعيةً إلى نبذها، واتباع هدي الدين الجديد "[427].

وهكذا نلاحظ أن الخيال البشري، تصور الجن في كل الأشكال والصور، التي يمكن أن يرسمها خيال مليء بالذعر، من هذه المخلوقات الخفية التي لم يرها أحد على التحديد، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الشبلي من أنهم "قومُ لهم أجنحة، وخراطيم دقيقة، يمشون على رجلين، أو على أربعة، ويطيرون"[428].

وزعم الجاهليون أنهم يسمعون أصواتاً غريبة، نسبوها إلى تلك الكائنات، وأطلقوا عليها عدة أسماء، أشهرها (العزيف)، ولم تأت هذه التسمية من فراغ؛ لأن العزيف في اللغة صوت الرمال إذا هبت بها الرياح، وعزف الرياح أصواتها، والعزف صوت في الرمل لا يَدرى ما هو، وفي حديث ابن عباس – رضي الله عنهما-:" **كانت الجنُّ تَعْزِفُ الليل كلَّه بين الصفا والمروة"** [429] وقيل هو صوت يسمع بالليل كالطبل، وهو صوت الرياح في الجَوّ، فتوَّهمَه أهل البادية صوت الجن[430]، فالوهم هو الأساس، ويردُّ السبب في ذلك،"لعل الذي خَيّل إليهم ذلك، رجع الأصوات، وصدى الريح المتناوحة، والرعود القاصفة، والوحوش المصوتة، في بيداء كلَّها وهاد ونجاد"[431]، وسجل الشعراء ذلك في أشعارهم، فهاهو عبيد بن الأبرص، يقول: **[432]** (الطويل)

قليلاً بها الأصواتُ إلاَّ عوازِفاً عِراراً زِمَاراً مِنْ غَيَاهِيبِ آجالِ [433]

ويرد عزيف الجن في قول نابغة بني شيبان، مقروناً بالصحراء والليل:[434] (البسيط)

---

[427] – **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 25/2.

[428] – **غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة**، ص 190.

[429] – صحيح البخاري، 176/3.

[430]– **لسان العرب**، مادة (عزف).

[431]– الحوفي، أحمد محمد: **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**– ط3– مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، بالفجالة، القاهرة، ص373.

[432]– عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، ص117.

[433] – العِرار: صياح الظليم، الزمار: صوت النعام. الغياهيب: واحدها غيهب، يريد النعام السود، الآجال: واحدها إجل وهو القطيع من البقر والظباء.

كأنّ أصداءَها والليلُ كاربُها أصواتُ قومٍ إذا مَا أُظْلِموا هَتَفوا

يَسْمَعُ فيها الذي يجتابُ قفرتَها أصواتَ جِنٍّ إذا ما أَعْتَموا عَزَفوا

فهذه القفرة لخلوها من البشر؛ تبدو مأهولة بالجن، فلا يسمع فيها إلاّ عزيفها، وربما كان هذا هو الدافع الذي دفع شاعِراً آخر، إلى ربط الموسيقى المصاحبة للشعر المرتل بصوت الجن، إذ يقول: [435] (الطويل)

وإنّي لأَجْتَابُ الفَلاَةَ وَبَيْنَها عَوازِفُ جِنّانٍ وَهامٌ صَوَاخِدُ

وقد كانت الموسيقى وسيلة تخاطب الجن، ولعبت دوراً كبيراً، في حياة الشاعر الكاهن في الفكر الديني الجاهلي، لذلك اقترن العزف الموسيقي المصاحب للسفر المرتل، بصوت الجن[436].

ويعرض الأعشى لنوع آخر من أصوات الجنّ، وهو الزجل، ذلك الصوت الذي يعبر عن الطرب، ويعقد سماع هذا الصوت بالليل، فيقول: [437] (البسيط)

وَبَلْدةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرسِ مُوْحِشَةٍ للجِنِّ باللَّيلِ في حافاتِها زَجَلُ

ويعبر عنترة عن نوع أَخر من أصوات الجن، وهو "الهماهم والدمادم"، وهي أصوات مسموعة وغير واضحة أو غير مفهومة[438]، تدلّ على اضطراب الجن، وخوفها منه، فيقول:[439] والجِنُّ تَفْرُقُ حَوْلَ غَاباتِ الفَلا بِهَمَاهِمٍ وَدَمادِمٍ لم تُغَفل (الكامل)

---

434 – نابغة بني شيبان: **ديوانه**، شرح وتقديم، عبد الله بن مخارق بن سليم، شرح وتقديم، قدري مايو– ط1– دار الكتاب العربي، بيروت ، 1415هـ – 1995م، ص119.

435 – **لسان العرب**، مادة(عزف).

436 – فادمر، هنري جورج: **تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي**، تعريب وتعليق جرجس، فتح الله، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص45.

437– الأعشى: **ديوانه**، ص 146.

438 – **لسان العرب**، مادة (همهم) و(دَمدم).

439– عنترة بن شداد: **ديوانه**، ص134.

أما عمرو بن معد يكرب، فيعبر عن أصوات الجن "بالهواهى"، فيقول: [440]

وأرضٍ قد قَطَعْتُ، بها الهَوَاهى من الجِنَّانِ سَرْبَخُها مَلِيع [441](الوافر)

وقد نقد الجاحظ ما يتصل بذكر عزيف الجن، وتغول الغيلان، وأعاده إلى الوحشة والوسوسة أو إلى الكذب[442]. كما ميّز العرب بين صوتين مختلفين للجن، العزيف الذي يسمع ليلاً في الصحاري، ولا يُفهم منه شيء، والهاتف الذي يسمع ويفهم، فيخاطب الجن الإنس، ويناشدهم شعراً، ويخبرهم بما لا يعرفون، وقد يكون فيه إنقاذ لهم من الضلال في الصحراء، ومفرج لهم من شدة وقعوا فيها.

وكثر هذا النوع زمن الدعوة الإسلامية، والقصص والروايات في ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر، حديث الأعشى بن نباش بن زرارة الأسدي، أنه سمع هاتفاً، يقول:[443]

لقَدْ هَلَكَ الغيَّاضُ غَيثُ بني فَهْرٍ وذو الباعِ والمجدِ الرَّفيعِ وذو الفَخرِ (الطويل)

قال: فقلت مجيباً له:

ألاَ أيُّها النّاعي أَخَا الجُودِ والتُّقى مِنَ الَمرْءِ تنْعَاهُ لَنا مِنْ بَني فَهْرِ (الطويل)

إلى آخر القصة، حيث أخبرت بموت ابن جدعان. ويأتي ضمن هذا الباب ما حدث مع عبيد بن الأبرص والشجاع[444].

440– الأصمعي، أبو سعيد، عبد الملك بن قريب: **الأصمعيات**– ط5– تحقيق، أحمد محمود شاكر، عبد السلام محمد، هارون دار المعارف، مصر، ص176.

441 – الهواهى: ضوضاة الحن، السربخ: ما بينها وبين أرض أخرى، مليع: الواسع من الأرض.

442 – **الحيوان**، 249/6–251.

443– **المصدر نفسه**، 202/6، **آكام المرجان في غرائب الاخبار وأحكام الجان**، ص 169.

444– ينظر، **أحداث القصة**، عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، ص15، **بلوغ الأرب**، 355/2، جمهرة أشعار العرب، ص50.

المبحث الرابع

أشكال الجن وصورها

إذا أردنا معرفة الجنّ وصورتها الحقيقية في أذهان العرب الجاهليين، فإننا لا نكاد نعثر على نص يوضح هذا الأمر، وإنما توجد هناك صفات عامة، لصقها بعضهم بالجن، ومع ذلك، فإن صورته تبقى مبهمة، غير واضحة المعالم، لا سيما أنها مخلوقات خفية، غيبية لا ترى، بدليل قوله تعالى: "**إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم**"[445]، واختلف في تحديد ماهيتها، فمنهم من قال "إنها مخلوقات نارية"[446]، ومنهم من قال "إنها أجسام هوائية"[447]والقرآن يثبت أنها نارية، بقوله تعالى: **"والجان خلقناه من قبل من نار السموم"**[448]، فهي تختلف عن غيرها من الكائنات المرئية، ولكن عالم الرعب والخوف الذي شكلته، بالنسبة للإنسان الجاهلي، دفعه إلى تجسيم أفكاره ومعتقداته فيها، بتحويلها إلى شخوص حية، كما شخّص المخلوقات، والظواهر الكونية بأشكال وهيئات منافية لهيئة البشر. ويستدل على غرابة أشكالهم، من خلال قول القزويني: "قوم لهم أجنحة، وخراطيم دقيقة، يمشون على رجلين، وعلى أربعة، ويطيرون"[449].

وقد وقف الشعراء الجاهليون عند لون الغول، ووصفوه بالسواد، مما يؤكد "أن السواد قرين عالم الجن"[450]، وقد يكون هذا سبباً في أن الجن أكثر ما تظهر ليلاً، ويصف عنترة لونها بالسواد، وعيونها بالزرقة، فيقول: [451] (الكامل)

والغُولُ بيَنَ يَدَيَّ يَخْفى تَارةً وَيَعُودَ يَظْهَرُ مِثلَ ضَوْءِ المِشْعَلِ

445- **سورة الأعراف**، آية27.

446-القزويني: **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص387.

447- **حياة الحيوان الكبرى**، 185/1.

448- **سورة الحجر**، آية 27.

449- **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص387.

450- **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 200/2.

451- عنترة بن شداد: **ديوانه**، ص133-134.

بِنَواظِرٍ زُرْقٍ، ووجهٍ أسودٍ وَأَظَافِرٍ يُشْبِهْنَ حَدَّ المِنْــجَلِ

كما وصف الأعشى الجن المحيطة بصاحبته بالسواد، ليزيد من حصانة جانبها، وذلك بقوله: (452)

والجنُّ تَعْزِفُ حَوْلَها كالحُبْشِ في مِحْرَابِها (مجزوء الكامل)

ويصف الجنيّ المسؤول عن حراسته بالقوة، إذ جعله مارداً، من حيث شكله وحجمه، فيقول: (453)

ومارِدٌ من غُوَاةِ الجِنِّ يَحْرِسُها ذو نِيْقَةٍ، مُسْتَعِدٌّ دُونَها، تَرَقَا[454] (البسيط)

وتبدو الجن بصورة مُشرِقة جميلة، في قول جذع بن سنان الغساني: (455)

أَتَوْنِي سَافِرِينَ، فَقُلْتُ أَهْلاً رَأيتُ وُجُوهَهُم وَسْماً صَبَاحا (الوافر)

إذ يبين الهيئة العامة للجن الذين نزلوا في ضيافته، فكانوا ذوي وجوهٍ مشرقة، مضيئة كإشراقة الصبح، ولم تكن أجسامهم مخيفة أو غريبة، بل هم إنس تشكلوا في أبهى صورة، جعلت الشاعر يزداد بهم طمأنينة وأنساً، فقال: "أتوني سافرين"، فهم جنٌّ سافرون، لا شك ولا غموض فيهم، ويخالفون في ذلك ما زعمه بعض الأعراب، من أن الجن كانت تُسمع ولا تُرى، أو تُرى أجساماً وأشكالاً، ولا تُميز ملامحها، أمّا هؤلاء، فقد كانت ملامحهم واضحة، وأجسامهم مرئية، بصورة تبعث الطمأنينة في النفس. وقد قدم الشاعر الصعلوك " تأبط شراً " وصفاً تفصيلياً للغول، إذ يقول: (456) (الوافر)

إذا عَيْنَانِ في رَأْسٍ قَبِيحٍ كَرَأسِ الهِرِّ مَشْقُوقِ اللِّسَانِ

452– الأعشى: **ديوانه**، ص16.

453– المصدر نفسه، ص124.

454 – نيقة، التجوّد في الملبس والمطعم، التَرَق: التدرج، المارد: العاتي الخبيث من الجنّ، **لسان العرب**، مادة (مرد).

455– **بلوغ الأرب**، 352/2، خزانة الأدب، 180/6.

456– تأبط شراً: **ديوانه**، ص107.

وَسَاقا مُخدَجٍ وَشُواةُ كَلْبٍ وَثَوْبٌ مِنْ عَبَاءٍ أو شِنَـانٍ[457]

فقد كانت صورته منفرة مخيفةً، ملائمة لما استقر في ذهن العربي، عن شكل الغول، فها هو يستعير أعضاء لحيوانات مختلفة ذات صلة بالجن، فرأس الغول الذي اعترضه، وهو أهم عضو في الكائن الحي، يشبه رأس الهر، وعيناه قبيحتان، ولسانه مشقوق، ورجلاه رجلا ولد ناقة مشوه وغير مكتمل الخلق، وجلد رأسه كجلد الكلب، وما تبقى من جسده مستور بثوب بالٍ قصير، يشبه القربة الخَرِقة. وتبدو عين الغول مشقوقة طولاًً، بخلاف عيون الإنس، ويتضح ذلك في قول الشاعر: "وَجَفْنُ عَينٍ خِلافَ الإنْسِ في الطُّولِ".[458] وهذه هي صورة الغول في المعتقد الشعبي، إذ تبدو ذات عيون مشقوقة طولا، وأقدام تشبه حوافر الحيوانات، وبخاصة الحمير، وتبدو في صورة أخرى، سود حفاة، ذات أعقاب مشقوقة، وينبت على جسدها شعر كثيف، وهذه الأوصاف هي التي دفعت سيدنا سليمان إلى الاعتقاد، بأن "بلقيس" ما هي إلا العفريتة "ليليث"، وخاصة عندما كشفت عن ساقيها، فكانت كرجلي عنزة، شعرهما كثيف، علماً أن أمها جنية[459].

وقد عرض أمرؤ القيس لأنياب الغول، في معرض حديثه عن سيفه، فجعله حيواناً مفترساً ذا أنياب حادة، قادرة على القضاء على فريستها، بقوله: [460]

أَيَقْتُلُني والمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعي وَمَسْنُونةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوالِ[461] (الطويل)

أما هيئة الجن العامة، وشكلها الخارجي، فتبدو ذات أجسام ضخمة، وقامات مديدة، وأرجل طويلة، كما رسمها لبيد بن ربيعة بقوله: [462]

غُلبٌ تشذَّرَ بالذُّحُول كأنَّها جِنُّ البَديِّ رَوَاسِياً أَقْدَامُها [463] (الكامل)

---

[457] – المُخدج: الذي يلد قبل تمام أيامه، ناقص النمو ضعيف، شواة كلب: قحف رأس الكلب، القحف: العظم الذي فوق الدماغ، الشن: القربة الصغيرة البالية.

[458]– الحيوان، 214/6، **مروج الذهب**، 139/2.

[459]– خورشيد، فاروق: **عالم الأدب الشعبي العجيب**–ط1– دار الشروق، 1991م، ص157.

[460]– امرؤ القيس: **ديوانه**، تحقيق مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ، 2002م، ص125.

[461] – مسنونة: يعني سهاماً محددة، زرق: صافية مجلوة، أغوال: همرجة، التباس واختلاط.

[462]– لبيد بن ربيعة: **ديوانه**، ص234.

وتبدو الجن بصورة مماثلة، في تشبيه الشاعر نفسه الرجال غلاظ الأعناق بالجِن، وذلك بقوله: (464) (الكامل)

وَمُقَامةٍ غُلْبِ الرَّقابِ كأنَّهُمْ   جِنٌّ لدى طَرْفِ الحَصيرِ قِيَامُ(465)

وتبدو أعناقها طويلة، وقاماتها عالية، في قول الخطفي جدّ جرير: (466)

يَرْفَعْنَ باللّيلِ إذا ما أَسْدَفا   أَعْناقَ جِنّانٍ وَهَاماً رُجَّفا   (الرجز)

وهكذا فقد كان لحياة الشعب الفطرية، في الصحراء دور كبير في هذه التخيلات، التي دفعتهم الى ادعاء رؤية هذه الكائنات، ووصفها، والتحدث معها، وقد رد جواد علي ذلك إلى "أنها باب من أبواب التسلية، التي كان يتسلى بها الجاهليون"(467) ولم تزل هذه القصص إلى اليوم من القصص المستملحة المطلوب سماعها، وان كنا نرى في ذلك، ما يبعدنا عن علاقة هذه الاساطير بالديانة الجاهلية.

463 – غُلْب: غلاظ الأعناق، الذحول: الأحقاد الواحد ذَحْلٌ، تشذّر: يوعد بعضها بعضاً.

464 – لبيد بن ربيعة: **ديوانه**، ص199.

465 – مقامة: أهل مجلس، غُلب الرقاب: غلاظ الأعناق.

466 – **الحيوان**، 173/6، خزانة الأدب، 79/1، **البيان والتبيين**، 366/1.

467 – **المفصل في تاريخ العرب**، 390/9

المبحث الخامس

أنواع الجن

1- إبليس: عَلَم جنس للشيطان، قيل: "هو من أبلس، بمعنى يئس وتحيرَ وندم، وهو اسم يطلق على نَفَر ينتمي إلى طائفة من الملائكة، يقال لها الجن، وكان اسمه عزازيل" [468] "كان من خزّان الجنة، ورئيس الملائكة وسلطانها، فعصى وكفر، فمسخه الله شيطاناً ملعوناً"[469]، ويتضح ذلك في قوله تعالى: **"وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر"**[470]، والثانية **"فسجدوا إلا إبليس كان من الجن"**[471]، وهكذا فقد كان إبليس ملكاً من الملائكة، عصى ربّه، فهبط إلى الأرض، وقد سّجل الشعراء هذه القضية، فهذا أميّة بن أبي الصلت يقول:[472]

وقال لإبليسَ ربُّ العِبادِ   أنِ اخرُجْ دَحيراً لعيناً ذَؤوماً   (المتقارب)

أما تكاثر إبليس، فهو أنه "عندما هبط، نكح نفسه، فباض أربعَ بيضات، ففرّق في كل قطر من أقطار الأرض بيضة، فجميع الشياطين من تلك البيضة"[473]، مما يؤكد أن إبليس أبو الجن، كما أنّ آدم أبو البشر، وقد خلط معظم الكتاب بين الشيطان وإبليس، واعتبروا هاتين الكلمتين من المترادفات، إلاّ أنه يمكن التفرقة بينهما، من خلال كون الشيطان ملازماً للإنسان، "إذ أنّ مع كل إنسان شيطاناً، وليس معه إبليس"[474].

وإضافة إلى الشيطان، فإنّ لإبليس عدة أسماءٍ وألقاب منها "أبو الجان، والحارث وعزازيل، و سوميا أو شوميا، ونائل، وأبو مرة، وشمازيل، وأبو كدوس، وأبو لبينى، كما أن له

---

468 – **لسان العرب** مادة (بلس)، تاج العروس، مادة(بلس)، عبقر، ص55.

469 – **حياة الحيوان الكبرى**، 191/1.

470 – **سورة البقرة**، آية 34.

471 – **سورة الكهف**، آية 50.

472 – أمية بن أبي الصلت: **ديوانه**، تحقيق سجيع جميل الجبيلي – ط1– دار صادر بيروت، 1998م، ص113.

473 – **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**، ص60.

474 – **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالالتها**، 64/2.

ذرية وأبناء، عبّر عنهم القرآن الكريم، بلفظ جنود إبليس وذريته، وذلك بقوله "**أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ**"[475]، ومن أبنائه "ثبير" صاحب المصائب، والأعور صاحب الزّنا، ومبسوط صاحب الكذب، وداسم الذي يدخل بين الزوجين، ويوقع الخصومة بينهما، وزلنبور صاحب السوق، ومنهم اللافس والولهان، ويقال: إن بيدخ التي اتخذت لقب أناهيد والزهرة، فيما بعد هي ابنته لبينى[476].

ويبدو إبليس منذ أن خُلق محبّاً للدمار والشرّ، إذ نسب إليه أنه هو الذي دفع قابيل إلى قتل "هابيل"، كما لعب دوراً رئيساً في قصة الخطيئة والمعصية، إذ دخل إلى الجنة بمساعدة الحية، فكلّم حواء ووسوس إليها، قال تعالى: "**فوسوس لهما الشيطان**"[477]، فكان سبباً في خروجه منها، بأمرٍ من الله تعالى، إذ قال: "**اهبطوا بعضكم لبعض عدو**"[478]، ومن هنا جاء مبدأ العداء والصراع في الأرض، بين هذه العناصر الحية وإبليس وآدم ،وحواء.

ويشبه إبليس الجن في القدرة على التصوّر والتشكل، فقد يظهر في صورة إنسان، أو حيوان، ويوحي بالدونية، والانحطاط والسفاهة[479].

2- الشيطان:-

الشيطان لغة، هو: روح شِرَّيرٌ مُغْوٍ، والشاطن الخبيث، والشيطان، فَيْعَال من شطن، إذا بَعُد، والشيطان البعيد عن الحق، وهو كلُّ عاتٍ مُتَمرِّدٍ من الجِنِّ والإنس، والدواب وكل شيءٍ، والشيطان اسم يطلق على نوع من الحيّات، له عرف قبيح المنظر، وقد تسمى الحية الدقيقة الخفيفة شيطاناً وجاناً[480]، وقيل الشيطان الحية الخبيثة، وقد ورد عن الرسول "صلى الله عليه

---

475 – **سورة الكهف**، آية 50.

476 – **قصص الأنبياء (عرائس المجالس)**، ص36، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص387– 388.

477 – **الأعراف**، آية، 20.

478 – **البقرة**، آية، 36 .

479 – خليل، أحمد خليل: **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**، ص90.

480 – **لسان العرب** مادة(شطن) ، **ثمار القلوب في المضاف المنسوب**، ص422، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 87/15.

وسلم" قوله: **"حرجوا عليه فإن امتنع، وإلاّ فاقتلوه فإنه شيطان"**[481]، والشيطان هو (satan) في الإنكليزية و "Diabolos" في الإغريقية، وهو "ساطان" في العبرانية، ومعناه عدوٌّ وَمُشْتَكٍ في هذه اللغة[482]، فتلتقي معاني كلمة شيطان في اللغات المختلفة عند معنى الخبث والتمرد، والبعد عن رحمة الله، وبسبب خبثه أطلق عليه شيطاناً، وإنّما سُميّ المتمرد من كلّ شيء شيطاناً؛ لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعالهم، وبعده من الخير، وقد قيل إنه أخذ من قول القائل: "شطنت الدار، بمعنى بَعُدت"[483]، ومن ذلك قول النابغة الذبياني: [484]

نَأتْ بِسُعادَ عنكَ نوىً شَطُونُ، فبانَــتْ، والفُـؤادُ بِهَـا رَهِـينُ[485]

(الوافر)

فالنوى: البعد، والشَطُون: البعيد، وتأتي بالمعنى نفسه في قول أمية بن أبي الصلت: [486](الخفيف)

أيّما شاطِنٌ عَصاهُ عَكَاهُ ثُمّ يُلْقَى في السِّجْنِ والأَغْلاَلِ[487]

ومن المعاني التي تحملها هذه الكلمة، والتي رسخت في أذهان العرب "القبح"، فمن عادة الإنسان إذا استقبح شيئاً شَبّهُ بالشيطان؛ استشعاراً منه أنه أقبح ما يكون من الأشياء[488]، وقد خاطب القرآن الكريم الإنسان العربي، بما يتلاءم وعقليته، حيث شبّه ثمر أشجار النار برؤوس الشياطين: "**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾**"[489]، أي كأن طلع هذه الشجرة في قبحه، وسماجته رؤوس الشياطين، في قبحها وسماجتها،

---

481 – **صحيح مسلم**، 1757/4.

482 – **المفصل في تاريخ العرب**، 730/6.

483 – **الحيوان**، 153/1، 295، لسان العرب، مادة(شطن)، المفصل في تاريخ العرب، 730/6.

484 – النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص186.

485 – أمية: **ديوانه**، ص106.

486 – المصدر نفسه، ص106.

487 – عكاه: شدّه بالحديد، الشاطن: البعيد من الحق.

488 – **المفصل في تاريخ العرب**، 731/6.

489 – **الصافات**، آية64-65.

وقد يكون المقصود برؤوس الشياطين رأس حيّة معروفة عند العرب، تسمى شيطاناً[490]، وهذا ما عناه الشاعر بقوله:[491] (الرجز)

عَنْجَرِدٌ تَحِلفُ حِينَ أَحلِفُ كَمِثْلِ شَيْطَانِ الحَمَاطِ أَعْرَفُ[492].

وهذا ما يرد في الأمثال العربية "ما هو إلا شيطان الحماطة"[493] أي مثالاً في القبح.

في حين جاء في اللسان أن رؤوس الشياطين نبت معروف قبيح [494].وتحمل كلمة الشيطان معاني أُخَر، منها الكبر والطغيان والخنزوانة أو الغضب الشديد، وقد أورد الجاحظ عن عمر ابن الخطاب قوله: "لأضربنه حتى أنزع شيطانه من نخرته"[495]، ومنها أيضاً الفطنة والذكاء، وشدة العارضة[496]، مما يجسد فكرة الثنائية القائمة على الخير والشر في شخصية الشيطان، فيقال فلان شيطان، إذا تفوّق على أبناء جنسه، في الذكاء والفطنة، وشيطان إذا فسد وساء خلقه، ويتضح معنى الغضب في قول مرة أبو الوجيه العكلي" وكان ذلك حين ركبني شيطاني"[497]، ويرد المعنى نفسه، عن منظور بن رواحة في قوله: [498]
(الطويل)

فلمّا أتاني ما يَقولُ تَرَقَّصَتْ شَيَاطِينُ رَأْسي وانْتَشَيْنَ مِنَ الخَمْرِ

ومما يزيد في قبح الشيطان، أن الإنسان العربي تصور الشيطان، بصورة قريبة من صورة الثور؛ لِما له من قرون، بدليل ما ورد من قوله "عليه السلام" عن الشمس[499]، وقد ورد

---

490 – **المفصل في تاريخ العرب**، 733/6.
491 – **لسان العرب**، مادة (شطن)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص422.
492 – عَنْجَرِد: المرأة القوية الفتيّة، أعرف: الذي له عُرف، **لسان العرب**، مادة (عنجرد)،.
493 – الميداني: **مجمع الأمثال**، 446/1.
494 – **اللسان**، مادة (شطن).
495 – **الحيوان**، 193/6، الحيوان 299/1.
496 – المصدر نفسه، 300/1.
497 – **الحيوان**، 300/1.
498 – المصدر نفسه، 299/1.
499 – ينظر، البخاري: **صحيح البخاري**، 149/4.

للشيطان عدة أسماء منها الحبُاب، ويقع على الحية، لأنه يقال للحية شيطان، والحُباب والشيطان: الحية الخبيثة [500]، وزوبعة الذي قيل إنّه رئيس الجن، ومنه سمي الإعصار زوبعة[501]، ومنها أزب العقبة، وقيل هو حية[502]، ومنها شيطان الحماطة، الذي قيل "إنه الحية، لأن الحماطة شجرة شبيهة بشجرة التين، وهي أحبّ الشجر إلى الحيات"[503]، ومنها الشيطان هراء، وهو "شيطان قبيح الأحلام"[504]، ومن أسمائه الأجدع بدليل قول عمر بن الخطاب، "إنّما الأجدعُ شيطان".[505]

ومن هنا تأتي المفارقة، والتناقض، في المعاني التي تحملها كلمة الشيطان؛ إذ أنها تدلّ على الفطنة والذكاء والقوة، ويتضح ذلك من خلال وصف أمَّ تأبط شراً لابنها " إنه والله شيطان، ما رأيته قط مستثقلاً ولا ضاحكاً، ولا همّ بشيء، مذ كان صبياً إلاّ فعله"[506]، فهذا يدلّ على جرأته وشجاعته، وسرعة بديهته. ويبدو هذا المعنى، فيما تحمله هذه الكلمة من معنى الموهبة والقريحة الشعرية؛ إذ لعبت الشياطين دوراً كبيراً في إلقاء الشعر على ألسنة الشعراء، وتلقينهم إيّاه، وقد أورد الجاحظ رواية، تدل على تفوق الشيطان على الإنسان وهي "أن بعض الشعراء، قال لرجل: أنا أقول في كل ساعة قصيدة، وأنت تعرضها في كل شهر، فَلِمَ ذلك؟ قال: لأني لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبله من شيطانك"[507]، و تدلّ كلمة شيطان على البشاعة والقبح والسماجة من ناحية، كما تدل على الفصاحة والنشاط، من ناحية أخرى، فإذا رأوا فصيحاً نشيطاً، قالوا، شيطان، وإذا رأوا قبيحاً، قالوا: شيطان، ويؤكد الجاحظ هذا القول برواية "عن المرأة التي

---

500 – الثعالبي،أ بو منصور، محمد بن إسماعيل النيسابوري: **فقه اللغة وسر العربية**– ط الأخيرة– تحقيق ، مصطفى السقا وآخرون، 1392–1972،ص179.

501 – لسان **العرب**، مادة(زبع) ، وتاج العروس، مادة (زبع).

502 – تاج العروس، مادة(ازبَ)، **المفصل في تاريخ العرب**، 731/6.

503 – **الحيوان**، 192/6، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص422.

504 – **عبقر**، ص220.

505 – بابتي، عزيزة فوّال: **معجم الشعراء الجاهليين** –ط1– دار صادر للطباعة والنشر، جورج برس، بيروت، لبنان، 1988م، ص7.

506 – خليف، يوسف:**الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي** –ط2– دار المعارف، مصر، مكتبة الدراسات الأدبية، 1959م، ص96.

507 – **البيان والتبيين**، 150/1.

طلبت من الصائغ أن يرسم لها صورة شيطانٍ، فلم يتخيل الصائغ صورته، فذهبت تبحث عن شبيه له، فوجدت الجاحظ، تنطبق عليه صفات الشيطان، فأخذته إليه، وطلبت منه، أن يرسمه لها؛ لبشاعة منظره"[508]، ونظراً لما تمتاز به النساء، من الخبث واللؤم، وصفهن عمر بن الخطاب بالشياطين،

فقال: [509] (البسيط)

إنّ النِّساءَ شَياطينٌ خُلِقنَ لنا   نَعُوذُ بالله مِنْ شَرِّ الشَّياطِينِ

وقدَ وقرَ في أذهان الشعراء خبث الشيطان، وقدرته على إلحاق الأذى بالإنسان، فهذا المزرّد بن ضرار الذبياني، يَرُدّ ما لحق بناقته إلى فعل مؤثر، ويشبه هذا الفعل بقذيفة الشيطان، بقوله: [510] (الطويل)

قذيفةُ شَيْطانٍ رَجيمٍ رَمى بِها   فصارَتْ ضَواةً في لَهَازِمِ ضِرزَمِ[511]

وتتجسد في الشيطان صورة الجن، من خلال ملازمته للإنسان، وتلبسه له، ويظهر ذلك في قول أوس بن حجر: [512]

إذَا الشَّيْطَانُ قَصَّع في قَفَاها   تَنفقَناهُ بالحَبْلِ التُّؤام (الوافر)

3- الغول: غال في اللغة: هلك، والغول: المنية، فيقال: قتِل فلانٌ فلاناً غيلة، أي قتله في اغتيال وخفية، ويقال لكل ما يُهلك الإنسان: غول، والغول: الحبس، والتغول: التلونّ، فالمرأة تتغول؛ أي تتلون، وكل ما يغتال الإنسان من جنًّ أو شيطان أو سبع: غول، ومن معاني الغول المفازة؛ لأنها تغتال كلَّ من يمرُّ بها، ويقال امرأة ذات غول أو طويلة، لذلك تغول الثياب، فتقصر عنها، ويقال

---

508 – حميدة، عبد الرزاق: **شياطين الشعراء**، ص207.

509 – بلوغ **الأرب**،13/3، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص270 بدون نسب مع تغيير بسيط.

510 – الأفوه الأودي: **ديوانه**، شرح وتحقيق، محمد التونجي– ط1– دار صادر، بيروت، 1998م، ص34.

511 – ضواة: غُدة تحت شحمة الأذن، لهازم: عظم ناتئ في اللحى تحت الأذن. ضِرزم: الناقة المُسِنّة وفيها بقية شباب.

512 – أوس بن حجر: **ديوانه**، تحقيق، محمد يوسف نجم– ط3– دار صادر، بيروت، 1399هـ– 1979م، ص126.

كـذلك للمنطقـة المنخفضــة مـن الأرض: غـول، والغـول: الصـداع والسُـكر، والمشـقة، والخيانـة، والذكر من الجن، ويقال الغول ساحرة الجن والحيّة، والجمع أغوال[513].

أمـا فـي الاصـطلاح فـالغول مـن أهـم أنـواع الجـن التـي سـيطرت علـى مخيلـة الإنسـان الجـاهلي خاصة، وهو "اسم لكل شـيء من الجن يعرض للسّفار، ويتلـون فـي ضـروب الصـور والثيـاب، ذكراً كان أم أنثى، إلاّ أنّ أكثر الكلام على أنه أنثى" [514]؛ ويرى القزويني "أن الغول حيوانٌ شـاذٌ مُشَوَّه، لم تحكمه الطبيعة، وأنه خرج منفرداً، ولم يستأنس، وتـوحّش، وطلـب القفـار، يتـراءى لمـن يسافر وحده في الليالي، وأوقات الخلوات؛ فيتوهمـه إنسـاناً، فيصـدّه عن الطريـق"[515]، وقـد جَسّدَ الشـعر الجـاهلي هـذه المعـاني لكلمــة الغـول، بمختلـف الاشـتقاقات، مـن ذلـك قـول المـرقّش الأصغر:[516] وَلِلْفتى غَائلٌ يغُولُهُ يـا ابنـةَ عَجْـلانَ مِـنْ وَقـعِ الحُتُـومْ[517]

(مجزوء البسيط)

وقول بُشامة بن عمرو: [518] (المتقارب)

ولا تَقْعُدوا وَبِكُم مُنَّةٌ كَفَى بالحوادِثِ لِلمرءِ غُولا

فكل معانيها، تلتقي عند القتل والدمار والهلاك؛ لأن الجـن والسباع مخلوقـات تـؤدي إلـى قتل الإنسان، وتحطيمه مادياً ومعنوياً، كما هو الحال بالنسبة للشيطان الـذي يقتـل الإنسـان، بإبعـاده عن الحق والخير، وتتّجسد هذه الصفات في الغول التي يزعم كثيـر مـن النـاس، أنهـا كـائن خرافـي وَهْميّ، لا وجود له[519]، وقد أورد الألوسي قول الشاعر الذي يثبت ذلك: [520]

الغُولُ والخِلُّ والعَنْقاءُ ثالثِةٌ أسماءُ أشياءَ لَمْ تُوْجَدْ وَلَم تَكُن (البسيط)

---

513 – **لسان العرب**، مادة (غول)، **تاج العروس**، مادة(غول)، الاشتقاق، 188/2.

514 – **الحيوان**: 158/6، الحوت: في طريق الميثولوجيا عند العرب: ص221.

515 – **عجائب المخلوقات**، وغرائب الموجودات، ص391. عبقر، ص77، مروج الذهب، 135/2.

516 – **المفضليات**، ص249.

517 – الحُتُوم: جمع حتمٍ وهو القضاء.

518 – **المفضليات**، ص59.

519 – **عبقر**، ص76.

520 – **بلوغ الأرب**، 347/2، **حياة الحيوان الكبرى**، 167/2.

في حين ذهب الدميري إلى "أنّ الغيلان سحرة الجن؛ لأنها قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، وأنها سبع من سباع الجن"[521]، ويؤكد الجاحظ ذلك بقوله: "إنّ الجنيّة إذا تعرّضت، وتلونت، وعبثت بالإنسان شيطانة، ثمّ غول؛ أي أن الغول من الشياطين"[522]، وقد أطلق عليها العرب "خيتعور" لما لها من قدرة على التلوّن والتشكّل، وهو كلّ شيء، لا يدوم على حالة واحدة، ويضمحل، ويتلاشى كالسَّراب"[523].

وقد رسخ في أذهان العامة أنّ الغول تعني الداهية، إذ يقال: غالته غول، أي أهلكته المصيبة[524] والغول جنس من الشيطان، بدليل قوله "عليه السلام: " عليكم بالدُّلجة، فإن الأرض تطوى باللَّيل، وإذا تغوّلت لكم الغيلان فبادروا بالأذان؛ ولا تنزلوا جوادَ الطريق، ولا تُصلّوا عليها؛ فإنها مأوى الحيات والسباع "[525]، فهي إذن نوع من الجن شريّرة، تظهر عادة في صورة حيوان، أو وحش رهيب، تسكن المقابر، والأماكن المهجورة، تملؤها بالرعب والفزع، تأكل الجثث، وتهاجم المارّة بهدف أكلهم، كما حصل مع عمر بن الخطاب [526]، ومع تأبط شراً حين لقيها وقتلها [527]، ومن غرائب ما يروى عن الغول "أنها إذا ضربت ضربة واحدة ماتت، إلاّ أن يعيد عليها الضارب، قبل أن يقضي عليها ضربة أخرى، فإنّه إن فعل ذلك لم تمت"،[528] وللشعراء الصعاليك قصص ونوادر كثيرة معها سنعرض لها في مواضعها.

4- السِّعلاة: من أنواع الجن التي تتماثل مع الغول، في كونها عنوان الخطر المجهول، وهي " من نساء الجن، تَتغول لتفتن السفّار، والمرأة إذا كانت حديدة الطرف والذهن، سريعة الحركة، ممشوقة ممحصّة، سميت سعلاة "[529]، "والسعلاة ساحرة الجن"[530]، ويرى الدميري " أنّها أخبث الغيلان"[531]، وأكثر ما تتواجد بالغياض، وأنها إذا ظفرت بإنسان ترقصهُ، وتلعب به، كما تلعب الهرة بالفأر.. وقد يصطادها الذئب ليلاً فيأكلها، وإذا افترسها ترفع صوتها، وتقول:

---

[521] – **حياة الحيوان الكبرى**، 167/2، مروج الذهب، 135/2.

[522] – **الحيوان**، 233/6.

[523] –**حياة الحيوان الكبرى**، 170/2.

[524] – دغيم، سميح: **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**– ط1– دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995م، ص 159.

[525] –**صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير**، 47/4.

[526] – ينظر، **مروج الذهب**، 141/2.

[527] – **الأغاني**، م9، 209/18–210.

[528] – **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 15/2، **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية**، ص131.

[529] – **الحيوان**: 160/6، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 14/2.

[530] – **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**، ص159.

[531] – **حياة الحيوان الكبرى**، 18/2.

أدركوني فإن الذئب قد أكلني، أو تحاول إغراءهم، بقولها: من يُخلصني، ومعي ألف دينار يأخذها، إلاّ أنهم يعرفون أنها السعلاة؛ فلا يُخلصها أحد، فيأكلها الذئب"[532].

وذهب القزويني إلى "أنّها نوعٌ من المتشيطنة، مغايرة للغول"[533]، ومن العرب من يرى أن السّعلاة ما يتراءى للناس بالنهار، والغول ما يتراءى لهم بالليل[534]، وقد زعم بعض العرب

أنه تزوج من السَّعلاة، كما حدث مع عمرو بن يربوع بن حنظله التميميّ، وعمرو ذي الأذكار ابن أبرهة ذي المنار، وأمه الجنيّة العيوف[535].

5- جِنّانُ البيوت: بجيم مكسورة ونون مفتوحة مشددة، جمع جان، "وهي الحيّة الصغيرة، وقيل الدقيقة الخفيفة البيضاء"[536]، وهي ما يطلق عليها عّمار البيوت، وهم سكان البيوت من الجن، كما جاء في قول رسول الله "عليه السلام: " إنّ لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيتم منها شيئاً، فحرّجوا عليها ثلاثاً، فإن بدا لكم بعد ذلك، فاقتلوه" [537]، والعوامِر: الحيات التي تكون في البيوت، واحدها عامرٌ وعامرة، وقيل سميت عوامِر لطول أَعْمَارها[538]، وقد تنزل في الأودية، إذ حكى بعض الرعاة " أنه نزل بوادٍ بغنمه، فسلب ذئب شأة من غنمة، فقام ورفع صوته، ونادى: يا عامر الوادي، فسمع صوتاً يقول: يا سرحان، ردّ عليه غنمه، فجاء الذئب بالشاة، وتركها وذهب"[539]، ويبدو أنه يتميز بما يمتاز به العربي من الكرم، وحسن الضيافة، وتسكين روع المحتاج؛ فقد تدّخل هنا لفائدة الراعي.

---

532 – **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص392، **بلوغ الأرب** 346/2.

533 –المصدر نفسه، ص392.

534 –**حياة الحيوان الكبرى**، 20/2، عبقر، ص75.

535 – **حياة الحيوان الكبرى**، 18/2، **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير**، ص141.

536 – **حياة الحيوان الكبرى**، 196/1.

537 – **صحيح مسلم**، 1757/4

538 – **لسان العرب**، مادة (عمر).

539 – **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص398، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 45/2-46.

وقال النضر بن شميل في جنان البيوت" هو صنف من الحيات أزرق، مقطوع الذنب، لا تنظر إليه حامل، إلاّ ألقت ما في بطنها، وفي كتاب الحشرات، قال ابن خالويه: سمعت ابن عَرفة يقول: الجنَّانُ حيّاتٌ إذا مَشَت رفعت رأسها عند المشي " [540].

6- التابع: الجن أو الشيطان يتبع الإنسان أينما كان، يقدم له ما يريده، إن كان خيّراً، ويصرعه، ويسبب له الصَرَع والجنون، إنْ كان شريراً، ولا تزال هذه المعتقدات شائعة في الأوساط العربية، فالجن مخلوقات خفية، سُخّرت لفتنة البشر [541]، وكما أنّ لكل إنسان مَلَكاً موكّلاً به، له كذلك قرناء من الشياطين؛ بدليل ما ورد من حديث لعائشة، "أنّ النبي "عليه السلام" خرج من عندها ليلاً ورجع، فتوسّم فيها الغيرة، فقال: مَالَكِ يا عائشة، أَغِرْتِ؟ فقالت: ومالي لا يغارُ مثلي على مثلك، فقال "صلى الله عليه وسلم": **لعن الله شَيْطَانك**، فقالت: يا رسول الله، أو معي شيطان، قال: نعم،ومع كلّ إنسان، قالت: ومعك يا رسول الله، قال نعم، ولكنّ ربي عزّ وجل أعانني عليه"[542]، فقد أجمعوا أنّ لكل إنسان قريناً من الشيطان، إلاّ أنّ المقصود بالتابع في المفهوم الجاهلي قد يختلف عن هذا؛ لأنه هو "الذي يتبع الكاهن يُعَلّمه كهانة أو سحراً، ويتبع الشاعر يلقنه شعراً[543].

وقد يتجلّى التابع للإنسان في صورة إنسان، من ذلك ما ذكر عن "الغيطلة" كاهنة بني أسد "أنه كان لها تابعٌ من الجن، يفد إليها، ويدخل غرفتها، ويجلس معها "[544]، كما "كان لفاطمة بنت النعمان النجادية تابع، إذا جاءها اقتحم عليها بيتها، فلما كان أولُ البعث، أتاها فقعد على حائط الدار، ولم يدخل، فقالت، له: لِمَ لا تدخل؟ فقال: قد بعث الله نبياً بتحريم الزنا"[545].

وقد يلحق التابع أشخاصاً لم يكونوا شعراء ولا كهنة، وإنّما عرفوا بحدّة ذكائهم ومعرفتهم بعواقب الأمور، مثل "أحيحة بن الجلاح" الذي اشتهر بصوابه، وسرعة إدراكه للعواقب، فعللوّا

---

540 – **حياة الحيوان الكبرى**، 196/1.

541 – **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص225.

542 – **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، ص26.

543 – **المفصّل في تاريخ العرب**، 759/6.

544 –المصدر نفسه، 765/6.

545 – **المفصّل في تاريخ العرب**، 137/1.

ذلك "بوجود تابع من الجن يعلّمه المغيبات"[546]، وكذلك أمية بن أبي الصلت الذي علمّه تابعهُ كلمة سحرية تغلّب بها على الجن، وهي (باسمك اللّهم)[547].

7- الرئـي: وهو جني يتعرّض للرجل، يريه كهانة وطباً، فهو التابع الذي يرون أنه "إذا ألف الجنيُّ إنساناً وتعطَّف عليه، وخبّره ببعض الأخبار، وجد حِسّه، ورأى خياله، قالوا معه رئي من الجن "[548] وهو مخدوم من قبله، يخبره بما وقع، ويقع من الأسرار، فالمخدوم هو من تجيبه الجن، وإذا عزم على الجن، أجابوه، ومن هؤلاء المخدومين "عبد الله بن هلال الحميري" الذي كان يقال له صديق إبليس[549]، فكانوا يقولون: "من أراد أن تجيبه الجن، فليتبخر باللبّان، ويراعي سير المشتري، ويغتسل بالماء القراح، ويكثر من دخول الخرابات"[550]، لأن هذه الأمور تألفها الجن والشياطين، فقد "كان مسيلمة الكذاب يدّعي أن معه رئياً من الجن، يخبره بما وقع، ويقع من الأسرار"[551]، وعندما رأى القرشيون الرسول "عليه السلام"، وسمعوا ما جاء به "اتّهموه أن معه رئياً من الجن، فقالوا: إنهم مستعدون أن يلتمسوا له الطبّ والتعاويذ؛ كي يَبرأ من عِلّته" [552]، واستقرّ في أذهانهم أنّ مع كلّ واحد من الكهان رئياً يخبره، وجسّد تلك العلاقة بين الإنس والجن، قول الشاعر:[553] (الطويل)

بِبَيْضَةِ قَارُورٍ وَرَايةِ شَادِنٍ   وَخُلَّةِ جِنِّيّ وَتَوصِيلِ طَائِرِ

8- الهاتف: نوع من الجن "يهتف بصوت مسموع، وجسم غير مرئي، يقدم النصح والإرشاد للناس، أو يحذرهم من أضرار، توشك أن تلحق بهم"[554]، وينسب إليه ما يدلّ على أنه يقدر على

546 – **المفصّل في تاريخ العرب**، 760/6، البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن: **الحماسة البصرية**، تحقيق عادل سليمان جمال –ط1– مكتبة الخانجي، القاهرة، 1420هـ، 1999م، 877/2.

547 – **مروج الذهب**، 141/2..

548 – **الحيوان**، 203/6، **شياطين الشعراء**، ص54.

549 – **الحيوان**، 198/6.

550 – **المصدر نفسه**، 199/6.

551 – المصدر نفسه، 205/6–206، **شياطين الشعراء**، ص74.

552 – **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص225.

553 – **الحيوان**، 206/6، **المفصل في تاريخ العرب**، 737/6.

554 –المصدر نفسه، 202/6، **المفصّل في تاريخ العرب**، 736/6.

ما لا يقدر عليه الإنسان، فينقل الأخبار عبر الجبال والقفار، بسرعة غريبة، ويأسى على ما ينزل بالكرام من حوادث، وقد يُبشرّ بميلاد[555]، كما في رواية مولد كاهنة قريش الأم سوداء بنت زهرة من بني كلاب، إذ كان من عادة العرب وأد البنت، إذا ما جاءت إلى الوجود ناقصة التكوين، ولما كانت تلك الكاهنة، قد ولدت على بعض هذه الصفات، ولمآ رأوها كذلك؛ أمر والدها بوأدها، فأرسلها مع من جهزّ لها في الخلاء، وهمّ بدفنها، وإهالة التراب عليها، فسمع هاتفاً، يقول: لا تئد الصبيّة وخلِّها البريّة، فالتفت إلى الخفاء، فلم ير شيئاً فعاد ليدفنها، فسمع الهاتف يسجع سجعاً كهنوتياً، يمنعه من وأدها، فكان أن عاد بها إلى أبيها، وأخبره بما أشار إليه الهاتف، فتركها حتى صارت وأصبحت كاهنة قريش[556]، وتحفل الكتب التراثية بأخبار وأشعار جاهلية، تتحدث عن ذلك.

9- العفريت: "هو الخبيث المارد من الشياطين"[557]، وقيل بأنه شيطان عفرية، ومنه في الحديث: "إنّ الله تعالى يُبْغِضُ العِفريةِ النفريّة، وهو الداهي الخبيث الشرير" [558]، وَ وَرد في القرآن الكريم ما يثبت شيطانيته، وخبثه وتمرده، وقدرته على الإتيان بخوارق الأمور. وتجّسدَ عمل العفريت، في قدرته على نقل عرش بلقيس، حينما وفدت زائرة لسليمان "عليه السلام" في بيت المقدس، وطلب سلميان من الجن أن يحضروا عرشها[559]، فقال تعالى على لسان عفريت: **" أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك"**[560] فهو يعتزٌّ ويفتخر بقدرته، والعفريت هو الداهية، الذي يعفر أقرانه، وهو عنيد نصّات إلى الناس، "لا يسترق السمع إلا جهاراً "[561]، وهو من المردة الذين يستمعون أخبار السماء من الملائكة، ويلقونها إلى

---

[555] – **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 736/6.

[556] – **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية**، ص121–122.

[557]– **حياة الحيوان الكبرى**، 107/2، **لسان العرب**، مادة (عفر)، شياطين الشعراء، ص54.

[558]– **صحيح البخاري**، 136/3.

[559] – **حياة الحيوان الكبرى**، 108/2.

[560]– **النحل**، آية 39.

[561] – **أديان العرب قبل الإسلام (ووجهها الحضاري والاجتماعي)**، ص368.

الكهنة[562]، ومنها قولهم للخبيث المنكر عِفرٌ، والعفارة: الخبث والشيطنة، ومنه "غشيهم يومَ بدرٍ لَيْثاً عِفريّاً"[563].

وعُرف باختطاف النساء، وأورد الأبشيهي قصة رجل، اختطفت ابنته، وحكاية أحد المسافرين الذي مرّ بها في خيمة العفريت، وكيف استطاع أن ينقذ الفتاة منه، ويعيدها إلى أهلها، ويتزوجها، وقد قال في ذلك شعراً [564]؛ ويبدو أنه كان حريصاً على مطاردة المؤمنين من الرجال، بدليل ما أورده الدميري من حديث عن رسول الله " **إنّ عفريتاً من الجن، تفلّت عليّ البارحة؛ ليقطع عليّ صلاتي، فقذعته أي خنقته**"[565].

10- القُطْرب: هو الذكر من السعالي، وقيل هو من صغار الجن، وقيل القطارب صغار الكلاب، وقيل القطربة على صورة الهِّرة [566]، وهو طائر يجول الليل كله، لا ينام، فقالوا: "أجولُ من قطرب"[567]، وورد ذكره في الحديث عن أصناف الجن، "وهم أجناس، منهم أجناس يأكلون ويشربون، ويتناكحون، وهم السعالي والغيلان والقطارب، وأشباه ذلك"[568]، وذكر الأبشيهي "أنه نوع من الأشخاص المتشيطنة"[569]، ويبدو أنه خلط بينه وبين الغدار من حيث الصفات.

11- الغدّار: نوع آخر من المتشيطنة، يلحق الإنسان، فيدعوه إلى نفسه، فيقع عليه، فإذا صاب الإنسان منه، يسأله: أمنكوحٌ أم مذعور؟ فإن كان منكوحاً، يئسوا منه؛ لأن له قضيباً كقرن الثور، يقتل الإنسان بغرزه فيه، وإن كان مذعوراً، سكن رَوْعه وشَجع، والإنسان إذا عاين ذلك خرّ مغشياً عليه[570].

---

562 – **الحيوان**، 230/6.

563 – ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم: **النهاية في غريب الحديث**– ط1– دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، 262/2، مادة (عفر)، هكذا ورد الحديث.

564 – ينظر، أحداث القصة، **المستطرف في كل فن مستظرف**، 157/2–158.

565 – **صحيح البخاري**، 197/4.

566 – **مروج الذهب**، 138/2.

567 –**حياة الحيوان الكبرى**، 222/2، **لسان العرب**: مادة (قطرب)

568 – المصدر نفسه، 55/1، و44/2.

569 – **المستطرف في كل فن مستظرف**، 84/2.

570 – **حياة الحيوان الكبرى**، 155/2، **مروج الذهب**، 137/2.

12- الدّلهاب: وهو من المتشيطنة، يوجد في جزائر البحار، ويبدو على صورة إنسان راكباً على نعامة، يأكل لحوم الناس الذين يقذفهم البحر، وإذا تعرّض لمركب في البحر، وأراد أخذ أحد ركاّبه، فحاربوه، صاح بهم صيحة، خروّا على وجوههم، فأخذهم[571].

13- الشق: جنس من المتشيطنه، صورة الواحد منهم على نصف صورة الإنسان، له عين واحدة ورجل واحدة، أو هو حيوان كالإنسان، له عين واحدة، يخرج من الماء ويتكلم، وقيل إنهُ لكل واحد منهم نصف بدن، ونصف رأس، ويد ورجل، كأنه إنسان، شق نصفين، يقفز على رجل واحدة قفزاً شديداً، وكثيراً ما يعرض للرجل المسافر إذا كان وحده، فربما هلك فزعاً، وربما أهلكه ضرباً وقتلاً، من ذلك ما حدث مع علقمة بن صفوان الذي عَرض له الشق، فقتل كلٌّ منهما الأخر[572].

14- المذهب: شيطان ضَعفة النُّساك وأغبياء العُبّاد، يُسْرِج لهم النيران، ويضيء لهم الظلمة؛ ليفتنهم، ويريهم العجب، وقيل إن بعض العباد نزل صومعة، يتعبدّ فيها، فأتاه شخص بسراج وطعام، فَتعجّب العابد من ذلك، فقال له شخص بالصومعة: إنه لَمَذْهب، يريد أنْ يخُيل لك، أن ذلك من كرمه، والله إني لأعلم أنه شيطان.[573]

15- الخابل والخبل: الخَبل فساد الأعضاء، حتى لا يدري كيف يمشي، وخَبَل الحب قلبه، إذا أفسده بخبله، وأصابه خَبَل أي فالج، وفساد أعضاء وعقل، والخَبَ ْل بالتحريك الجن، والخَبْل: الإنس، وخُبَلت يده، إذا شُلّت، والخَبَلُ: ضَرْبٌ من الجن، يقال لهم الخَابل[574]، ومنه قول حاتم الطائي:[575]

---

571 – **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص392، **حياة الحيوان الكبرى**، 155/2.

572– **الحيوان**: 206/6، **حياة الحيوان الكبرى**، 46/2، حاشية 155/2.

573– **المستطرف في كل فن مستظرف**، 157/2، **حياة الحيوان الكبرى**، حاشية 155/2.

574 – **لسان العرب**، مادة "خبل"، تاج العروس، مادة (خبل).

575 – حاتم الطائي:**ديوانه**، تحقيق مفيد محمد قمحية، دار المطبوعات الحديثة، السعودية، 1408هـ–1987م، ص76

ولا تقولي لِمالٍ كُنْتُ مُهلِكَهُ مَهْلاً، وإنْ كُنْتُ أُعْطي الجِنَّ والَخبَلا (البسيط)

أي لا تعذليني في مال أنفقته، ولو كنت أعطيه الجن، ومَن لا يثنى عليه، والخابل: الشيطان والمٌفسد، ومنه قول معقل بن خويلد: (576)

نُدافعُ قَوماً مُغْضَبينَ عَلَيْكُم فَعَلتم بهمِ خَبلاً مِنْ الشرَّ خَابلا (الطويل)

والَخبْل والخَبَلُ: الجنون، يقال به خَبلٌ أي مَسٌّ، وهذه المعاني تشترك في معنى واحد، وهو الفساد والإتلاف والجنون.. فالخابل والخبل: نوع من الجن يخبلون الناس[577]، أي يذهبون بعقولهم ويفسدونها، ويتفق هذا مع قول أوس بن حجر الذي عزل الجن الذين يخبلون عن غيرهم، بقوله[578]: "تناوح جنان بهن وخُبُلّ". وتلك علامة أهل الربا يوم القيامة، بعثُوا وبهم خبلٌ من الشيطان، وقيل هو التخبل الذي يتخبله الشيطان من الجنون [579]، والمختبل الذي اختبل عقله، أي جُنَّ، وقد خبله الشيطان والحَزنَ، والحبُّ والداءُ خبلاً، فالمعاني المتماثلة والمشتركة، تؤكد كون الخبل الذي تقوم به هذه الكائنات، هو المسُّ، والمسّ نوع من الجنون، بدليل ما قاله نابغة بني شيبان: (580) الطويل

يقولُ الشُّروبُ: أيُّ داءٍ أصابه؟ أتخبيلُ جنٍّ أم دَهَاهُ المروّقُ[581]

فهو يتساءل ماذا دهاه؟ أهو الجنون والخبل أم هي مصيبة من يولع بالشّرب!.

---

576 – الهذليون: **الديوان**،71/3

577 – **الحيوان**، 195/6.

578 – أوس بن حجر: **ديوانه**، ص94.

579 – الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر، (د.ت)، 10/14.

580 – نابغة بني شيبان: **ديوانه**، ص122.

581 – الشُّروب: جمع شرب وهم جماعة الشُّراب، المروّق: الشراب المصفّى.

الفصل الثالث

الجن والإنسان في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: الصراع بين الجن والإنس

المبحث الثاني: الوقاية من الجن والاستعانة بها

المبحث الثالث: الزواج بين الجن والإنس

المبحث الرابع: تسخير الجن

المبحث الخامس: مكافأة الجن للإنس على الخير والشر

المبحث السادس: شياطين الشعراء.

المبحث السابع: الجن والكهانة و السحر.

المبحث الأول

الصراع بين الجن والإنس

لا تخلو أمة من الأمم القديمة، من وجود عالم غير مرئي، يزخر بمخلوقات، تمتلك قوى خارقة، تصنع الخير والشر، دعيت تارة بالآلهة، وتارة بالجن، وثالثة بالأرواح، فالعرب أمة من هذه الأمم، تخيلت وجود تلك الكائنات التي ملأت بواديهم وفلواتهم، واتّصفت بقدرة عظيمة، وسطوة جبارة تنفع حيناً، وتضرُّ أحياناً كثيرة، دعوها جناً؛ وشكلت هذه الكائنات عالماً آخر، مقابل عالم الإنس، عالماً يتضمن ثنائية الخير والشر، تبدو شخصياته غامضة، وغريبة في مقدرتها على التشكل، والتعرض للمسافرين في الصحراء، وتتنوع علاقة الإنس بها، فهي تقوم على العداء والصراع لبني البشر، أكثر مما تحمله من المحبة والخير.

ولو عدنا إلى كنه هذا العداء؛ لوجدناه قديماً، وصراعاً أزلياً، مثَّل فيه الشيطان الشخصية الرئيسة، على مسرح الأحداث، منذ أن تسلل إبليس إلى الجنة، ووسوس إلى آدم وحواء بالأكل من شجرة المعرفة، كما أقرت الآيات القرآنية، في قوله تعالى: " فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشيطان "[582]، ولم يقتصر دور الشيطان على ذلك، وإنما نُسِبَ إليه أنه، هو الذي وسوس إلى قابيل، كي يقتل آخاه هابيل.

وربّما نجد في قول المزرد أخي الشماخ بن ضرار ما يؤكد وسوسة الشيطان للإنسان، وتزيين فعل السوء له، ودفعه إليه، وذلك في قوله: [583] (الطويل)

وأَيْقَنَ إذْ مَاتا بِجُوعٍ وخَيْبَةٍ وقالَ لهُ الشيْطانُ إنّكَ عَائِلُ[584]

فالشيطان في رأي الشاعر، يوسوس للإنسان؛ كي يبعده عن الصدقة، فيوحي له بأنه فقير، وليس عليه صدقة، ويتضح عداء الشيطان للإنسان، من خلال قول عنترة بن شداد مصوراً كل عدوٍ له بالشيطان: [585] (البسيط)

---

582 – **سورة الأعراف**، الآية 20.

583 – **المفضليات**، ص101.

584 – عائل: عال يُعيل: افتقر، عال يَعولَ: كثير العيال.

كَمْ يُبْعِدُ الدّهرُ مَنْ أرْجو أقَارِبُهُ   عَنّي ويَبْعَثُ شَيْطاناً أُحارِبُهُ[586]

وهكذا فقد رسخ في ذهن العربي، أن كل ما يبحث عن الصراع والعداء، يكون شيطاناً، والغريب أن يعترف إبليس، أنه وراء كل هذه التغيرات، ويقرُّ بمكره، ومكايده للإنسان، بأبيات يردُّ فيها على آدم على حدَّ زعم الجاهليين، منها: [587]   (الوافر)

تَنَحّ عن الجِنَانِ وساكِنِيها   فَفي الفِرْدوسِ ضاقَ بِكَ الفَسيحُ

وَكُنْتُ بِها وزَوْجُكَ في رَخَاءٍ   وقَلْبُكَ مِن أذى الدُّنيا مُرِيـحُ

فَما بَرِحَتْ مُكَايدتي ومَكْري   إلى أنْ فاتَكَ الثَّمنُ الرَّبـيـحُ

ولولا رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ أَمْسَى   بِكَفّكَ مِنْ جِنَانِ الخُلْدِ رِيْــحُ

تعكس هذه الأبيات دور إبليس في قصة المعصية والخطيئة، وما لحق بآدم وحواء، من جراء مكره ومكايده؛ لذلك ارتبط عداء الشيطان للإنسان بالجنة، منذ أن سعى إلى طرد آدم وحواء منها، وقد سجل الشعر الجاهلي تلك العلاقة، فالشاعر أمية بن أبي الصلت يشير إلى ذلك، بقوله:[588]

كَذي الأَفْعى يُرَبِّبهَا لَدَيْهِ   وَذِيْ الجِنّــيِّ أَرْسَــلهُ يُســـابُ[589]

(الوافر)

فلا رَبُّ المَنِيَّةِ يأمَنَنْها   ولا الجِنِّيُّ أصْبَحَ يُسْتَتَـابُ

ويتعهد إبليس باستمرار عدائه لبني آدم، فقد جاء في قوله تعالى على لسانه، ما يؤكد ذلك " **قال فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ** "[590].

---

585 – عنترة بن شداد: **ديوانه**، ص51.

586 – يريد إنساناً يبغضه كما يبغض الشيطان، أعاديه فيحاربه كراهية له.

587 – **جمهرة أشعار العرب**، ص26، **مروج الذهب**، 32/1.

588 – أمية: **ديوانه**، ص25.

589 – ذي الجني : إبليس ، الأفعى : الحية التي كلم إبليس آدم من جوفها .

ولا بد من الإشارة، إلى أن بعض الروايات، تنسب ذلك العداء إلى الحية التي توحدت مع الشيطان، وكانت الوسيلة التي دخل بها إلى الجنة، لإغواء حواء، ويثبت ذلك ما لحق بها، إذ مسخها الله، فبعد أن كانت بحجم الناقة أو الجمل، تمشي على أربع قوائم، أصبحت تزحف على بطنها، وَتُّسف التراب[591]، وتتلخص علاقة العداء بين الشيطان والإنسان، من خلال أبيات لأمية بن أبي الصلت، يقول فيها:[592] (الطويل)

لآدمَ لّما كمّلَ اللهُ خَلْقَـــهُ فخَرُّوا له طَوْعـــاً سُجُوداً وكَدَّدُوا

وقال عدوُّ الله للِكبْرِ والشَّقــا لِطينٍ على نــارِ السّمومِ فســوّدُوا

فأخْرجَهُ العِصْيانُ مِنْ خَيْر مَنْزِلٍ فذاكَ الذي في سالفِ الدَّهـرِ يَحْــقِدُ

علينا ولاَ يْألوْا خَبالاً وَحِـيْلَـةً لنُورِدَهــا ناراً عليها سيَـــوَردُ[593]

فَمالكَ في الشَّيْطَانِ والنَّار أُسْوةٌ إذا ما صَليْتَ النَّارَ بل أَنْتَ أَبْـــعَدُ

هو القائدُ الدَّاعي إلى النَّارِ لاَبِـثاً لِيوردَنا مْنها ولا يَتَـــــورَّدُ

فمالكَ في عُذرٍ وَطَاعةِ فاسِــقٍ ومَــالكَ في نَارٍ صُلِــيتَ بــها يَدُ

ويقول أمية بن أبي الصلت في عقاب إبليس: [594] (المتقارب)

وقال لإبـليسَ ربُّ العِبَـادِ أَنِ اخْرُجْ دَحِيراً لَعيناً ذَؤُوما

وهذا يتفق مع قوله تعالى: " **قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ** "[595].

---

590 – **الأعراف**، آية 16.

591 – القرطبي: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**،526/1-527، **الأسطورة والتراث**، ص51.

592 – أمية: **ديوانه**، ص47-48.

593 – نألو : نقصر ، الخبال : الفساد .

594 – أمية: **ديوانه**، ص113.

ونخلص مما سبق، إلى أن العداء مستمر، بين أطراف الصراع الى يوم الدين، خاصة وأن الحية صورة من صور الشيطان، فيبقى التوحد بينهما قائماً، من حيث الماهية والكيفية والغائية لكل منهما، ويتضح ذلك في قوله تعالى: " قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ"[596].

فالعداء والصراع مستمر. وهناك كثير من القصص والحكايات التي تؤكد ما نسبوه إلى الجن، من أمور غير طبيعية، كالأمراض والأوبئة، والصرع والاستهواء والجنون، وتشير الى هذا الصراع والعداء، منها على سبيل المثال لا الحصر، ما حدث لعلقمة بن صفوان مع الشق، حين لقيه بـ "رحا حرمان" وكيف قتل كل منهما الآخر.[597]

وقد تقتل الجن أحدهم، فيحاول ذوو المقتول الأخذ بثأره، أو يقتل إنسان جناً عن طريق الخطأ، وهو متصور بصورة الحيوان،" فيروى أن رجلاً من كلب، يقال له مرير، كان له أخوان أكبر منه يقال لهما "مرارة ومرة" قد اختطفهما الجن، فلما عرف "مرير" أقسم ألا يشرب خمراً، وأن لا يمس رأسه غسل حتى يطلب بأخويه، فتنكب قوسه، وأخذ أسهماً، ثم انطلق إلى ذلك الجبل الذي هلك فيه أخواه، فمكث فيه سبعة أيام، لا يرى شيئاً، حتى إذا كان اليوم الثامن، إذا هو بظليم، فرماه فأصابه، فوقع في أسفل الجبل، فلما وجبت الشمس تبصر بشخص على صخرة ينادي:

يا أيُّها الرامي الظَّليمَ الأَسْودَ　　　تَبّتْ مَرَاميكَ التي لم تُرْشَدْ

فأجابه مرير:

يا أيُّها الهاتفُ فوقَ الصَّخْرةِ　　　كَمْ عَبْرَةٍ هَيّجتَها وَعـبرَه

بقَتْلِكُم مُرَارةً وَمُـــرّةً　　　فَرَّقتَ جَمْعاً وَتَرَكْتَ حَسْره

فتوارى الجنيُّ عنه هوياً من الليل، وأصاب مريراً حمى، فغلبته عيناه، فأتاه الجنيُّ فاحتمله، وقال

---

595 – **سورة الأعراف**، الآية 13.

596 – **الأعراف**، آية 24.

597 – **الحيوان**، 6/206–207، **مروج الذهب**، 2/140.

له: ما أنامك وقد كنت حذراً، فقال: "الحمى أضرعتني للنوم"[598]، فذهب مثلاً.فقال مرير: [599]

أَلاَ مَنْ مُبْلغٌ فتيانَ قَوْمـي بِما لاَقَيْتُ بَعْدَهُم جَميعاً (الوافر)

غَزَوْتُ الجِنَّ أَطلُبهُم بِثَأْري لأَسْقيَهُم بِه سُمَّاً نَـقِيعاً

فَيَعْرِضُ لي ظِليمٌ بَعدَ سَبْعٍ فَأَرْمِيَه فَأَتْرُكُهُ صَرِيعاً

فالقصة وإن لم تكن حقيقة؛ لأن الميداني أوردها، ليؤكد بها معنى المثل، فإنها تدل على قوة اعتقاد الجاهليين بالقدرة على مخاطبة الجن، والتعامل معها، وعلى العداء والصراع بين الإنس والجن، ومحاولة الإنس الثأر منها.

وممن نسب قتلهم إلى الجن، حرب بن أمية الذي قتلته الجن؛ ثأراً للحية التي اعترض لها وجماعته، وقتلوها، وما زالت حية أخرى تلاحقهم، وتنفر إبلهم، حتى صادفوا شيخاً من الجن، علمهم كيف يتغلبون عليها[600]، فقتلت حرب بن أمية انتقاماً، وقالت في ذلك شعراً : [601]

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ (الرجز)

ويقول أمية بن أبي الصلت مشيراً إلى مكانة حرب بن أمية، ومؤكداً ضرورة الانتقام له، من الجن:[602] (الوافر)

فلو قتلوا بِحَرْبٍ ألفَ ألفٍ من الجِنَّانِ والإنسِ الكرامِ

رَأَيْنَاهُم لَه ذَحْلاً وقُلنا أَروْنا مثلَ حَرْبٍ في الأَنَـامِ

وكل هذا يشير إلى أن العلاقة بين الجن والإنس، كالعلاقة بين القبائل بعضها ببعض. واستمرت هذه المعتقدات حتى العصر الإسلامي؛ إذ نسب إلى الجن أنها قتلت "سعد بن عبادة"، بدليل أنه

598 – الميداني: **مجمع الأمثال**، 256/1.

599 – المصدر نفسه، 255/1–256.

600 – **مروج الذهب**، 141/2 .

601 – **الحيوان** 6 / 207، **مروج الذهب**، 141/2.

602– أمية: **ديوانه** ، ص132

بقي في مغتسله، حتى اخضرَّ جسده، ولم يشعر بموته أحد، حتى سمعوا قائلاً، يقول ولا يرون أحداً: [603]

قدَّ قتَلْنَا سيِّدَ الخَزْرَ ج سَعْدَ بنَ عبَادة (مجزوء الرمل)

وَرَمَيْنَاه بِسَهْمَيْنِ فَلَمْ نُخْطِ فُؤَادَهُ

وخير ما يمثل ذلك الصراع في الشعر الجاهلي ما ورد عن"ثابت بن جابر"تأبط شراً، إذ يقول:[604]

ألا مَنْ مُبْلغٌ فِتْيانَ فَهْمٍ بِمَا لاقيتُ عِندَ رَحى بِطَانِ[605] (الوافر)

بأنِّي قَد لَقيتُ الغولَ تَهوي بَسْهبٍ كالصَّحِيفةِ صَحْصَحَانِ[606]

فقلْتُ لها: كِلانا نِضْوُ أَيْـنٍ أخُـو سَفَرٍ فخَلِّي لِي مَكَاني[607]

شَدّتْ شَّدةً نَحْوي فأهوَى لَها كَفِّي بِمَصْقُولٍ يَمَاني

فَأَضربُها بِلاَ دَهْشٍ فَخَرّتْ صَريعاً لليَدَيْن وللجِرَانِ[608]

قَالَتْ: عُدْ، فَقُلْتُ لَها: رُوَيْداً مَكانَكِ إننّي ثَبْتُ الجَنَانِ

فَلَمْ أنْفَكَ مُتَّكِئـاً عليها لأنْظُرَ مُصْبِحَاً مَاذا أتَانِي

يسجل الشاعر ما حدث له مع الغول، ويبحث عن مبلغ لخبره، ويحدد المكان "رحى بطان" الذي التقى فيه معها، ويحاول أن يجعل الحادثة حقيقة، لها شخوصها ومكانها، ويصف

---

[603] – **الحيوان**، 209/6، **آكام المرجان في غرائب الاخبار وأحكام الجان**، ص165.

[604] – تأبط شراً: **ديوانه**، ص106، **بلوغ الأرب**، 342/2 مع تغييرات بسيطة.

[605] – فهم : قبيلة الشاعر.

[606] – صحصحان : جرداء ، السهب : الارض البعيدة

[607] – النضو : الضعيف ، الأين : التعب .

[608] – دهش : ذهب عقله من الخوف ، الجران : باطن العنق

المكان، بأنه صحراء مستوية ملائمة لصراعه معها، مما يثبت اعتقاد العرب بظهور الغول في الصحراء المقفرة، وتَعُّرضها للمسافرين، ويجعل الغول هي البادئة بالهجوم؛ ليوحي بعدوانيتها، كما رسخت في أذهان العرب، ويعمد إلى إبراز شجاعته وبطولته، إذ لم يتردد لحظة في التصدي لها، ولم يفكر في الهرب، فما إنْ هجمت عليه، حتى بادرها بسيف يماني قاطع، وضربها ضربة الموت، فتسقط أرضاً تتخبط بدمائها، وفيها بقية من روح، فتطلب منه أن يتركها ويعود من حيث أتى، ثم تطلب منه أن يعود؛ فيضربها ضربة ثانية، فيرفض؛ لاعتقاده أنه إذا ضربها الضربة الثانية عادت الحياة إليها[609]، وهذا ما يتردد في الحكايات الخرافية "ثنّي، ما عَلَّمتني أمي، ضربة الرجل ما تتثنَّاش "[610]، وفي هذا استجداء الحياة للمهزوم، وهو لا يأبه لطلبها، ولا يخاف عاقبة قتلها، فيرد عليها بلغة المنتصر المتمكن، طالباً منها أن تلزم مكانها صامتة؛ لأن لديه قلب الشجاع الذي لا يهاب، ويبقى جاثماً على صدرها ، حتى لاح الصباح، وبدأ بوصف جسدها.

فالقصة التي سردها الشاعر شعراً، تعكس شعوره بالمطاردة، ذلك الشعور الذي كان ثقيل الوطأة على نفسه، فأقضّ مضجعه، وأرّقه، وبعث فيه القلق والتوحش، فجعله في خوفٍ دائمٍ من كل شيء، حتى بلغ به حد الوهم، وتصور أعداء لا وجود لهم، ومخلوقات لم تخلق قطـ إلا في خياله، وخيال الأساطير، كالأغوال والجن وغيرها[611].

ويروى عن الشاعر نفسه قصة أخرى مع الغول، مضمونها، أنه راودها عن نفسها إعجاباً وفتنة بها، ولمّا رفضت قتلها، وصاغ ذلك شعراً، فقال[612]:(المتقارب)

فأصبحتُ والغولُ لي جارةٌ　　　فيا جارَتا أنتِ ما أَهْوَلا

---

609 – **الحيوان**، 235/6.

610 – **مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير العربية**، ص131.

611 – حفني، عبد الحليم: **شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص282.

612 – تأبط شرا : **ديوانه** ،ص60 ، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: **الشعر والشعراء**– ط2– دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1964م ، 230/1 .

وطالَبْتُها بُضعَها فالـتَوَتْ بِوَجْهٍ تَهَـوَّلَ فاسْتَغْولا[613]

فقُلْتُ لَها يا انْظُري كي تَرَيْ فَوَلَّتْ فَكُنتُ لَـها أَغْولا[614]

فطَار بِقَحْفِ ابنةِ الجِنَّ ذو سَفَاسِقَ قد أَخْلَقَ المِحْمَلا[615]

إذا كَلّ امْهَيتُهُ بُالصَّفا فَحَدَّ ولم أَ ُرِهِ صَـيْقَـلاَ[616]

عَظَاءةُ قَفْرٍ لها حُلَّتـــا نِ مِنْ وَرَقِ الطَّلْحِ لَمْ تُغْزَلا[617]

فَمَن سائلٌ أيْنَ ثَوَتْ جارتي فإنّ لـــها باللِّوى مَنزِلا[618]

وَكُنْتُ إذا ما هَمَمْتُ اعْ َتَزَمْتُ وَأَ َحِ ْرِ إذا قُـلْتُ أنْ أَفْعلاَ[619]

فالشاعر يقص علينا ما حدث مع "جارته الغول" ويؤكد اعتقاد العرب بأنّ الغولَ نوع من الجن، تتشكل بهيئة جميلة " فطار بقحف ابنة الجن"، ويصف سيفه بالحدة والقطع؛ ليبين معتقداً كان سائداً،وهو أن ضربته أطاحت برأسها عن جسدها، مما يعزز اعتقادهم بموت الغول من ضربة واحدة، فإذا ضربت ضربة أخرى، عاشت،فينشد الجاحظ قول الشاعر: [620] (الطويل)

فَثنيتُ والمقدارُ يَحْرِسُ أهلَهُ فَلَيْتَ يَميني قبلَ ذلكَ شُلَّتْ

فالشاعر يندم على ضربه الغول ضربة ثانيه؛ لأنها عاشت ولم تمت، ويثبت تأبط شراً اقترابه منها، ومحاولتها التمنع عليه، حتى قدر على قتلها، فقصة تأبط شراً، تبين نظرة الإنسان إلى

613 – البضع : الزواج.

614 – أغولا: أشد إهلاكاً وأكثر مصيبة.

615 – ذو السفاسق: السيف، أخلق: أبلى وأتلف، القحف: العظم الذي فوق الدماغ.

616 – أمهيته: سننته.

617 – العظاءة: دابة صغيرة من الزواحف.

618 – اللوى: موضع بعينه، وما استرق والتوى من الرمل.

619 – اعتزمت: وطّنتُ النفس، أحر: أجدر.

620 – **الحيوان** : 234/6.

الغول، وطبيعة العلاقة بينهما، وقدرة الجن على التشكل والتلون، على الصعيدين الجسدي والنفسي، فقد استخدم كلمة جارتي أكثر من مرة، ليؤكد قربها منه.

ويعدُّ عنترة بن شداد من الشعراء الذين وقفوا على تلك العلاقة، وإن لم يفصح، أو يوضح، ولم يطل الوقوف عليها، كما فعل تأبط شراً، فيقول عنترة: [621] (الكامل)

إنْ كنتَ أنَتَ قَطَعتَ بَرّاً مُقفُراً	وسَلَكْتَهُ تحتَ الدُّجى في جَحْفَلِ
فانا سريت مع الثريّا مُفردا	لا مُؤنسَ لي غيّرَ حَدِّ المُنصّلِ
والغولَ بينَ يّديّ يخفى تارة	ويعودَ يَظهَرَ مثلَ ضَوْءِ المشعَل
بنواظرٍ زرّقٍ وَوَجّهٍ اسودٍ	واظافرٍ يَشبهنَ حَدَ المِنجَلِ
والجِنَ تفرقَ حَولَ غاباتِ الفلا	بِهَماهمٍ ودمادمٍ لم تغفلِ
وإذا رات سَيفي تضجَّ مخافة	كضَجِيجِ نوقِ الحيِّ حولَ المَنزِل
تلك اللّيالي لو يَمُرُّ حدِيثُها	بِوليدِ قَوْمٍ شابَ قَبلَ المِحْمَلِ

فالشاعر يثبت أنه لقي الغول، ويظهر شجاعته في ذلك الموقف المرعب، الذي ظهرت له به، إذ كانت في صورة مرعبة ومخيفة، ويؤكد ما اعتقده العرب، من ظهورها ليلاً، واعتراضها للمسافرين في الأماكن المقفرة، ويقرن الغول بالجن، كما فعل تأبط شراً، إلا أنه جعل الجن تخاف منه وتضج لرؤيته، وجعلها تصوت وتتحرك بحركات تشبه حركات النوق حول المنازل، ويصف شدة هول تلك الليلة، بأن الوليد يشيب من سماع الحديث عنها، وقد اكتفى بوصف أثرها في نفسيته، ولم يصرّح أو يوحِ بأنه خاض صراعاً معها أو قتلها، وإنما جعلها تضج من رؤيته فقط. تعكس الأشعار السابقة عداء تلك الكائنات الذي تمثل في قتل الجن للإنس، ومحاولة أخذها

---

[621] -عنترة بن شداد: **ديوانه**، ص133-134.

بثأرها منه، وقتل الإنس للجن، ويتجلى خوف الإنس من الجن، وهروبها منها، في قول الحطيئة:[622]

خافوا الجنَانَ وَفرّوا مِنْ مُسوّمةٍ   يُلوَى بأعناقِها الكتّانُ والأَبَقُ (البسيط)

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تعدّاه إلى اختطاف الجن للإنسان، فقد روي أنها اختطفت عمرو بن عدي، وعمارة بن الوليد، وطالب بن أبي طالب[623]، فلم يجدوا لهم أثراً، وخرافة الذي قال فيه الشاعر: [624] (الوافر)

حياةٌ ثمَّ موتٌ ثم بَعْثٌ   حَديثُ خُرافةٍ يا أمَّ عَمْرو

وإن اختلف الشعراء في نسبة هذا البيت، فإنه يبقى دليلاً على اختطاف الجن للإنس، فالجن مثل البشر، تتصادق مع البشر، وتتباغض، وقد تختطفهم وتصرعهم.

---

622 – الحطيئة: **ديوانه**، دار صادر، بيروت، 1401هـ– 1981م، ص264.

623 – **الحيوان**، 6/209 – 210.

624 – **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص130، **مجمع الأمثال**، 1/243.

المبحث الثاني

الوقاية من الجِنّ والاستعانة بها

شكلت الجن هاجس الرعب، بالنسبة للجاهليين، فنراهم ينسبون إليها كل ما يلحق بهم من أمراض، وبخاصة العقلية والعصبية، "فالخبل أحد الأمراض التي نسبوها إلى الجن، إذ يخبل الناس ويسلب عُقولَهم"[625]، يقول أوس بن حجر:[626] (الطويل)

لِلَيْلى بأعلى ذي مَعَارِكَ منْزِلٌ خَلاءٌ تَنادَى أَهْلُهُ فَتَحمَّلوا[627]

تَبَدَّلَ حالاً بَعَد حالٍ عَهِدْتُه تَنَاوحَ جِنَّانٌ بِهِنّ و خُبّلُ

تبدو ليلى في الشعر الجاهلي "مثل "ديانا" ربة الصيد عند الرومان، يهيم على ديارها الذين خبلهم حبها؛ فأفقدهم عقولهم"[628]، ولا عجب في ذلك، فقد ربط القرآن الكريم الخبل بالشيطان؛ فجعل الذين يأكلون الربا، لا يقومون، إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، فهو كالمجنون[629].

ويشبه عامر بن الطفيل الأعداء الذين غلبوه وقومه على أمرهم، بطائفة الجن التي تصيب الإنسان بالخبل، فيقول: [630] (الطويل)

فَلَو كانَ جمعٌ مِثْلُنا، لَمْ يَبزُّنَا وَلكنْ أتانا كلُّ جِنٍّ وخابِلُ

وقد أشار الأعشى إلى ذلك بقوله:[631] البسيط

---

[625] – تاج العروس: مادة (خبل)، **المفصل في تاريخ العرب**، 6/722–724.

[626] – أوس بن حجر: **ديوانه**، ص94.

[627] – ذو معارك: موضع في ديار بني تميم.

[628] – عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، في ضوء النقد الحديث، وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية، مكتبة الأقصى، عمان، 1976، ص149.

[629] – قال تعالى: " الذين **يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المَسّ**"، البقرة، آية 275.

[630] – عامر بن الطفيل: ديوانه، دار صادر، بيروت، 1399هـ – 1979م، ص91.

[631] – الأعشى: **ديوانه**، ص146.

فَكُلُّنا مُغْرمٌ يَهْذي بِصَاحِبه   ناءٍ ودانٍ، ومَخْبولٌ ومُختَبَلٌ

فقد أصبح كلٌ منهم فاقِداً عقله من شدَّة الحبِّ، فكأنه أصابه جنونٌ. ويقول أبو خراش الهذلي مشيراً إلى أثر الجن، وما تلحقه بالإنسان: [632] (الطويل)

شديدُ الأسى بادي الشُّحُوبِ كأننّي   أَخُوجِنّةٍ يعتادُهُ الخَبْلُ في الجِسْمِ

فقد أصبح ساهمَ الوَجْهِ شاحِبَه، كأنّ به جنوناً، وهكذا فقد نسبوا الجنون إلى الجن، وجعلوه تلبس الجن للإنسان، ودخولها جسمه.

ولم يقتصر الجنون على الإنسان، وإنما نسبوا إلى الجن جنونَ الحيوان، فالأعشى يقول: [633]

وَتُصبحُ مِنْ غَبِّ السُّرى وكأنّما   ألـمَّ بِهـا مِـنْ طَـائِفِ الجِـنَّ أَوْلَـقُ [634]

(الطويل)

فهو يصف ناقته بالجنون، من نشاطها واجتماع قوتها، إذ لم يضعفها طول السرى، مما يدل على أن النشاط في رأي الجاهليين من الجنون. لأن "الطيف هو الغضب، ويسمى الجنون والغضب والوسوسة طيفاً؛ لأنه لمةٌ من الشيطان" [635]، وقد يصرع الجنُّ، والصرع من الجنون، وهذا ما ورد في قول دِعلج الحكم: [636]

وَكَيْفَ يُفيقُ الدَّهرَ كعبُ بنُ ناشبٍ   وَشَيَْطَانُه عندَ الأَهلَّةِ يُصْرَعُ (الطويل)

ومن مزاعم العرب، أن الطاعون رماح الجن، ويعتبرونه عقاباً من الجن للإنس، قال الأسدي [637] مخاطباً الحارث الملك الغساني: [638] (الوافر)

---

632 – الهذليون: **الديوان**، 152/2.

633 – الأعشى: **ديوانه**، ص118.

634 – أولق : جنون.

635 – القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 350/7، "**إن الذين اتقوا إذا مَسّهم طائف من الشيطان**"، الأعراف، آية 201.

636 – الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**– ط1– المكتبة الحيدرية، 1416هـ، 615/2.

637 – الأسدي: أحد أبناء قبيلة بني أسد التي أغار عليها الحارث الغسّاني، وقاتل أهلها قتالاً شديداً، الحيوان، 218/6.

لَعَمْرُكَ ما خَشَيْتُ على أُبيٍّ   رِماحَ بَني مُقيَّدَةِ الحِمارِ[639]

ولكنّي خَشَيتُ على أُبَيَّ   رماحَ الِجنَّ أو إيَّاكَ حارِ

فالشاعر يرى أن ثّمة خطرين يُهددان أُبياً، وَهُما حَريّان بأنْ يهَابهُما المرءُ، أما الأولُ، فهو الطاعون الذي تسببه الجن، والثاني فهو غَضَبُ الملكِ الحارث.

وقد أرْجَع حسان بن ثابت طاعونا، حلّ بالشام إلى وخز الجن، بقوله: [640]   (البسيط)

فأَعْجَلَ القومَ عن حاجاتِهم شُغُلٌ   مِنْ وَخْزِ جِنٍّ بأرضِ الرُّومِ مذكورُ[641]

ويقول زيد بن جندب الإيادي: [642]   (الطويل)

وَلوْلا رماحُ الجِنَّ ما كانَ هَزَّهُم   رِماحُ الأعادي مِنَ فَصيحٍ وأَعْجَمِ

وتأتي السّفعة ضمن هذه المعتقدات، إذ تعتبر نظرة الجن، وتبدو عين الجن أكثر ضرراً من عين الإنس، بدليل قول بعضهم: [643]   (الطويل)

وقْدَ عالجُوهُ بالتَّمائمِ والرُّقَى   وَصَبُّوا عليهِ المَاءَ من أَلَمِ النَّكْسِ

وقالوا أصابَتْهُ مِنَ الجِنَّ أَعْيَنٌ   وَلَوْ عَلِموا داووهُ مِنْ أعْيُنِ الإنْسِ

فانطلاقاً من هذه التصورات، شعر الجاهلي بضرورة التقرب إلى الجن؛ بالتحالف معها، وعقد الصلح والمعاهدات. وتعد الاستعاذة بالجن وسيلة أخرى، اتبعها الجاهليون للتخلص من أذاها؛ لأن الاستعاذة تكون بقوة غيبية خارقة، من أجل التغلب على شر قوة أخرى، وذلك في

---

[638] – **الحيوان**، 6/ 219، **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، ص139.

[639] – مقيدة الحمار: الحرة من الأرض، لأنها تعقل الحمار، فكأنها قيد له.

[640] – حسان بن ثابت: **شرح ديوانه**، ص170.

[641] – الوخز : الطعن .

[642] – **الحيوان**، 219/6.

[643] – **بلوغ الأرب**، 2 / 365، **الوثنية في الأدب الجاهلي**، ص170.

سياق صراع الإنسان العربي مع الطبيعة، أو قوى بشرية أخرى، وليس أدل على ذلك، من اعتقادهم، أن من لطخ بدنه بشحم الأسد، هربت منه السباع[644]، فمن ذلك ما يحكى عن "حجاج ابن علاط السلمي" أنه قدم مكة في ركب، فأجنّهم الليل بواد مخوف موحش، فقال له الركب: قم وخذ لنفسك أماناً ولأصحابك، فجعل يطوف بالركب، ويقول: [645]

أُعيذُ نَفْسي وأُعيذُ صَحْبِي   مِن كلِّ جِنيٍّ بِهذا النّقبِ (الرجز)

حتى أؤوبَ سالماً وَرَكْبي

وحينما كانوا يعوذون بالجن، فإنهم كانوا يخاطبونهم، بلهجة فيها التذلل لهم، والتمجيد لسيد الجن وتعظيمه، كي يمن عليهم بالرعاية والحماية، قال أحدهم، وقد نزل أرضاً موحشة : [646](الرجز)

أَعوذُ مِنْ شَرِّ البلادِ البِيْدِ   بَسَيِّدٍ مُعَظَّمٍ مَجيدٍ

أصبحَ يأوي بِلَوَىً زَرْوُد   ذِي عِزّةٍ وَكَاهِلٍ شَدِيدٍ

فالعرب كانت في خوف دائم من الجن؛ فلذلك كانوا إذا احتوتهم هوجل[647]، يستجيرون منها رهبة لا رغبة، فقد: كان العرب إذا سار أحدهم في تيه من الأرض، وخاف الجن، يقول رافعاً صوته، مستجيراً بسيَّد هذا الجن:أنا مستجيرٌ بسيّد هذا الوادي، فيقدم له الخفارة"[648].

وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك المعتقدات، بقوله:"**وأنه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن، فزادوهم رهقاً**"[649].

ويبدو تفاوت إيمان الجاهليين بهذه المعتقدات، فهذا رجل يستعيذ بعظيم الوادي من الجن؛ ليحميه وولده، فلم يمنعه ذلك، من أن يأتي أسد، ويفترس ابنه، فيقول: [650]

---

644 – **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**، ص21.

645 – **المفصل في تاريخ العرب** ، 720/6 ، و136/1.

646 – **بلوغ الأرب**، 326/3، **المفصل في تاريخ العرب**، 721/6.

647 – الهوجل: المفازة البعيدة التي ليست بها أعلام، **لسان العرب**، مادة (هجل).

648 – **السيرة النبوية**،153/1.

649 – **الجن**، آية 6.

قد اسْتَعَذْنَا بعظيمِ الوادي من شرِّ ما فيه من الأعادي (الرجز)

فَلَمْ يُجِرنا مِنْ هِزبَرٍ عادي

يلاحظ أنّ الجنّ لدى العرب قد ينفعون، وقد يضرون، ولهم سادة وعظماء، يرتقون في أذهان العرب إلى مكانة تقترب من مكانة الآلهة، بما يملكونه من قدرات فائقة، الأمر الذي قادَ بعض الجاهليين إلى عبادتها، وربطها بعبادة الأوثان، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون، أنَّ كل ما يحلُّ في الأوثان مرتبطٌ بالجن، فكما جاء في إحدى الروايات، أنه كان في كلّ من " اللات والعزّى ومناةَ شيطانة، تكلّم العرَب الجاهليين، وتتراءى للِسدَنة، وما الشيطانة إلا جنّية"[651]، وإن كان بعضٌ منهم، قد رفض عبادة الجن، كما رفض عبادة الأوثان، وهذا ما فَعَله زيدُ بنُ عمرو بن نفيل، وعبّر عنه في شعر يُنْسَب إليه، في رواية مرفوعة إلى أسماء بنت أبي بكر، وكان قد سعى في تحطيم هذه العبادة، وإسقاط هذا الصنف الروحي من الآلهة، فيقول في ذلك: [652]

عَزَلْتُ الجِنَّ والجنَّانَ عنّي كَذلك يَفْعَلُ الجَلَدُ الصَّبورُ (الوافر)

فلا العُزّى أَدينُ ولا ابْنَتَيْها ولا أُطْميْ بني طَسْمٍ أُديرُ[653]

وقد مدح ورقة بن نوفل ما فعله زَيْد بنُ عمرو، من ترك عبادة الأوثان، وما يَحِلُّ فيها من الجن، مشيراً إلى أن العرب، كانت تضع رجاءها في تلك الآلهة من الجان؛ لما لها في نفوسهم من رَهْبَة وخشية، ويعبّر عن إيمانه، بأنّ الجنَّ هي أضعفُ، من أن يتعوذَ بها الإنسانُ، وأنّ الحمايةَ الحقيقيةَ، إنما تكون في جنب الله، وينسب إليه قوله: [654] (الطويل)

رَشَدْتَ وأَنْعَمْتَ ابنَ عمرو وإنّما تَجَنّبَت تنُّوراً من النَّارِ حاميا

بدينكَ ربّاً لَيْسَ ربٌّ كَمِثْلِهِ وتَرْكِكَ جنّانَ الخَبَالِ كما هيا

---

650 – المصدر نفسه، 325/2 **المفصل في تاريخ العرب** ، 721/6.

651 – **أخبار مكة،** 1 /127.

652 – **الوثنية في الأدب الجاهلي،** ص 172.

653 – الأطم: كل بيت مربع مسطح كأنه الوثن، أدير :أطوف.

654 – الأغاني، م2، 16/3، وردت الأبيات فيما نسب إلى أمية: **ديوانه،** ص165–167.

أقولُ إذا جَاوزتُ أرْضَاً مَخُوْفَةً حَنَانَيْك لا تُظهر عليّ الأعَاديا

حَنَانَيك إنّ الجنَّ كانت رجاءهم وأنتَ إلهي رَبَّــنا ورَجائيا

ويبدو ذلك في قول الأعشى، داعياً إلى عبادة الله، وترك عبادة الشيطان: [655] (الطويل)

وَصلِّ على حينِ العشيّاتِ والضُّحى ولا تَحْمدِ الشيطانَ، واللهَ فاحَمداَ

ونلمح ذلك في قول عبد الله بن الحارث، وهو في الحبشة، ذاكراً نفي قريش إيّاهم من بلادهم، ومعاتباً بعض قَوْمه في ذلك: [656]
(الطويل)

نَفَتْهُم عِبادُ الجِنَّ مِن حَرَّ أرضِهِم فأضْحَوا على أمرٍ شديدِ البَلابلِ

وهكذا فقد آمن بعضُ الجاهليين، أنَّ تلك الكائنات، هي القوى العظمى التي بيدها النفع والضر، فلجأوا إليها في المَلَمّات، وإنْ رَفَض بعضُهم ذلك الاعتقاد.

ويبدو التفاوت في إيمانهم بقدرتها على حمايتهم، وخوفهم منها، أنهم كانوا إذا دخل أحدهم قريةً، خاف من جِنّ أهلها، ومن وباء الحاضرة أشدَّ الخوف، إلا أن يَقِفَ على باب القرية، فَيُعَشّر كما يُعَشر الحمار في نَهيقه، ويعلّقُ عليه كعبَ أرنب، وقاية من العين والسحر[657]، وهذا الشاعر يقول منكراً قدرة هذه الطقوس على الحماية في ذلك: [658] (الطويل)

ولا يَنفَعُ التّعشيرُ في جَنْبِ جِرْمةٍ ولا دَعْدَعٌ يُغنى ولا كَعْبُ أَرْنَبِ[659]

وقد أنكره "عروة بن الورد"، وردّ على الذين عشروا بالقرب من خيبر، فقال: [660]

وقالوا: احْبُ وانْهقْ، لا تَضِيرُكَ خَيبرٌ وَذَلك، مِنْ دِينِ اليَهود، وُلُوعُ (الطويل)

---

655 – الأعشى: **ديوانه**، ص46.

656 – **السيرة النبوية**، 247/1.

657 – **نهاية الأرب**، 125/3.

658 – **الحيوان**، 358/6، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 463/1، برواية(ولا وَدَع).

659 – الجرمة: ما جرم وصرم من النخل.

660 – عروة بن الورد: **ديوانه**–ط1– شرح سعدي ضناوي، دار الجيل، بيروت، 1416هـ – 1996م، ص 177-178.

لَعَمْرِي، لَئِنْ عَشَّرتُ، من خَشْيَةِ الرَّدَى، نُهاقَ حِمارٍ، إنَّني لَجَـزُوعُ

فلا وَأَلَتْ تلكَ النفوسُ ، ولا أَتـَتْ، على روضةِ الأجدادِ، وهي جَميعُ

فهو ينكر ذلك، ويعدّه من كذب اليهود الذين آمنوا بقدرة الكلمة وتأثيرها على الجن والشياطين؛ "وكان صحبه قد عشّروا وماتوا، وسَلِمَ هو"[661] ويستدلُّ من أبياته "أن الرجل كان إذا دَخَلَ خيبر أكَبّ على أربع، وعشّر تعشير الحمار، وهو أن ينهق عشر نهقات متتابعات، ليدفع عن نفسه حمى خيبر"[662]؛ ويرجع ذلك إلى اعتقادهم " أن الشياطين تهرب من نهيق الحمار".[663] وقال شاعر آخر يؤيد عروة بن الورد في إنكار التعشير:[664]

لا يُنْجينك منِ حِمامٍ واقعٍ كَعْبٌ تُعَلِّقهُ ولا تَعْشِيرُ (الرجز)

فهذا يؤكد تفاوت الناس في تقبل هذه الممارسات والمعتقدات. ومما استخدموه تعليق الأقذار على الرجل الذي يخافون عليه الجنون، وتعرُّض الأرواح الخبيثة له، فكانوا يعمدون إلى تعليق خِرْقةِ الحيض، وعظام الموتى، فيقول الممزّق العبدي:[665] (الطويل)

وَلَو كان عندي حازيانِ وَكَاهنٌ وعلَّقَ أَنْجَاساً عَليَّ المنجِّسُ

ويزعمُ الجاهليون، أن التنجيس يشفي إلا من العشق، الذي اعتقدوا أنه من الأرواح الشريرة، وفي ذلك يقول أعرابي:[666] (الطويل)

يَقولونَ علّق يا لكَ الخيرُ رُمّةً وهَلْ ينْفع التنَّجيسُ مَنْ كانَ عاشِقا

---

[661] – **الحيوان**، 359/6، **معجم البلدان**، 84/3.

[662] – القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، 1960م، ص 92.

[663] – **صحيح البخاري**، 155/4، **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، ص239.

[664] – **بلوغ الأرب**، 316/2.

[665] – البحتري، أبو عبادة، الوليد بن عبيد: **ديوان الحماسة**، ط1، وضع حواشيه، محمود رضوان ديّوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ– 1999م، ص118.

[666] – **بلوغ الأرب**، 319/2.

فالشاعر يخالف معتقداتهم، وينفي قدرةَ التنجيس على تخفيف ما به، مما يؤكد تفاوت الجاهلين فيما بينهم، في إيمانهم بهذه المعتقدات.

ومن طرق الوقاية التي استخدمها الجاهليون، وسجلها الشعراء في أشعارهم، ما كانوا يفعلونه، إذا طالت علة المريض، وظنوا أن به مساً من الجن، من ذلك ما قال بعضهم: [667]

قَالوا وقَد طَالَ عَنائي والسَّقَمْ   احْمِلْ إلى الجنِّ جَمَالاتِ وضَمْ   (الرجز)

فَقَدْ فَعَلْتُ والسُّـقامُ لم يُرَمْ   فَبِالذي يَمْلكُ بُرْئي أعْتَصِـم

وقال آخر: [668]   (الطويل)

فيا ليتَ أَنَّ الجنَّ جازوا جَمَالتي   وزُحْزِحَ عنّي ما عَناني مِنْ السَّقمْ

ويا ليتَهم قالوا أَنْطنا كلَّ ما حَوَت   يمينُكَ في حَـرْبِ غَماسٍ وفي سَلَمْ

أعلَّلُ قَلْبي بالذي يَزْعَمُونُهُ   فَيَا لَيْتَني عُوْفِيتُ في ذلك الزّعَمْ

ويقول آخر: [669]
(الطويل)

ألا إنّ جِنَانَ النُّويرةِ أصْبَحوا   وَهُم بَيْنَ غَضْبِـانٍ عَليَّ وآسِفِ[670]

حَمَلْتُ وَلَمْ أقْبل إلَيْهم حَمَالةً   تُسكِّنُ عَنْ قلـبِ مِنْ السَّقْمِ تَالِفِ

ولو أَنْصَفوا لَمْ يَطْلُبوا غَيرَ حَقَ◌َّ◌ِهم   وَمَنْ لي مِنْ أَمْـثَالِهم بالتَناصُفِ

تَغَطَّوا بِثِوْبِ الأرضِ عَنّي ولو بَدَوا   لأصبحتُ مِنْهُم آمِناً غيرَ خائِف

---

667 – **بلوغ الأرب**، 359/2، **المفصل في تاريخ العرب**، 812/6.

668 – المصدر نفسه، 359/2.

669 – المصدر نفسه، 2/ 359.

670 – النويرة: البور، وهي الأرض التي لم تزرع، التالف: الهالك.

فالنصوص تشير إلى الشكوى والتذمر، من عدم شفاء المريض، على الرُّغم مما قاموا به، من استرضاء للجن، فالجن لم تقبل ما قدموه لها، وبقي المريض على حاله، والقائل يبدي استعداده، لإعطائهم ما يريدون، ليرضوا عنه، فيشفى من مرضه، ويعزو خوفه منهم لسبب اختفائهم عن الأعين في أرض مقفرة (النويرة)، فلو أنهم ظهروا لذهب الخوف من قلبه.

نستنتج من ذلك، أنهم نظروا إلى هذه الكائنات، على أنها ذات قدرات خارقة، وكثيراً ما تستخدمها لإلحاق الأذى ببني البشر، فقد تفتك بالإنسان وتختطفه، ناهيك عمّا تلحق به من الأمراض، مما دفعهم إلى تسخيرها في العلاج.

المبحث الثالث

الزواج بين الجن والإنس

نشأت بين الإنس والجن علاقات تآلف، منها التزاوج والمعاشرة، فقد زعم الجاهليون أن التناكح والتلاقح، قد يقع بين الجن والإنس، كما زعموا أن المجنونة إذا صرعها الجني، وذلك عن طريق العِشْق والهوى، وشهوة النكاح، وأن الشيطان يعشق المرأة منا، وأن نظره إليها، مِن طريق العَجَب بها، أشدُّ عليها من حُمّى أيام.. وأنّ الجنيات إنّما تَعْرِض لصرع رجال الإنس على جهة التَعَشُق، وطلب السّفاد، وكذلك رجال الجنَّ لنساء بني آدم، [671] ويؤكد تلك العلاقة، انتساب بعض القبائل للجن، مثل بني مالك، وبني شيصبان، وبني يربوع الذين تسموا ببني السعلاة[672]،وتتضح إمكانية التلاقح والتناكح بين الجن والإنس، في قوله تعالى:**"وشاركهم في الأموال والأولاد"**[673]

وهناك من يَعُدُّ الزواج بين عالم الجن والإنس، جزءاً من الصراع بين هذين العالمين، وليس تعبيراً عن استرضاء وتوفيق[674]، ويبين الجاحظ تلك الحقيقة من خلال تعريفه الغول[675].

ويبدو ذلك في تصويرهم المرأة حديدة الطرف والذهن، السريعة الحركة، الممشوقة بالسعلاة، يقول الأعشى: [676] (الخفيف)

وشُيُوخٍ حَرْبَى بِشَطَّي أَريكٍ وَنِساءٍ كأنّهُنَّ السَّعَالي[677]

---

[671] – **الحيوان**، 6/217–218، **في طريق الميثولوجيا عند العرب** ، ص228.

[672] – **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية**، ص 141.

[673] – **الإسراء**، آية 64.

[674] – كاثمان، تسيبورا: **التزاوج بين الإنس والجن في الأسطورة والقصة الشعبية**، ترجمة محمود عباس، مجلة الشرق، االسنة 6، حزيران أيلول ،ع 1 – 4، 1975م، ، ص 76.

[675] – **الحيوان**، 6/158.

[676] – الأعشى: **ديوانه**، ص169.

[677] –الحربى: مفردها حريب، وهو من سُلب ماله. أريك: موضع.

وهكذا ارتبطت السعلاة في الذهنية الجاهلية بالمرأة، فالشاعر (جرّان العود) يَجْمعُ بين الغول والسعلاة في بيت، يتحدث فيه عن زوجتيه، وما ألحقتاه به، فيقول: [678] (الطويل)

لَقَدْ كان لي عن ضُرَّتين عَدِمْتِنَي وعمّا أُلاقي منهما مُتَزَحْزِحُ

هما الغولُ والسَّعلاةُ حَلْقي مِنْهُما مُخدَّشٌ ما بينَ التَّراقِي مُجَرَّحُ

وقد يأتي ضمن هذا الباب، تشبيه الحسناوات من النساء بالجنيات في باب الفتنة، والسحر المنبعث من حسنهن ووسامتهن، فيقول (حسان بن ثابت) في وصف المرأة: [679] (السريع)

جنّيَةٌ أرّقني طَيفُها تَذْهَبُ صُبْحاً وتُرى في المَنامْ

وما دامت السعلاة قد تمثلت حسناء، فقد ادّعى بعضُهم، أنّهُ تَزَوّجها، وأنجب منها، من ذلك ماورد عن (عمرو بن يربوع) الذي تزوج الغول، وما لبثت أن طارت إلى أهلها، وهي تقول: [680]

أمْسِكْ بنيكَ عَمروٌ إنّي آبقٌ بَرْقٌ عَلى أرضِ السّعالي آلِقُ (الرجز)

ومنهم من يقول: ركبت بعيراً وطارت عليه، وهذا ما قاله عمر بن يربوع: [681] (الوافر)

رأى برقاً فأوضعَ فوقَ بكرٍ فلا بك ما أسالَ وما أغاما

وقد نُسِب إلى الجن ذو القرنين، الذي يَعُدُوَنه خليطاً من الجن والإنس؛ لأن أُمه " قبرى" آدمية، وأبوه " عبرى " من الملائكة، وزعموا أن "النسناس" تركيب ما بين الشق والإنس، و"الغملوق" نتاج ما بين الآدمي والسعلاة، ويقال للمتولد بين الإنس والجنية " الخِس" [682] كما

---

678 – جران العود: **ديوانه**، رواية أبي سعيد السكري–ط3– دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000م، ص4، خزانة الأدب، 18/10.

679 – حسان بن ثابت:**شرح ديوانه**، ص271

680 – **أحداث القصة،الحيوان**، 197/6، و186/1، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 44/2.

681 – **الحيوان**، 198/6.

682 – **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 45/2.

أن بلقيس كان أبوها من عظماء الملوك، وقد تزوّج امرأة من الجن، يُقالُ لها "ريحانة بنت السكن"، فولدت له بلقيس، وتسمى "بلقمة"[683].

ومن مزاعم الجاهليين، أن أبا جرهم من الملائكة الذين عَصَوا في السماء، فَأنْزِلوا إلى الأرض، يقول عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي: [684] (الرجز)

لاهُمّ إنّ جُرْهُمَا عِبادُكا   الناسُ طِرْفٌ وَهُمْ تِلادُكا

قديماً عَمُرَتْ بِلادُك [685]

وتتبين إمكانية زواج الإنس من الجن، من خلال ما جرى مع " تأبط شراً " [686]، فالزواج لم يكن بالضرورة يدل على الألفة والمحبة والاتفاق، وليس عجيباً على ذلك الشاعر الملهم، أن يصور معاناته وعذابه ومكابدته – بسبب رفض النساء الزواج منه- في شعره مفتخراً، ومتباهياً بنكاح الغيلان:[687] (البسيط)

أنا الذي نَكَح الغيلانَ في بلدٍ   ما كَلّ فيه سماكيٌّ ولا جَادَا[688]

في حيثُ لا يعمتُ الغادي عَمَالَتَهُ   ولا الظُّلْـمُ به يَبغى تُهْبادا [689]

وهو بهذا يعكس حالته النفسية، ويسقطها على ما حوله من كائنات، خاصة أن الصعلوك حين تزداد على كاهله وطأة الحياة، يحاول الانشغال عن التفكير فيها بحلمٍ لذيذ من أحلام اليقظة. وتعكس هذه الروايات ما كان، يشيع في المجتمعات من خرافات وأساطير، يلقنها الطفل مع فطامه، وتبقى عالقة بذاكرته، مهما أنسته الأيام إياه، فإذا ما أحاط به ظرف، يساعد على

---

683 – **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص230.

684 – **الحيوان** 198/6، الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار القلم، بيروت، لبنان (د.ت)، 199/2.

685 – الطرف: أصله المستحدث من المال، التلاد: ما ورثته الآباء قديماً

686 – ينظر، تأبط شراً: **ديوانه**، ص 106، **بلوغ الأرب**، 344/2.

687 – سليمان، علي: **الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع**، قراءة في اتجاهات الشعر المعارض، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، 2000 ، ص259، لم أجدهما في الديوان.

688 – السَّماكي: المنسوب إلى السماك، وهما نجمانِ في السماء سماكيان، الراجح والأعزل.

689 – التّهبَّاد: أكل الهبيد، وهو الحنظل.

ظهورها، برزت في ذاكرته، وخياله إلى الوجود، وأهمها الغيلان(690)، وهذا ما عرضه الجاحظ بقوله "إذا استوحش الإنسان، تمثل له الشيء الصغير كبيراً، وارتاب وتفرق ذهنه، فرأى ما لا يرى، وسمع ما لا يسمع، وتوهم على اليسير الحقير،أنه عظيم جليل" (691)، وقد أورد ابن النديم في الفهرست ما يؤكد إمكانية زواج الإنس من الجن وبالعكس ، حيث أفرد سجلاً يثبت فيه أسماء عشاق الإنس للجن، وعشّاق الجن للإنس، وعَلَّق عليها بقوله: " وكانت الأسماء والخرافات مَرْغُوباً فيها مشتهاة" (692)، كما أورد المعري، على لسان ابن القارح محاوراً تأبط شراً: " أحقٌ ما روي عنك عن نكاح الغيلان؟ فيقول: لقد كنا في الجاهلية نتقول ونتخرّص، فما جاءك عنّا مما يُنْكِره المَعْقُول، فإنّه من الأكاذيب، والزمنُ كلُّه على سَجِيَّة واحدة" (693)، فالمعري يعكس أراء عصره في هذه القصص،إذ ترتدُ كلها إلى ما اختزنته الذاكرة الشعبية، عن هذه الكائنات الخرافية الوهمية.

[690] – شعر الصعاليك، **منهجه وخصائصه**، ص304.

[691] – **الحيوان**، 250/6.

[692] – ابن النديم، أبو الفرج، محمد بن اسحاق بن يعقوب: **الفهرست**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت، ص428.

[693] – المعري، أبو العلاء: **رسالة الغفران**، حققها وشرحها محمد عزّت نصر الله– ط3– المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، 1968، ص 168.

المبحث الرابع

تسخير الجن

يبدو من شعر الأعشى، ذلك الإيمان المطلق بوجود جنٍّ، كان العرب الجاهليون يتحدثون معها، ويحاورونها، فالأعشى يخاطب متلقيه جهراً، وبكلِّ ثقة، دون خوف من رفض أو تكذيب، ويجعل الجن مرسالاً له؛ كي يتفاوض مع عشيقته، ويستدلّ منه على طريق آمنٍ يصل إليها من خلاله، دون أن يراه الرقباء، وهي معشوقة لها محراب تلعبُ فيه الثعالب، وتدور من حولها الجنان، وينجح جنيّ الأعشى في الوصول إليها، والتفاوض معها، ويقنعها بملاقاته، بعد حديث طويل، حيث أخذ من خلاله سر الوصول إلى ذلك المحراب، المكان الذي تمكث فيه[694]، فيقول:[695]

أَوَصلتَ صُرْمَ الحَبْل مِنْسَلْمى لِطُولِ جِنَابِها[696] (لكامل)

*إنّ الثعالِبَ بالضُّحَى يَلْعَبْنَ في مِحْرابها

والجِنُّ تَعْزِف حولَهَا كَالحُبْش في مِحْرابِها

فَخَلا لِذلكَ ما خَلا مِنْ وَقْتِها وحِسابِها

*حَذَراً عليها أن تُرى أو أنْ يُطافُ بِبَابِها

فَبَعَثْتُ جِنّيّاً لنا يأتي بِرَجْعِ جوابها

*فتنازَعَا سِرَّ الحديـ ـثِ فَأَنْكَرتْ، فَنَزا بِها[697]

---

[694] – عبد الرحمن، إبراهيم: **الشعر الجاهلي،** قضاياه الفنية والموضوعية، مكتبة الشباب، القاهرة، 1979، ص342 وما بعدها.

[695] – الأعشى: **ديوانه،**ص 16 – 17.

[696] – جنابها: تجنبها.

[697] – نزا بها: وثب بها.

*فأرَادَهــا كَيْفَ الدَّخو   لُ،وكيفَ مـا يُؤتـى لها

وفـي قصـيدة أخـرى يجعـل الجنـيّ حارِسـاً قويـاً، يحـرس تلـك المـرأة التـي شـبهها بلؤلـؤة زهراء، ويبين مدى إعجابه بقوته واستعداده للذود عنها، فهو دائم الطواف بها خَشْيَةَ أن ينالها سارٍ أو يصلها سارق، فيقول: [698]

ومارِدٌ من غُواةِ الجِنِّ يَحْرُسها   ذُو نِيْقةٍ، مُسْتَــعِدٌّ دُوْنَها تَرَقا   (البسيط)

لَيْسَتْ لَهُ غفْلةٌ عنها يُطيفُ بها   يَخْشى عَلَيْها سَرَى السّارينَ والسَّرقَا

يبدو من هذه الأبيات أنه ينظر إليها نظرة إيجابية، ويسخرها لحاجته وما ذاك إلا إيمانٌ منه بقدرة الجنيّ، على تلبية مطالبه.

وقد جاء في قصيدة "جذع بن سنان الغسّاني" ما يدلّ على إعلام الجن الإنس بالأمور الغيبية،إذ يقول: [699]   (الوافر)

وَحَذَّرني أُموراً سَوفَ تَأْتــي   أهزُّ لها الصوارِمَ والرِّمَاحــا

فقد بدت الجن بمنزلة الناصح الحكيم، المحذر الذي يعلم ما تخفيه الأيام، ويخبر الشاعر به، وذلك بقوله: " وحذّرني " فهو يحذره من أمور عجيبة ستحدث له، ومن قتالٍ شديدٍ سيخوضه ويهزُّ له السيف والرمح[700]، فالجِنُّ تكشف عن خفايا الأيام القادمة، وتخبره بالغيبيات، وما يلبث أن يصدق كل ما أخبره به قاشر، ويؤكد بأنه سيعمل به، بكل ما أُوتي من عزيمة وإصرار، وسيتخلى عن ضرب القداح، لأنه آمن بأن غاية العلم فيما تقوله الجن، لا بالقداح، بقوله: [701]

سَأَمْضي لِلَّذي قالوا بِعْزمٍ   ولا أَبْغي لذلكُم قِداحا   (الوافر)

---

698 – الأعشى: **ديوانه**، ص 124–125.

699 – **بلوغ الأرب**،352/2، خزانة الأدب 180/6.

700 – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

701 – المصدر نفسه، 352/2.

وتبدو قدرة الجن على كشف الغيب، والإخبار به، في قول الحارث بن حلزة، في حديثه عن الملك عمرو بن هند، إذ يرى أن الجن كاشفت الناس بمثله، ورجعت، وقد تغّلبت على كلّ من خاصمها، فيقول: [702] (الخفيف)

إرَميٌّ بِمِثْلِهِ جَالَتِ الجِنُّ فَآبَتْ لِخَصْمِها الأجْلاءُ[703]

وتتجلّى علاقة الجن بالإنس، من خلال قصص سليمان، إذ تبدي الجن قوةً مماثلةً للريح، يتحقق من خلالها حلم الإنسان، بالسيطرة على جميع مظاهر الطبيعة، ما ظهر منها وما خفي، إذ ورد في الأساطير القديمة، المرتكزة على فكرة الجن الأخيار الذين يقومون بالأعمال الخارقة، أن سليمان "عليه السلام" كان يُسَخِّر الإنس والجن، والشياطين والطير والريح، يفعلون له ما يريد[704]، ويؤكد ذلك ما ورد في القرآن الكريم[705]، وما أشار إليه الشعراء، فالنابغة يذكر كيف سخر سليمان الجن في مجال مدحه للنعمان، ويرى أن سليمان استطاع أن يقيد الجن، بعد ما عرف عن تكبيد الجن للإنسان، كما استطاع النعمان أن يسيطر على البشر، فيقول: إن الجنَّ هي التي بنت مدينة تدمر: [706] (البسيط)

ولا أرىَ فاعِلاً في النَّاسِ يُشْبِهُهُ ولا أُحاشي، مِنَ الأقوامِ مِنْ أَحَدِ

إلاّ سليمانَ، إذ قالَ الإلهُ لهُ: قُمْ في البريّةِ فاحْددها عن الفَنَدِ

وَخيِّسِ الجِنَّ! أنَّي قد أذِنْتُ لَهم يَبنُونَ تَدْمُرَ بالصّفاح والعَمَدِ[707]

ومن الشعراء الذين ذكروا جِنّ سليمان، وربطوا بينها وبين الإنس، الأعشى في قوله:[708]

---

702 – الحارث بن حلزة: **ديوانه**، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1424هـ– 2004م، ص26، الحيوان، 174/6.

703– إرميّ: نسبة إلى إرم عاد، أي ملكه قديم، جالت: كاشفت

704 – قطب، سيد: في ظلال القرآن – ط4– دار العربية للطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت، 138/29.

705 – " **فَسَخّرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطينَ كلَّ بناء وغواص** " سورة ص، آية 35 –36

706 – النابغة الذبياني: ديوانه، ص52.

707 – خَيِّس الجنَّ: ذللهم، الصفاح: الحجارة العريضة.

708 – تاج العروس، مادة(جنن)، **المفصّل في تاريخ العرب**، 722/6، لم أعثر على البيت في ديوانه.

وسخّر مِن جِنِّ الملائِكِ تسعةً قِياماً لدّيهِ يعملونَ مَحَاربا(الطويل)

وقد ذكر تسخير سليمان للجن والرياح، في قوله بعد وصفه بنات الدهر: [709]

فذاكَ سُلَيْمانُ الذي سُخِّرتْ لهُ مع الإنسِ والجِنِّ الرّياحُ الَمراخِيا[710] (الطويل)

ويتضح ذلك في قول زهير بن جناب الكلبي، إذ أشار إلى تسخير الجن لسليمان، في حديثه عن الأيام، وفتكها بالبشر: [711] (الطويل)

ضَلالاً لِمَنْ يَرْجُو الفلاحَ وَقَدَ رأى حَوادِثَ أَيَّامٍ تَحُطُّ الرّوابيا

أصبْنَ سليمانَ الذي سُخَّرَتْ لَهَ شياطينُ يَحْمِلْنَ الجِبّالَ الرَّواسيا

ويشير أمية بن أبي الصلت إلى ذلك، بقوله: [712] (البسيط)

ولا سُلَيْمَانُ إذْ تَجْري الرَّياحُ بهِ والجنُّ والإنسُ فيما بينها مَرَدُ

ويشير رجل من حمير إلى تسخير الجن لسليمان، في معرض حديثه عن الزمان وإفنائه الأمم، بقوله: [713] (البحر الطويل)

خَطَفْنَ سُلَيْمانَ الذي سُخَّرَتْ لَهُ شياطينُ جنَّ مِنْ بَريءٍ وَذي جُرْمِ

وهكذا وقر في أذهان الجاهليين، أن الجن قادرةٌ على حماية الإنسان من الموت، وأن بإمكان الإنسان تسخيره لمصالحه، وقد كثر الحديث عن ذلك في مجالات عدة كالسحر، ومعالجة المرضى، وصناعة السيوف والأسلحة، وقد نسبوا إليها صناعة السيوف المأثورة، والقوارير والحمامات لسليمان، مما يؤكد تلك العلاقة[714].ويبدو تسخير الإنس للجنّ في بعض الشعائر والطقوس التي أوردها الشعراء، إذ أورد الممزق العبدي التنجيس الذي يُعدُّ من أهم الطقوس التي

---

709 – البحتري: **ديوان الحماسة**، ص110، لم يرد البيت في ديوانه.

710 – المراخيا: الجارية

711 – زهير بن جناب الكلبي: **ديوانه**– ط1– صنعة، محمد شفيق البيطار، دار صادر، بيروت، 1999م، ص111.

712 – أمية: **ديوانه**، ص161.

713 – البحتري: **ديوان الحماسة**، ص107.

714 – **الحيوان**، 187/6.

مارسها الجاهليون، للوقاية من الأمراض التي يسبُّبها الشيطان، وذلك بتعليق خرقة الحيض، وعظام الموتى، وذلك بقوله: [715]

وَلَوْ كانَ عِنْدي حازيانِ وَكَاهِنٌ   وعَلّــقَ أَنْجَاســاً علــيَّ المُــنجِّسُ[716]

(الطويل)

ويتضح من خلال أشعار الجاهليين ما يشير إلى أن إيمانهم بقدرة هذه الطقوس على معالجة المرضى، كان متفاوتاً، وكان يبطل مفعولها إزاء الموت، وهذا ما جاء على لسان امرأة، نجست ولدها، فلم ينفعه ذلك، ومات، فقالت: [717] (الرجـــز)

نَجَّستهُ لا ينفعُ التّنجّيسُ   والموتُ لا تُفوِّتُهُ النُّفوسُ

ونجد هذا المعنى في قول الممزق العبدي:[718] (البسيط)

هلْ للْفتَى من بناتٍ الدَّهْرِ مِن واقٍ   أمَ هلْ لَهُ مِن حِمَامِ المِوتِ مِن رَاقِ

كما نجده في قول أحد العرب الجاهليين، مخاطباً امرأة، منكراً قدرة الرقى على دفع القدر، والحماية من الموت: [719] (الرجز)

لَنْ يَدْفَعَ المقدارَ أسبابُ الرُّقى   ولا التهاويلُ على جِنِّ الفَلا

ولم يقتصر استخدام هذه الشعائر على معالجة الإنسان، وإنّما كانوا يعالجون الحيوانات بها، فهذا "سَلَمةُ بن الخَرْشَب الأنماريّ" يشير إلى تعويذه فرسه بالرقى، وتقليدها عقداً من التمائم، قائلاً: [720]

تُعَوَّذُ بالرُّقى مِن غَيْرِ خُبلٍ   وتُعقدُ في قلائدِها التَّميمُ. (الوافر)

وهذا يؤكد حرصه على فرسه، وإيمانه بقدرة الرقى والتمائم على شفائه، ويقول خفاف

---

[715] – البحتري: **ديوان الحماسة**، ص118.

[716] – الحازي: الخبير أو الكاهن، الأنجاس: الحُرز والحجاب.

[717] – **بلوغ الأرب**، 319/2.

[718] – **المفضليات**، ص300.

[719] – **بلوغ الأرب**، 8/3.

[720] – **المفضليات**، ص40.

ابن ندبة في حديثه عن رّقى الفرس والخيل، التي كان يعقدها على فرسه خشية الحسد:[721]

يُعْقدُ في الجيدِ عَلَيْهِ الرُّقى   مِنْ خِيفَةِ الأَنْفُسِ والحَاسِدِ (السريع)

وينسب إلى الساحر القدرة على إخراج الجن من المجانين، فالساحر هو الطبيب، والسحر هو الطب، وإذا كانت الجن سبب الأمراض العصبية والجنون، فهي أيضاً علاجٌ لهذه الأمراض، وهذا ما أشار إليه أبو قيس بن الأسلت بقوله: [722]   (الوافر)

أَلاَ مَن مُبْلِغٌ حَسّانَ عَنّي   أَطِبٌ كان داؤكَ أم جُنونُ؟!

فالشاعر غير قادر على التمييز بين المرض والجنون؛ لما بينهما من علاقة. ومن معتقدات الجاهليين التي كانوا يمارسونها في هذا المجال النفث، إذ كانوا يؤمنون بقدرته على شفاء المريض أو المطعون [723]، من ذلك قول عنترة: [724]   (الوافر)

تركتُ جُرَيَّةَ العَمْريَّ فيهِ   سديدُ العيرِ مُعْتَدِلٌ شديدُ

فإنْ يَبرأْ فَلم أَنفِثْ عَلَيْهِ   وإنْ يُفْقَدْ فَحُقَّ لهُ الفقُوُدُ.

والنفث، هو أنهم كانوا إذا رمى أحدهم بَسْهم، وأراد سلامة الرقية منه، رمى سهمه، ونفث عليه، وإن أراد إهلاكه لم يفعل، مما يبين اعتقادهم بالتأثير الفعال للرقية، أو النفث بالسلامة للمطعون، حسب نيّة الراقي. [725]

وهكذا فإن السحر يتم بمعونة الشيطان، ويثبت ذلك، أنه يقوم على الخداع وفساد العقل،[726] بدليل قول النابغة الذبياني: [727]

---

[721] – **الأصمعيات**، ص30.

[722] – أبو قيس بن الأسلت: **ديوانه**، جمع ودراسة وتحقيق حسن محمد باجودة، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1973م، ص91.

[723] – **المفصل في تاريخ العرب** ، 743/6، عبد الفتاح، فاطمة: الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1414هـ– 1994م، ص181.

[724] – عنترة بن شداد: **ديوانه**، ص36.

[725] – **الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي**، ص181.

[726] – **في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام**، ص289.

فقالَتْ: يمينُ اللهِ أفعلُ، إنّي رأيتُكَ مسَحْوُراً، يمينُكَ فَاجِرة (الطويل)

ويؤكد علاقة تلك القوى بالجن، ما كان يمارسه الساحر من طقوس، "إذ كان يلبس المسوح، ويتوضأ باللّبان، ويظهر قبيل ممارسة عمله بمظهر خاص، على أساس أنها ضرب من السحر التشاكلي"[728] . ويبدو هذا في وصف عبيد بن الأبرص للحاوي، إذ يقول: [729]

مُشَمِّرٌ خَلَقٌ سِرْبَالُهُ مَشِقٌ قاذورَةٌ فائلٌ مُغَذْمِرٌ قَطَطُ[730]

(البسيط)

فهو يظهر بصورة نتنة؛ كي تتقبل الجنّ مَسيَره، في تلك الفيافي المقفرة، فلا يتعرض للأذى، وهو بذلك يحمي نفسه ومن مَعَه، كل ذلك كي يقترب من صورة الشيطان الذي يحلو له أن يكون قبيح المنظر، بشِع الصورة، قذِراً، "إذ كان الساحر في العصور التاريخية القديمة، ينفر من النظافة، ولا يقدم على الاغتسال؛ لأن بينه وبين الشيطان عهداً على ذلك" [731].

وتبدو خدمة الجن للبشر، فيما ينسب إليها من تعليم الإنس، من ذلك ما حدث مع أمية ابن أبي الصلت الذي تعلم كلمة سحريةً (باسمك اللهم)، تغلب بها على الجن، وهي الكلمة التي كان يفتتح بها الكلام، ولا سيما الرسائل[732]، ويظهر هنا دور التابع أو القرين، واستخدامه في معرفة الأمور الغيبية ونقل الأخبار، والاستفسار عن خفيات الأمور، ويتضح ذلك في قصة الكاهن (خطر بن مالك) مع قومه، عندما توجهوا إليه، وسألوه عن النجوم التي يرمى بها، فما كان منه، إلاّ أن توجّه إلى تابعه، فأرشده، وبيَّن له سبب ذلك[733].

---

727 – النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص78.

728 – **المفصل في تاريخ العرب** 6/85–86.

729 – عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، ص93.

730 – قاذورة: الذي لا يخالط الناس لسوء خلقه، الفائل: الضعيف الرأي، المغذمر: الغضوب، المشق: من يحتك أحد أصول فخديه بالأخر فيصيبه، فيحترق، القطط: القصير الشعر، الجعده.

731 – **حقائق مثيرة عن السحر**، ص29–30.

732 – **مروج الذهب**، 2/141.

733 – **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، ص153.

ويندرج تحت هذا الباب التوابع الذين يلقون الشعر على ألسنة الفحول من الشعراء، ويعرفون بشياطين الشعراء، فقد كان الشاعر إذا عَسُر عليه قولُ الشعر، أو الرّدُ على هجاءٍ وُجِّه له، يتوجه إلى شيطانه أو تابعه، فيُلقي عليه ما يريده[734]، وقد حدث ذلك مع مجموعة من الشعراء، سنذكرها في مواضعها.

ويبدو تبادل الأدوار بين الإنس والجن، فيما رُوي عن الجنّ، أنها حين سمعت بعَيافة بني أسد -إذ أنهم اشتهروا بالعيافة- عَجِبت منها، فقدمت إليها؛ لتمنحها هذا العلم[735]، ويورد (جواد علي) القصة "بأن قوماً من الجن تذكروا عيافة بني أسد فأتوهم، فقالوا: ضَلّتْ لنا ناقة، فلو أَرْسَلْتُم معنا من يعيف، فقالوا لغُليم منهم: انطلق معهم، فاستردفه أحدهم، ثم ساروا، فلقيهم عقابٌ، كاسرة إحدى جناحيها، فاقشعرَّ الغلام، وبكى، فقالوا: مَالكَ؟ فقال: كَسَرْتُ جناحاً، ورفعتُ جناحاً، وحَلْفُت بالله صَراحاً، ما أنت بإنسيٍّ، ولا تبغي لقاحاً"[736].

ومن العلاقات الإيجابية بين الإنس والجن، ما روي عن جرير بن عبد الله البجلي، إذ أمسى وحده في واد من الأودية، فإذا هو بين جمع من الجن، يستنشدونه شعراً فينشدهم، وبقي يحدثهم إلى الصبح، فانتهى أمره إلى أن تعلّم منهم دواءً لا أحدٌ يَعْرِفُه إلى اليوم[737].

---

734 – **جمهرة أشعار العرب**، ص43–44.

735 – **المفصل في تاريخ العرب** ، 775/6.

736 – المصدر نفسه، 775/6.

737 – **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص396.

المبحث الخامس

مكافأة الجن للإنس على الخير والشر

ومما ينسب للجن، مكافأة الإنس على الخير والشر، ويتجلّى ذلك في قصة عبيد ابن الأبرص والشجاع، إذ تذكر القصة أن عبيد بن الأبرص كان وأصحاب له في سفر، فمروا بحية تتقلب في الرمضاء، وتلهث عطشاً، فهمَّ بعضُهم بقتلها، فقال عبيد: هي إلى من يَصُبُّ عليها نقطة ماء أحوج، قال: فنزل فصبَّه عليها، قال فمضوا، وأصابه ضلال شديد، حتى ذهب عنهم في الطريق، فبيناهم كذلك، فإذا بهاتف يهتف:

يا أَيُّها السَّاري المُضِلُّ مَذْهبهْ — دونَكَ هذا البَكْرَ منّا فارْكَبَهْ (الرجز)

وَبَكْرَكَ الشَّارِدَ أَيضاً فاجَنبهْ — حتّى إذا الَّليلُ تجنَّى غيْهبُهْ

فَحُطّ عَنْهُ رَحْلَهُ وَسيِّبهْ[738]

قال فسار به من الليل حتى طلع الفجر، مسيرة عشرة أيام بلياليهن، فقال عبيد بن الأبرص:[739]

يا صاحِبَ البَكرِ قَدْ أُنقِذْتَ مِنَ بلَدٍ — يَحارُ في حَافَتَيَهْا المُدلجُ الهَادي (البسيط)

هلاّ أَبَنْتَ لنا بالحَقَّ نَعْرِفهُ — مَنْ ذا الذي جَادَ بالَمعْروفِ في الوادي

ارجَعْ حَميداً، فقد أَبْلغتَ مَأمَننَا — بُوْرِكْتَ مِن ذي سَنامٍ رائحٍ غَادي

فقال مجيباً له:[740]

أنا الشُّجاعُ الذي أَلْفَيْتهُ رَمِضاً — في قَفْرةٍ بَيْنَ أَحْجَارٍ وأَعْقَادِ [741] (البسيط)

فَجُدْتَ بالمَاءِ لمّا ضَنَّ حاملُهُ، — وَزدْتَ فِيهِ وَلَمْ تَبْخَلْ بِأَنْكَادِ[742]

---

[738] – عبيد بن الأبرص: **ديوانه،** ص15.

[739] – **جمهرة اشعار العرب،** ص50

[740] – عبيد بن الأبرص: **ديوانه** ص15.

[741] – الرمض: الذي أحرقه الحرّ: الأعقاد: ما تعقد وتراكم من الرمل.

[742] – الأنكاد: ماء نكد: أي قليل.

الخيرُ يَبقْى، وإنْ طالَ الزمانُ بهِ والشرُّ أخْبَثُ ما أَوْعَيتَ مِنْ زادِ

تبدو مكافأة الجن للإنس، بأن قدم الشجاع لعبيد بن الأبرص مطيّة ليركبها، ولا نعرف ما هي؟ هل هي ناقة، أم فرس، أم شيء آخر من مطايا الجن، وسرعة هذه المطية تفوق تصور العربي؛ إذ قطعت مسافة عشر ليالٍ، في أقل من ليلة واحدة. ويبدو ذلك في قصة أخرى شبيهة بالقصة السابقة، وهي ما حدث مع مالك بن حريم الدلاني والشجاع الذي لاذ به لحمايته، فحماه، وانساب الشجاع إلى مأمنه، وأخذ مالك، يقول: (743) (الوافر)

وأوصاني الحريمُ بعزِّ جاري وَأَمْنعُهُ وليسَ به امتناعُ

وأَدْفعُ ضَيْمهُ وأذبُّ عَنْهُ وأَمْنعُهُ إذا مُنعَ المتاعُ

فارتحلوا، واشتد بهم العطش، فإذا هاتف يهتف بهم: (744) (البسيط)

يا أيُّها القومُ لا ماءَ أمامَكُمْ حتّى تُسوموا المَطايا يَوَمَها التَّعبا

ثم اعدلوا شامةً فالماءُ عن كَثبٍ عَيْنٌ رُواءٌ وماءٌ يُذْهِبُ اللَّغبا

حتّى إذا ما أَصَبْتُم مْنهُ رَّيكُمُ فاسْقُوا المَطايا وَمِنْهُ فاملئوا القِرَبا

فنزلوا شامة فإذا هم في عين خرارة، في أصل جبل، فشربوا وسقوا إبلهم، وحملوا ريّهم، حتى أتوا عكاظ، ثم أقبلوا، حتى انتهوا إلى ذلك الموضع، فلم يروا شيئاً، وإذا هاتف يقول:(745)

يا مالِ عَنّي جَزاكَ اللهُ صَالحةً هذا وداعٌ لَكُمْ مِنّي وتَسليمُ (البسيط)

لا تَزْهدَنْ في اصطناعِ الخيرِ معَ أحدٍ إنَّ الذي يَحْرِمُ المُعروفَ مَحْرومُ

مَنْ يَفْعلْ الخَيْرَ لا يَعْدمْ مَغبَّتَهُ ما عاشَ والكُفْرُ بعدَ الغَبَّ مَذْمومُ

---

743 – **بلوغ الأرب**، 362/2، **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، ص144–145.

744 – المصدر نفسه، 362/2.

745 – **بلوغ الأرب**، 362/2–363.

أنا الشُّجاعُ الذي أنجيْتَ مِنْ رَهَقٍ شَكَرتُ ذلك إنَّ الشُكرَ مقْسومُ.

فطلبوا العين فلم يجدوها، وهكذا تصور الجن لعبيد بن الأبرص وجماعته، بصورة الشجاع الذي أرشدهم إلى عين ماء، شربوا منها، وسقوا إبلهم؛ وما ذاك إلا مقابل حمايته له.

وكما تكافئ الجن الإنس على الخير، فإنها تكافئه على الشر أيضاً، ويبدو ذلك في قصة ابن الحمارس، وما حدث له مع شيهمة وولدها، والهاتف الذي هتف به، واتهمه بإساءة الجوار، فقال:

يا ابنَ الحَمارسِ قد نَزَلْتَ بِلادنَا فأصبْتَ مِنْها مَشرْباً وَمَناما (الكامل)

فبدأتنا ظُلماً بِعقْرِ لَقُوْحِنا وأسأْتَ لمّا أنْ نَطَقْتَ كَلاما

فاعْمدْ لأَمرِ الرُّشدِ واجْتَنْبِ الرَّدى إنّا نَرى لَكَ حُرْمةً وَذِماما

واغْرِمْ لِصَاحبنا لَقُوحاً متَّبعاً فَلَقَدْ أَصبْتَ بِمَا فَعَلْتَ أثاما

وأجابه ابن الحمارس شعراً:

اللهُ يَعْلَمُ حيثُ يَرْفَعُ عَرْشَه إنِّي لأكرهُ أَنْ أُصيبَ أَثَاما (البسيط)

أمّا ادِّعاؤكَ ما ادّعَيتَ فإنّني جئتُ البلادَ ولا أُريدُ مَقاما

فَأسَمْت فيها ما لنا وَنَزلْتها لأريحَ فيها ظُهْرنا أيّاما

فلْيغدُ صاحِبُكم عَلَيْنا نُعْطِه ما قَدْ سألتَ ولا نَراهُ غَرَاما

ويستمر الحوار بين الطرفين، إلى أن يسمع شيخ من الجن ما دار بينهما، فيقول: لا والله لا نرى قتل إنسان مثل هذا، ثابت القلب ماضي العزيمة.. وتنتهي القصة، بأن يغرم للجن لقوحاً متبعاً للقنفذ وولدها[746]، فهذه الحكاية- وإن كانت كذباً-، إلاّ أنها تبين علاقة الجن بالإنس، وما يدور بينهما من معاملات.

[746] – **بلوغ الأرب**، 357/2

المبحث السادس

شياطين الشعراء

رأى الإنسان القديم في الكلمة مفتاحاً، سحرياً يفتح جميع الأقفال[747]، وقوة حية، يستطيع أن يدفع بها أذى الطبيعة الحية، (الصامته والناطقة)، وأن يعيش معها في انسجام، وحين أدرك بتجربته، أنّ لمظاهر الطبيعة قوى كامنة فيها؛ لها القدرة على ضرّه، وأنّ الكلمة هي القادرة على التحكم فيها، وعلى منعها من العمل ضره، حافظ على قدسيتها[748].

وهذه الكلمة هي الأسطورة التي نغّمت، وصاحبتها حركة إيقاعية وأدائية، ومن إيقاع هذا الصوت، ولدت الشعيرةُ الأولى المصاحبة للأسطورة، وكانت هذه الشعيرة هي الشعر[749]، ولِمَا كان للشعر من أثر في نفوس القدماء، وقدرة على امتلاك وجدانهم، نظروا إليه على أنه ملكة، لا تُؤْتى إلا لشاعر تفوق على أبناء جنسه، والعرب كغيرهم من الأمم، عَزوا القوة الخارجية للإلهام الشعري إلى الشياطين، وربطوا هذه النظرة بعوامل نفسية، وظروف اجتماعية، تفاعلت مع المفهوم، فشكلت تصوراتٍ حيّة، أثّرت في نظرتهم، تجاه الشاعر، وموهبته الإبداعية[750].

وربما "ارتبط الشعر بالشعيرة لعلاقة كل منهما بالرأس، موطن الهامة"[751] فقالوا: بأن لكل شاعر شيطاناً يلهمه الشعر؛ إذ يزعم الشعراء، أنّ الشياطين تلقي الشعر على أفواههم، وتلقنهم إياه، وتعينهم عليه، ويدَّعون أن لكل فحل منهم شيطاناً، يقول الشعر على لسانه، فمن كان شيطانه أمرد، كان شعره أجود[752]، فحاكوا القصص والخرافات حول هذا التصور، في العصر الجاهلي الذي كان مجالاً خصباً، لتقبل مثل هذه الاعتقادات، والتي بقيت عالقة في الأذهان على مرَّ العصور، مع تنوّع طرائق التحليل والاستنتاج، بناء على مقدار المواقف وتطورها،

[747] – **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 47/2.

[748] – الحجاجي، أحمد شمس الدين: **الأسطورة والشعر العربي**، المكونات الأولى، مجلة فصول، م4، ع2، 1984 ،ص42.

[749] – المرجع نفسه، ص43.

[750] – المعطاني: **قضية شياطين الشعراء وأثرها في النقد العربي**، ص14.

[751] – **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 47/2.

[752] – **ثمار القلوب في المضاف المنسوب**، ص70.

فتأرجحت فكرة شياطين الشعراء بين الرفض والقبول، والجدَّ والهزل، وتعدَّدت حولها الافتراضات والتأويلات، فأدخلها البعض في دائرة الحقيقة، في حين أخرجها آخرون إلى عالم الخيال[753].

فالعقاد يُغْلِبُ أن يكون شيطان الشعر من خلق الشعراء أنفسهم، وأن يكون الكلام عنه لاحقاً لظهور الشعر وانتشاره، فإنْ لم يَكُنْ هذا الشعرُ مخلوقاً شعرياً، فهو مخلوق خيالي، أبدعه كاهن قديم، أو مفكر من مفكري الجاهلية الغابرة، له خيال الشاعر[754].

ومهما يكن من اختلاف فإن العرب تزعم أن شعراءها تستوحي الجن، وأنّ كل شاعر منهم يستعين بشيطان يصاحبه، يَعْرِفُه باسمه، فـ" هبيد " اسم شيطان عبيد، و"مِسْحل السكران ابن جندل" اسم شيطان الأعشى و" جُهُنام " اسم شيطان عَمْرو بن قطن، ومنهم " لافظ بن لاحظ " شيطان امرئ القيس و" حاطب " شيطان النابغة و" هاذر بن ماذر " صاحب زياد الذبياني، وأسماء أخرى غريبة مُنْكَرة، مثل مُدْرِك بن واغمٍ، وابن الصلادم، وهيّاب..... وغيرهم.. [755]

وقد ذكر بعض الشعراء، أسماء شياطينهم في أشعارهم، فذكر الأعشى، " مسحلاً " حين هجاه " جُهُنّام "، بقوله: [756] (الطويل)

فلمّا رأيتُ الناسَ للشَّرَّ أقْبلَوا ، وثابُوا إلينا مِن فَصيحٍ وأَعْجَمِ

*دَعَوْتُ خليلي مِسْحلاً، ودَعَوا لَهُ جُهُنّام جَدْعاً للهَجِينِ المُذَمَّم

فإنّي وثَوْبي راهِبِ اللُّجِ، والتي بناها قُصَيٌّ والمُضاضُ بنُ جُرْهُمِ[757]

لَئِنْ جَدَّ أسبابُ العَدَاوةِ بيننا، لَتَرْتَحِلَنْ منِّي على ظَهْرِ شَيْهَمِ[758]

---

753 – المعطاني: **قضية شياطين الشعراء وأثرها في النقد العربي**، ص 14.

754 – **إبليس**، ص 182.

755 – **جمهرة أشعار العرب**، ص43–44.

756 – الأعشى: **ديوانه**، ص 183– 184.

757 – اللج: غدير عند دير هند أم عمرو بن هند.

758 – الشيهم: القنفذ، **لسان العرب**، مادة (شهم).

*حَبَاني أخي الجِنِّيُّ، نَفْسِي فداؤهُ، بأَفْيَحَ جيّاشِ العَشيّاتِ خِـِْضرِمِ.

فالشاعر يدعو صديقه الشيطان " مسحلاً "، في مَعْرِض هجائه عمير بن عبد الله ابن المنذر[759]، ويذكر شيطان خصمه " جُهُنام "، وقد حشد مجموعة من الرموز الدينية، فأقسم بها، منها الراهب، والكعبة التي بناها قصي بن كلاب، بعد إبراهيم عليه السلام، والمُضَاضُ ابن جُرْهُم، الذي كان قَيّما على الكعبة قبل قريش.

ويَتوعد الأعشى خصمه، بأن يحمله على ظهر شَيْهَم، وهو القنفذ، وذِكْرُ القنفذ مرتبط بالجن؛ لأن القنافذ من مطايا الجن، فقد ربط الشاعر بين الشياطين أو الجن ومطاياها في تراكيب، تشيع فيها الرموز الدينية، وقد حَبَاه، ومَنَحَه شيطانهُ الذي دعاه أخي، بالشعر، لمواجهة خصمه، فالصلة بينهما صداقة وأخوة، لذلك فهو يفتديه بنفسه، فالأبيات التي تحدد العلاقة بين مسحل والأعشى، ليست مجرد أبيات، تعبر عن علاقة الأعشى الفنية بمسحل، وإنما تعبر أيضاً عن علاقة عاطفية بينهما، تقوم أساساً على معرفة الأعشى الكاملة بمسحل[760]، فهو مدين له بقدرته الشعرية الفائقة، معترفاً بفضله، ويقول الشاعر نفسه في مكان آخر: [761] (الطويل)

وما كُنْتُ شاحِرْدَاً وَلَكِنْ حَسبتُني إذا مِسْحلٌ سَدّى لِيَ القولَ أنْطقُ[762]

شريكانِ فيما بيننا مِنْ هوادةٍ صفيَّانِ جنيٌّ، وإنـــسٌ مُوَفقُ

يقولُ، فلا أَعْــيَا لشيءٍ أقولهُ كــفَاني لاعَيٌّ، ولا هو أَخْرَقُ

جِماعُ الهوى في الرُّشد أدنى إلى التُّقى وتَرْكُ الهَوى في الغَيِّ أنْجَى وأوْفقُ

إذا حاجةٌ ولّتْكَ لا تستطـــيعُها فخُذ طَرَْفاً مِـنْ غَيْرِها حينَ تسبقُ

---

[759] – الأعشى: **ديوانه**، ص180.

[760] – الحجاجي:**الأسطورة والشعر العربي**، ص45.

[761] – الأعشى: **ديوانه**، ص119.

[762] – شاحرداً: لفظة فارسية، وهي التلميذ المتعلم.

يبدو الشاعر لسان شيطانه، لا يقول إلا ما يلهمه إياه، فالإبداع للشيطان، والأعشى خادمٌ مطيعٌ، يردد ما يقوله له، وهما شريكان وصفيّان، فالشعر موزّع بين الإلهام والقول، وشيطانه حكيم ومُجَرّب، لذلك تداعت الحكمة في أبيات القصيدة، ويبدو اعتراف الشعراء أنفسهم بتلقيهم الشعر من الشياطين، وهي صورة تحمل طابع التفاخر بشياطينهم، والاعتراف بقوتهم، وتفوقهم على شياطين غيرهم من الشعراء.

ومن الشعراء الذين ذكروا شياطينهم في أشعارهم، حسان بن ثابت: " إذ تُُروى عنه قصةٌ مع السِّعلاة، يذْكُر من خلالها اسم شيطانه، وهي أن السعلاة لقيته في بعض طرقات المدينة، وهو غلام، قبل أن يقول الشعر، فَبَرَكَتْ على صَدْرِه، وقالت: أنت الذي يَرْجُو قومك، أن تكون شاعرهم، قال: نعم، قالت: فأنشدني ثلاثة أبيات على روي واحد، وإلا قتلتك، فقال:[763] إذا ما

ترَعْرَعَ فينـــا الغُلامُ	فما إنْ يُقَــالُ له مَنْ هُوَهْ (المتدارك)
إذا لَمْ يَسُدْ قَبلَ شَــدَّ الإزَار	فَذلِــكَ فينا الذي لا هُوَهْ
وَلِي صاحبٌ مِنْ بني الشَّيْصَبانِ	فطوراً أقولُ وَطَوْرَاً هُوَهْ

والشيصبان قبيلة من الجن، فزعم أنه وشيطانه يتناوبان القول في الشعر.

ويَزْعَم في موضع آخر، أن له جِنّياً يُلْهِمه الشعر، ويوشيه له أحسن وشايه، ويجوده، فيظفر به على الشعراء، ويترفع عن السرقة، فهو يفتخر بأخيه الجني، الذي يُلَقنه أفضل الكلام، بقوله:[764]

لا أَسرِقُ الشُّعراءَ ما نطقوا	بل لا يُوافق شِعْرَهُم شِعري (الكامل)
إنّي أَبى ليْ ذلكُم حَسَبي	ومقالةٌ كَمَقَاطِــع الصَّخْرِ
وأخي مِن الجِنَّ البَصيرُ إذا	حالَ الكــلامَ بأَحْسَنِ الحِبْرِ[765]

---

763 – حسان بن ثابت: **شرح ديوانه**، ص296.

764 – المصدر نفسه، ص142.

765 – حال الكلام: من الحلي، والحبر بكسر الحاء: الوشي.

ويعترف امرؤ القيس صراحةً بوجود توابع له، في قوله: [766] (الطويل)

أنا الشَّاعرُ الموهوبُ حولي توابِعي مِنَ الجِنَّ تَروي ما أقولُ وَتَعزِفُ

ويبين أن الجن تخيره من أشعارها، فيختارُ أفضلها، فهذا هو سبب تفوقه، وذلك بقوله: [767]

تُخَيِّرُني الجنُّ أشعارَها فما شئتُ من شْعرهنّ اصطَفَيْتُ (المتقارب)

وهذا بدر بن عامر يعترف بقدرة الجن على نظم القوافي، ويبين التشابه بين لغة الجنَّ والإنس، فيقول: [768] (الكامل)

وَلَقَدْ نَطَقْتُ قوافياً إنسيّةً ولَقَدْ نَطَقتُ قوافي التَّجنينِ

وقد قَسّم العرب شياطين الشعراء إلى فئتين من حيث مستوى الإجادة في الشعر، فالشيطان الذي يلهم شعراً جيداً اسمه " الهوبر " والذي يلهم شعراً فاسداً اسمه " الهوجل "[769].

وقد ورد في كتب الأدب، بعض الأخبار عن وجود شياطين للعديد من الشعراء الجاهليين، ولكنهم لم يذكروا أسماءها في شعرهم، فأورد الجاحظ في كتابه قصيدة " الحكم ابن عمرو البهراني " التي احتوت على أخبار متنوعة، عن علاقات العرب بالجن والغيلان، إضافة إلى أسماءٍ لشياطين شعراء في العصر الجاهلي والإسلامي[770].

ولا بد من الإشارة إلى أن العرب لم يطلقوا هذه الأسماء جزافاً، فالعلاقة اللغوية بينها وبين صورة الجن، التي استقرّت في أذهانهم علاقة وثيقة، إضافة إلى أن جِرْسها الصوتي يوفّر إيقاعاً خاصاً، يعمل على الجذب النفسي للمتلقي، فحول الدلالة اللغوية لشيطان امرئ القيس "لافظ بن لاحظ" ورد في اللسان أن " اللفظ " هو أن ترمي بشيء كان في فيك، ويلفظ البحر

---

766 – امرؤ القيس: **ديوانه**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم– ط4– دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص325.

767 – المصدر نفسه، ص322.

768 – الهذليون: **الديوان**، 266/2.

769 – **عبقر**، ص50.

770 – **الحيوان**، 80/6–84.

الشـيء يرمـي بـه إلـى السـاحل، واللافظـة هـي الرَّحـى سـميت بـذلك؛ لأنهـا تلفظ مـا تطحنـه[771]، فالدلالة اللغوية للفعل لفظه، تدل على الرمي بشدة وقوة، فكأن الشاعر يرمـي الشـعر مـن فمـه، كمـا يرمي البحر الشـيء إلـى السـاحل، ويؤثر الشـاعر فـي خصـمه، كمـا تـؤثر الرحـى فـي الحـب الـذي تطحنه. "ولاحظ" اسم فاعل من المصدر "اللحظ واللحظات" وهو أن ينظر الرجل بلحاظ عينـه إلى الشيء شزراً، وهو شق العين الذي يلي الصدغ، واللحاظ: ميسم فـي مؤخر العين إلـى الأذن، وهـو خـط محـدود، أو لحظـان مـن جـانبين او لحـاظ واحـد مـن جانـب واحـد[772]، فدلالـة "لحـظ " اللغوية تدل على النظر بغضب من طرف العين، وتدل على شكل العين التـي تبـدو مشـقوقة، وتـدل أيضاً على علامة " خط " يصل العين بالأذن، وهكذا تصور العرب عين الشيطان.

أما "هبيد بن الصلادم"، فهبيد هو الحنظل، يُكَسّر ويُسْتَخرَج حبه، ويُنْقَع، لتـذهب مرارتـه ويُتَّخذُ منه طعامٌ، يؤكل عند الضـرورة[773]، والحَنْظل وإن كـان مرَّ الطَّعم، إلا أنـه طعـام محبـب للظباء، والظباء من مطايا الجن، "والصلدم والصلادم": الشديد الحـافر، وقيل: هو القوي الشديد وأصـلاد الجبـين، هـو الموضـع الـذي لا شـعر عليـه، فالفعـل "صـلد" يـدل علـى الشـدة والقـوة، والموضع الذي لا شعر عليه[774]، وهذا يتفق مع كون الشاعر يحلق جزءاً من شعره، في مَعْرِضِ الهجاء خاصة، ويبدو أن حلق الشعر كان تقرباً للجن. أما " مسحل بن أثاثة " فالمسحل هو الريـاح تسحل الأرض سحلاً، تكشط مـا عليهـا، وتنـزع عنهـا أدمتهـا، والمسحل الثـوب النقـي مـن القطـن، والشـجاع الـذي يعمـل وحـده، والغايـة فـي السـخاء، والجـلاد الـذي يقيم الحـدود بـين يـدي السلطـان، والخطيب الماضي، والفرس الجموح، والشتم باللسان[775]، ولا تخفـى علاقة هذه المعـانـي بصـفات الجـن وخصائصـها، ولكنـي سأشـير إلـى أحد هذه المعـانـي، وهـو الثـوب النقـي مـن القطـن، فـاللون الأبيض حمل رمزاً دينياً مقدساً عند العرب، إضافة إلى أن معنى الشتم، يتوافق مع سلاطة

---

771 – **لسان العرب:** مادة (لفظ).
772 – المصدر نفسه، مادة (لحظ).
773 – المصدر نفسه، مادة (هبد).
774 – المصدر نفسه، مادة(صلد).
775 – المصدر نفسه، مادة(سحل).

لسان الشاعر، أما الأثاثة، فهي الكثرة والعظم من كل شيء[776].

ولعل الأعشى أسعد الشعراء حظاً من هذه الشياطين، فقد لوحظ في شيطانه صفات شعره ومزاياه، فشيطانه مسحل مأخوذ من معنى الكلمة، وذلك لتجويده وتنحله لشعره، و "مسحل السكران " لأنه أجاد نعت الخمر، وتحدث عنها كثيراً.

أمّا "جُهُنّام" فهو شيطان عمرو بن قطن، فقد اختلف في معنى هذا الاسم وأصله؛ والأغلب أنها كلمةٌ عبرية، تتركب من جزئين هما (جي– هنوم)، ومعناهما، وادي الهمس أو الأنين، أو الهينمة، أو وادي البكاء والعذاب" وذلك عندما يراد به السعير، وهو مسكن الشياطين ومأواها، ولعل الأعشى سمع الكلمة، وفهم معناها فهماً غير دقيق، أو سمعها غيره ممن جعلوا "جُهُنام" شيطانه، ومن الرواة من جعل "جهنام" لقباً لعمرو بن قطن، أو شيطاناً له، وكان يهاجي الأعشى [777].ومهما يكن من أمر فإن هناك ارتباطاً وثيقاً بين اسم الشيطان، ودلالته اللغوية؛ فاختيار الاسم لم يأت من فراغ.

وتكثر أخبار لقاء الشياطين بالشعراء، في المصادر التراثية الأدبية، كلقاء الأعشى مع شيطانه، فقد روى الألوسي: " أن الأعشى خرج يريد قيس بن معد يكرب بحضرموت، فضلّ الطريق، في أوائل أرض اليمن، وأصابه مطر، فوقعت عينه على خباء من شعر، فقصده، وإذا بشيخ على باب الخباء، فسلم عليه، وأدخل ناقته خباءً آخر، وحط رَحله، وجلس، فسأله عن اسمه، وعن المكان الذي يقصده، فأجابه، وسأله عن شعره، فقال: [778]

رَحَلَتْ سُميّةُ غُدوةً، أجَمَالَها　　　　غَضْبى عليكَ، فما تَقولُ بدا لها　　(الرمل)

وسأله عن سمية، من تكون ؟ فأجابه: إنها اسم ألقي في روعه، فنادى الشيخ: يا سمية، اخرجي، فخرجت جارية، طولها خمسة أشبار، وأنشدت القصيدة كاملة، ثم أنشده قوله: [779]

---

776 – **لسان العرب**، مادة (أثث).

777 – الرافعي، مصطفى صادق: **تاريخ آداب العرب**– ط2– دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1394هـــ–1974م، 59/3.

778 – الأعشى: **ديوانه**، ص150.

779 – الأعشى: **ديوانه**، ص144.

ودَّع هُريْرةَ إنّ الرَكبَ مُرْتَحِلٌ   وَهَل تُطِيقُ وداعاً أيُّها الرَّجُلُ؟

(الرمل)

فنادى الشيخ: يا هريرة، فخرجت جارية، وأكملت القصيدة حتى نهايتها، فخاف الأعشى وتحير، فلما رأى الشيخ ما نزل به، قال: ليفرج روعك، يا أبا بصير، أنا هاجسك " مسحل بن أثاثة " الذي ألقى على لسانك الشعر، فسكنت نفسه، ورجعت إليه، وسكن المطر، فدله الشيخ على الطريق[780].

يتبين من القصة أنّ الأعشى لقي شيطانه الذي يوحي إليه، من غير أن يعرفه، وأنّ مسحلاً هو شيطان الأعشى، ونستدل منها على قدرة الجن على نظم الشعر، والإيحاء به إلى الإنس، وقد روي عن العرب حكايات كثيرة، شبيهة بتلك الحادثة[781].

ويصور " سويد بن أبي كاهل " خصومته مع شاعر آخر، وقد أعانه شيطانه، وظهر على شيطان خصمه، فجعله يولي هارباً، فيقول: [782]

فرَّ مِنّي هارِباً شَيْطانُهُ   حيثُ لا يُعطِي ولا شَيئاً مَنَع (الرمل)

وأتاني صاحبٌ ذُو غَيَّثٍ   زَفَيَانٌ عندَ إنْفَادِ القُرَعْ[783]

قال: لبيَّكَ، وما استصْرخْتُهُ   حاقِراً للنَّاس قَوّالَ القَذَع[784]

ذو عُبابٍ زَبِدٌ، آذيُّه   خَمِطُ التَّيَّار يَرْمي بالقَلَع[785]

---

780 – **بلوغ الأرب**، 368/2، **جمهرة أشعار العرب**، ص44 – 45.

781 – **جمهرة أشعار العرب**، ص43 وما بعدها

782 – **المفضليات**، ص 201–202.

783 – ذو غيث: ذو إجابة، زفيان: خفيف سريع، القرع: المزادة.

784 – القَذَع: الكلام السيء القبيح.

785 – خمط التيار: مضطربه، متلاطمه، العُباب: تكاثف الموج واضطرابه، الآذي والتيار واحد وهما الموج.

ومما يجدر ذكره، أن الاعتقاد بشيطان لكل إنسان، لم يكن مقتصراً على العرب؛ بل ارتبط الفن عند القدماء عامة ارتباطاً وثيقاً بالوحي والإلهام، فلم تكن الموهبة الشعرية عندهم قدرة إنسانية، تعود إلى المبدع، بأي شكل من الأشكال؛ بل كانت خارج نطاق العقل البشري، فلا يدركها إلا من كان على اتصال بالآلهة، التي تبث الشعر على ألسنة الشعراء[786].

وقد نسب العرب القوة الخفية التي تمدّ الشعراء بالشعر إلى الشرّ، ولم ينسبوها إلى الخير، فقالوا: شيطان الشعر، أما اليونانيون فقد نسبوا الإلهام في الشعر إلى ربة الشعر، ولكن المراد بها في الحالتين قوىً روحية، توحي بالشعر[787]، فقد جاء في مطلع الإلياذة: [788] (الخفيف)

ربّةَ الشِّعرِ عن أخيلَ بنِ نيلا أنْشدينا واروي احْتِدِاماً وَبِيلا

ووجه الشبه بين العرب واليونانيين، يكمن في وجود قوة خفية، تلهم الشعراء الشعر، وكانت آلهة الفنون عندهم، تقيم في قمم الجبال، في هليكون وبرناس وبندوس، واختارت عيوناً مقدسة أودعت فيها سِرّها، فإذا شرب منها الشارب، صار شاعراً ملهماً [789]، أمّا العرب فيزعمون، أنّ شياطين الإلهام تأتي من وادي عبقر ووبار، وأقامت في بيوت الأصنام، أحياناً تهتف بأوليائها، ويسمع لها صوت فيها[790]، وزعم سقراط الفيلسوف اليوناني، أنّ له شيطاناً خاصاً، يوحي إليه ما يريد، ثم توسعوا بالنظر إلى الخير والشر، وقالوا إنّ للإنسان شيطانين، للصلاح والفساد، وسموا الموحيات بالشعر (Musa) موزا، كما اعتقد الفرس بإلهي الخير والشر[791].

ولا عجب في نسبة الشعر إلى الآلهة حيناً، وإلى الشياطين حيناً آخر؛ لأن كلمة عبقر من الكلمات التي تحمل المتضادات، فمعناها صاحب الجنة، أو الشبيه بالجنة في القدرة والتفوق، كائناً ما كان العمل الذي يتفوق فيه، وترتبط بالجن الذي يسبب الجنون، ويلحق المرض بالإنسان[792]،

---

786 – الرافعي: **تاريخ آداب العرب**، 59/3.

787 – المرجع نفسه، 59/3.

788 – هوميروس: الإلياذة، عرّبها نظماً سليمان البستاني، مطبعة الهلال، مصر، 1904م، ص 203.

789 – **شياطين الشعراء**، ص 115.

790 – المرجع نفسه، ص115.

791 – عبقر، ص47–50، **تاريخ آداب العرب**، 59/3–60.

792 – **إبليس**: ص167.

وروى "شيشرون" عن "ديمقراط" ما يثبت ذلك، وهو قوله: " إنّ الشعر العادي لا يتأتّى بغير الجنون، أو وحي خاص يشبه الجنون" [793]، فهو من وحي الجن.

"لو عدنا إلى اشتقاق كلمة جينيوس (Genius) في الإنجليزية، و(Genie) في الفرنسية، وكشفنا عن معناها، لوجدنا أن الجن عندهم مسؤولون عن التفوق الذهني، كما هم مسؤولون عن الخبل العقلي أيضاً" [794].

ولم تكن الشياطين تابعة لكل الشعراء؛ بل يبدو أنها اقتصرت على الفحول فقط، بدليل ما ورد عن بعض الشعراء، أنه قال لآخر: "أنا أقول كل ساعةٍ قصيدةً، وأنت تَعْرِضُها في كل شهر، فلم ذاك ؟ فقال: لأني لا أقبل من شيطاني، مثل الذي تقبله من شيطانك [795]، فالشيطان رمز الموهبة الإبداعية التي تتفاعل مع الشاعر، وتسيطر على نفسيته فيمتزج بها، ويذوب في ثناياها، كما يذوب الشيطان في دم الإنسان، وربما الرابط بينها، هو أن كليهما سار على طريق الغواية.

وربما كان هذا هو السبب الذي دفع العرب إلى أن تخاف من الشعر، لدرجة أنهم كانوا إذا أسروا شاعراً، ربطوا لسانه بنسعة، لما له من أثر سحري، وعلاقة بالجن والشياطين، وفي هذا يقول عبد يغوث القحطاني بن وقاص الحارثي: [796] (الطويل)

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَاني بِنِسْعَةٍ أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عَنْ لِسانيا[797]

فالشاعر يؤكد أثر اللسان في إلحاق الضرر بالآخرين، وهذا يؤكد علاقة الشعر بالسحر، إذ ارتبط الشعر بالسحر ارتباطاً وثيقاً، فكان الشاعر يمارس طقوساً سحرية في الجاهلية، وخاصة في معرض الهجاء، "فقد كان يلبس حلّة، ويحلق شعر رأسه إلاّ ذؤابتين، ويدهن أحد شقي رأسه،

---

[793] – داود، أنس: **الأسطورة في الشعر العربي الحديث**– ط3– دار المعارف، 1992م، ص66.

[794] – شياطين الشعراء، ص110، هوراس: **فن الشعر**، ترجمة لويس عوض، ص 53–54.

[795] – **البيان والتبيين**: 150/1.

[796] – **المفضليات**، ص155.

[797] – النِسْعَة : بكسر النون ، القطعة من النسع، وهو سير يضفر من جلد ويشد اللسان به، إما حقيقة أو مجاز ، وأرادوا أنهم فعلوا ما منع لسانهم عن مدحهم، المفضليات، ص157.

وينتعل نعلاً واحداً"[798]. ويأتي تبادلُ المواقع بين الساحر والشاعر، من انتمائهما إلى العالم المرتبط بالغيب، ومخلوقاته الأثيرية، من جنَّ وشياطين، مما أضفى على الشاعر صفة

الساحر والعالم، فهو عالم بقوة شعره السحرية، وبالآراء الروحانية[799].

"فبدا الهجاء طقساً سحرياً، أو ممارسة قائمة بذاتها، يراد بها إلحاق الأذى بالمهجو، معتمداً في ذلك على الجن والشياطين"[800]، فالسحر والهجاء كلمات تقال، تتضمن معنى الشر، واستمطار اللعنة، فيصيب شرها المسحور.

وبناء على ذلك، عزا العرب القدامى الأثر الذي يتركه الهجاء في النفوس، إلى فعل السحر، وقارنوا بين السحر والهجاء؛ للغموض الذي يحيط بهما، والرهبة التي يتركها كل منهما في النفوس، وعزوا الهجاء كغيره إلى إيحاء وعون الشياطين؛ فالشاعر الهاجي يستعين بشيطانه، لاستمطار اللعنات على خصومه، والساحر يستعين بالأرواح الشريرة، لإلحاق الأذى بمن يريد سحرهم [801]، وقد لاحظنا، كيف استعان الأعشى بشيطانه (مِسْحل) على هجاء خصومه الذين دعوا له جهنام[802]، وسويد بن أبي كاهل حين أتاه شيطانه؛ لينصره على شيطان خصمه[803].

وباعتبار الهجاء وسيلة سِحرية، فإن الشاعر المهجو، يضطر إلى رد ما ألحق به بشعر مماثل، فيكون الهجاء في هذه الحالة "تعويذة سحرية، يردُّ بها على خصمه، ويدافع بها عن نفسه"[804]، ويكون "بمنزلة إبطال فعل القوى الشريرة الكامنه فيه" [805].

---

798 –المرتضى: أمالي المرتضى، **تحقيق أبي الفضل إبراهيم**– ط1– دار احياء الكتب العربية، 1954م، 189/1.

799 – القيسي، نوري حمودي: **تاريخ الأدب العربي**، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1399هـ – 1979م، ص 53.

800 – **الأسطورة في الشعر العربي**، ص69.

801 – الجبوري، يحيى: **الشعر الجاهلي** "خصائصه وفنونه"، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ– 1997م، ص266.

802 – الأعشى: **ديوانه**، ص183– 184.

803 – **المفضليات**، ص 201 – 202، **الشعر الجاهلي** "خصائصه وفنونه"، ص 343.

804 – بلاشير، ريجيس، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة إبراهيم الكيلاني، وزارة الثقافة، دمشق، 391/1.

805 – **لسان العرب**، مادة (نقض).

ويعد الرثاء عملية سحرية، في أساسها وهدفها، فهي في الأصل رقى وتعازيم، يمكن بواسطتها التخلص من الحزن واليأس، وتخطي حاجز الخوف والقلق[806]، فالساحر والشاعر، كل منهما بمقام الوسيط بين أمته والعوالم غير المنظورة؛ فَهمُّ كلٍّ منهما أن يحقق بمواهبه ما ينحبس من رغائب أمته، وهذا ما ذهب إليه بروكلمان "من أن شعر الرثاء، يكمل الطقوس الجنائزية التي يقصد منها تهدئة روح الميت، وتحقيق الاستقرار له في قبره، وتنهاه أن يرجع إلى الحياة، فيلحق الضرر بالأحياء الباقين"[807].

ويلاحظ الدارس ارتباط التفسير الجاهلي لعملية الإبداع بشياطين الشعراء، في فترة كان الشعر – كما يزعمون- عبارة عن "أناشيد دينية، يتجهون بها إلى آلهتهم، يستعينون بها على حياتهم، فتارة يطلبون بها القضاء على خصومهم، وأُخرى يطلبون بها نصرتهم، ونصرة أبطالهم"[808].

ولم أجد أحداً يخالف وينكر ذلك إلا "محمد صادق حسن عبد الله" إذ يقول:اعتقد بعضهم بمقولة شيطان الشعر، أو النفث الجنّي، وهو ما يفهم بالإلهام الخفيّ الذي يلقى في روع الشاعر، مستنداً إلى عدة شواهد شعرية، تربط نشأة القصيدة بذلك، "فلو اعتقدنا بسلطان الشيطان ونفثه، لما أصبح للموهبة وحدة القريحة تأثير في القول، ولما أصبح لتعلُّم الشعر، وتهذيبه مكان في نظمه، ولكان أمر إنشاء القصيدة توقيفاً على الشيطان إلاّ أننا نظن أنّ الشيطان يوسوس للشاعر بالسوء في أثناء إنشاده، كما يوسوس لنا أثناء الكلام"[809]، فهو ينكر قضية إلهام الشياطين الشعر للشعراء، ويرى أن هذه المقولة أمرٌ متعذر القبول، صعب التأويل، لأن الشيطان والجن موجودان قبل الفترة التي قيل فيها الشعر؛ ويعد ما ورد من أشعارهم في مخاطبة الجن والغول، وغيرهما

---

806 – أدونيس: **مقدمة للشعر العربي**–ط4– دار العودة، بيروت، 1983م، ص 49.

807 – بلاشير، ريجيس: **تاريخ الأدب العربي**، 47/1، المناعي: في صلة الشعر بالسحر، ص31.

808 – ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي** (العصر الجاهلي)– ط7– دار المعارف، مصر، القاهرة، 1960م، ص196.

809 – عبد الله، محمد صادق حسن: **خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة**– ط2– دار إحياء الكتب العربية القاهرة، 1977م، ص77–78.

تعبيراً واقعياً، وترجمة حسية لما يعيش حولهم؛ وذلك لإيمانهم بوجود الجن، ورؤيتهم لها، ومخاطبتهم إياها[810].

وإذا عدنا إلى الحديث عن أشعار الجن، فإننا نجدُ كثيراً من القصص التي تُخْبِر عن نظم الجن للشعر، ومخاطبة البشر به، وهتافها به في الأحداث الكبرى والمناسبات، ولا نستغرب من ذلك؛ إذا علمنا أنّ الأساطير العربية القديمة، تنسب أشعاراً إلى إبليس أبي الجن [811]. وهذا بدوره كافٍ ليرُدَّ على ما جاء به " محمد صادق" فالشعر موجود، منذ أن وجد آدم "عليه السلام" وإبليس، وإن كانت أشعارهم مجالاً للشك، إلا أنها تبين قدرة إبليس على نظم الشعر، وتوضح الدور الذي لعبه في قصة سيدنا آدم، وخروجه من الجنة،وإن كانت من نظمه؛ فإنها تثبت وراثة المواهب الأدبية، وتؤكد قدرة الجن على نظم الشعر، وإن كان ما ينسب إليها من الشعر يتسّم بالضعف، بدليل ما قالته تخبر به عن قتلها حرب بن أمية [812]، وما ورد على لسان جوشن الكلابي يشير إلى تفوّق الإنس على الجن، في كل شيء؛ مما أعطى الإنسان السيادة في الكون، وهو: [813]

فأُقْسِمُ لو بَقيْتُ لَقُلْتُ قَوْلاً   أَفُوقُ بِها قَوافي كلِّ جِنَّ   (الوافر)

فلا عجب إذن، أن نجد كثيراً من الأشعار تنسب إلى الجن والشياطين، وتبين الهدف أو المناسبة التي قيلت فيها، فقد بشرت بمولد كثير من الشعراء قبل أن يولدوا، من ذلك شاعر تغلب (عمرو بن كلثوم) الذي يحكى أن جده المهلهل عندما ولدت له ليلى، قال لامرأته هند: اقتليها، فأمرت هند الخدم بإخفائها، فلما نام هتف به هاتف، ينشد شعراً: [814]

---

810 – المرجع نفسه، ص78.

811 – **جمهرة أشعار العرب**، ص26، في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص255.

812 – **الحيوان**، 207/6، مروج الذهب، 141/2.

813 – بدوي، عبد الرحمن: **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي**، ترجمة عبد الرحمن بدوي– ط1– دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص245.

814 – عمرو بن كلثوم: ديوانه، **تحقيق إميل بديع يعقوب**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1424هـ–2004م، ص121–122.

كَمْ مِنْ فَتىً يُؤَمَّلْ وَسيَّدٍ شَمَــــردَلْ [815] (الرجز)

وَعُدَّةٍ لا تُجْهَلْ في بطنِ بِنْتِ مُهَلْـَهلْ

وعندما استيقظ، سأل عن البنت، وطلب العناية بها، ثم تزوجها "كلثوم بن مالك"، فلما حملت بعمرو ابن كلثوم، قالت: إنه أتاني آتٍ في المنام، فقال: [816] (الرجز)

يا لَكِ لَيْلىَ مِنْ وَلَدْ يُقدِمُ إقدامَ الأَسَدْ

مِنْ جُشَمٍ فيهِ العَدد أقولُ قِيلاً لا فَندْ

فولدت غلاماً أسمته عمراً، فلما أتت عليه سنة، قالت: أتاني ذلك الآتي ليلاً، وأشار إلى الصبي، وقال: [817]

إنّي زَعِيمٌ لَكِ أُمَّ عَمرِو بِماجِدِ الجَدَّ كَريمِ النَّجَرِ

أشجعَ مِن ذِي لَبِدٍ هَزْبَرٍ وَقّاصِ أَترابٍ شَديدِ الأَسرِ [818]

يسودُهُم فِي خَمسةٍ وعَشرِ

يبدو أن الشعراء رُسُل الجن إلى البشر، مما يزيد من مكانة الشاعر، فالجن تهتف شعراً، يبشر بميلادهم، وتتابع أخبار حياتهم، فكانت أخبار عمرو بن كلثوم، كما قالت الجن.

وقد شاع أسلوب حوار الجن والإنس شعراً، من ذلك مثلاً، قصة "عبيد بن الأبرص و الشجاع" حين وجده في طريقه، وقد احترقت جنباه من شدة الحر والعطش[819]، وزعموا أن امرؤ القيس كانت له قصائد، ومطارحات مع عمرو الجنيّ[820].

---

815 – الشَمردل: الفتي القوي، الحسن الُخلق.

816 – عمرو بن كلثوم: **ديوانه**، ص121–122.

817 – عمرو بن كلثوم: **ديوانه**، ص121–122.

818 – اللبد: شعر الأسد الذي على كتفيه، الوقاص: الكثير الكسر والدق، شديد الأسر: معصوب الخلق غير مسترخٍ.

819 – ينظر، **أحداث القصة**، عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، ص15.

820 – **المفصل في تاريخ العرب**، 120/9.

وتظهر المحاورة الشعرية، من خلال المعركة التي دارت بين الجنيَّ الذي ظهر بصورة الظليم، وعبيد بن الحمارس، حين اقتحم مكاناً، فحذرته نساؤه الجن من أهله[821]، وتبدو أيضاً في قصة المثل القائل: الحمّى أضرعتني للنوم، وما جرى بين الجني الذي اختطف الأخوين "مرارة ومرة" وأخيهما مرير الذي ذهب يبحث عنهما[822].

وأظن أنّ ما حدث مع "تأبط شراً" والغول بوصفها جنساً من الجن والشيطان، أو ساحرة الجن، يؤكد محاورة الشاعر معها، وإن لم تظهر شخصية الغول بشكل مباشر[823].

وقد نسب إلى الجن قدرتها على تحويل الإنسان إلى شاعر في سرعة هائلة، وذلك من خلال ما تلقيه في روعه، كما حدث مع عبيد بن الأبرص، "إذ يحكى أنه أقبل ذات يوم، ومعه غنيمة له، ومعه أخته ماوية ليورد غنمه، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة، فانطلق حزيناً مهموماً؛ لما صنع به المالكي، حتى أتى شجرات، فاستظل هو وأخته تحتهن، فناما، فزعم أن المالكي نظر إليه نائماً، وأخته على جنبه، فأساء الظن به واتهمه، فسمعه "عبيد بن الأبرص"، فساءه ذلك، فرفع يديه نحو السماء، فابتهل، فقال: اللهم إن كان هذا ظلمني، ورماني بالبهتان، فأدلني منه، ثم نام، ولم يكن يقول الشعر قبل ذلك، فأتاه أتٍ في المنام بكبةٍ من شعر، حتى ألقاها في فيه، ثم قال له: قم، فقام وهو يرتجز ببني مالك، وكان يقال لهم بنو الزنية، فقال: [824]

أَيَا بَني الزَّنيّةِ مَا غَرّكُم لَكُمْ الوْيلُ بِسرْبالِ حُجُر [825] (الرمل)

واستمر بعد ذلك في الشعر، فكان شاعر بني أسد بلا منازع، ويبدو أن شيطانه هبيد هو الذي ألقى إليه ذلك؛ لأن ما يلقى للشعراء، يسمى عسُّ الهبيد.

وتقترب هذه القصة من قصة "سكيلوس" اليوناني" إذ يقال إنه بدأ يقول الشعر بمثل هذه الطريقة"[826]، وهذا يؤكد تماثل المعتقدات، وإيمان كل منها، أن مصدر الشعر هو قوى خفية.

---

821 – ينظر، **أحداث القصة، بلوغ الأرب**، 356/2.

822 – ينظر، **أحداث القصة، مجمع الأمثال**، 255/1–256.

823 – تأبط شراً: **ديوانه**، ص206–207.

824 – عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، ص14.

825 – الزنية: حي من أحياء العرب. السربال : القميص، الحجر: مالا يحل انتهاكه.

وقد أورد القرشي قصيدة، نسبها إلى هاتف، ألقاها في روع رجل، خاف من الحرث ابن ذي شداد ملك الجاهلية، وكان قد طلبه فأعجزه، حتى إذا جنه الليل، فاستضاف إلى كهف في جبل، فأخذته عينه، فإذا هو بآتٍ قد أتاه، فقعد عند رأسه، وأنشأ يقول: [827] (المنسرح)

الدَّهرُ يأتيكَ بالعجائبِ إنّ الدَّهرَ فيهِ لديكَ مُعْتبرْ

إنّي زعيمٌ بِقِصَّةٍ عَجَبٍ عندي لمَنْ يَستزيدُها الخبرْ

تَأْتي بِتَصدِيقها الَّليالي والـ أيامُ إنَّ القضاءَ يُنْـتَظرْ

يبدو من خلال استعراضنا، لما ورد من أشعارٍ على ألسنة الجن، أن الشعر الذي ينسب إلى الجن ضعيف، لا يليق بمنزلتها في عالم الأدب عامة، والشعر خاصة، ولا بمقدرتها، وإذا كانت القصص ضعيفة النسج أحياناً، بادية السخف أحياناً أخرى، فلأنها لم تنضج من الناحية الفنية، ولم يكن يراد بهما ذات القصة، وإنّما أريد بها غايات مختلفة، بعضها ديني، كإخبارها بنزول النبي "صلى الله عليه وسلم"، وانتصار المسلمين في بدر، وبعضها سياسي، أو قبلي، كبكاء الجن على شهداء الحَرَّة، وقد يكون للعامل الأدبي أثرٌ في كتابة هذه القصص، وتلك الأشعار[828].

وقد أشار الشهرستاني إلى هذه العوامل، فجعل أخبار الجن في سورة (الجن)، وغيرها، سبباً في كثير من الشعر المنسوب إليها، إذ يقول: "فلم يكد القصّاصون والرواة يقرأون هذه السورة، حتى ذهبوا في تاويلها كل مذهب، واستغلوها استغلالاً لا حد له، وأنطقوا الجن بضروب من الشعر، وفنون من السجع" [829].

---

826 – **شياطين الشعراء**، ص60.

827 – **جمهرة أشعار العرب**، ص 51 – 52.

828 – **الجاحظ: البيان والتبيين**، 75/1.

829 – الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل– ط2– صححه وعلّق عليه أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ–1992م، حاشية 1 /674.

ويؤكد ذلك أيضاً ما أورده الجاحظ، إذ أثبت من خلاله، أنّ كل ما ورد من أخبار عن الجن وغيرها من باب الخرافات، والمزاعم التي لا أصل لها، لأنه يقول زعموا، ويزعمون[830].

ومهما يكن من أمر، فإن الشعراء كانوا يعتقدون،أن شعرهم أحرف نارية، تلقي بها الجن على ألسنتهم، وأنهم إنّما يتناولون من الغيب، فهم فوق أن يُعدوا من الناس، ودون أن يُحسبوا من الجن [831].

[830] – **الحيوان**، 186/6.

[831] – الرافعي: **تاريخ آداب العرب**، 58/3.

المبحث السابع

الجن والكهانة والسحر

تعتبر الكهانة من الأمور التي ارتبطت بالجن، وهيمنت على عقلية الجاهليين، واتصلت بمجرى حياتهم، وتعني استخدام الجن في معرفة الأمور الغيبية، والتنبؤ واستطلاع الغيب بوساطتهم[832]، فكان الجاهليون إذا ناب أحدهم أمرٌ يريد معرفة داخليته أو مستقبله، ذهب إلى الكاهن، فأخبره بما يهمه، وكانوا "يعتقدون أن لكل كاهن صاحباً من الجن، يحضر إليه، فيخبره بما يريد، أو شيطاناً يخبره به"[833]، "وأنّ الشياطين تسترق السمع، وتلقيه على ألسنة الكهان؛ فيؤدون إلى الناس الأخبار، بحسب ما ترد إليهم"[834].

فالكهنة " قوم لهم أذهان حادة، ونفوس شريرة، وطباع نارية، فألفتهم الشياطين؛ لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتها إليه"[835]، فكأن خضوع الناس للكهنة، بدافع تحقيق منفعة لهم، قد لا يخرج عن هدف جوهري، هو دفع غوائل الدهر عنهم، والتي لا يقدر عليها بحسب زعمهم إلا الكهنة، وما يتفرع عنهم من أمور جانبية أخرى، وتصبُّ في محور محافظة الإنسان على حياته، والتمتع بالاستقرار والهناء، وردّ الشر أياً كان مصدره[836].

وقد لَبس أمر الرسول "عليه السلام" على المشركين؛ فنعتوه بالسحر، ورموه بالجنون، وقالوا إن له رئيا أو تابعاً من الجن، فخلطوا بين المَلَك والرئي، وهذا ما ذهبت إليه الخرافات العربية، من أنّ الكاهن هو الصورة المشوّهة للنبي في التراث اليهودي، فهو يعرف حكم الغيب،

---

832 – الحوت: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص 231.

833 – **البيان والتبيين**، 289/1، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 128/3.

834 – **مروج الذهب**، (دار الكتب العلمية)، 186/2.

835 – الملل والنحل، حاشية، 674/1.

836 – النعيمي: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص98.

ويتنبــأ بمــا ســيحدث مســتقبلاً، والفــرق بينهمــا، أن النبــي يســتلهم الملائكــة، والكــاهن يســتلهم الشياطين[837].

فالشياطين هم أصحاب الكهنة، ورعاتهم يتكلمون بألسنتهم،والقرآن الكريم خير مصدر، أشـار إلـى حقيقـة وجـود الكهـان، فـي المجتمـع الجـاهلي، ورد علـى مـزاعم المشـركين، بقولـه: "فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩ "[838] وقولــه تعــالى : "إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ [839] ".

وهكذا قرن القرآن الكريم الكهانة بالجنون؛ وذلك لما لكل منهما من علاقة بالجن، ونفى عن رسول الله تهمة الكهانة.

والكهانـة أنـواع تـدور حـول الجـن وتتعلـق بهـا، فمنهـا مـا يتلقونـه مـن الجـن مباشـرة، إذ تصعد الجن إلـى جهـة السماء، فيركبُ بعضـها فوق بعض، إلـى أن يدنو الأعلـى بحيث يسمع الكلام؛ فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يليه، ويلقيه في أذن الكاهن، فيزيد فيه، فهي إذن قائمة على استراق الجنّي السمعَ، وإلقائه في أذن الكاهن، ثم ما لبثت السماء أن حرست من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب، وذلك بعد بعثة النبي "عليه السلام"، فلم يبق من استراقهم إلاّ ما يتخطفه الأعلى، فيلقيه إلى الأسفل، قبل أن يصيبه الشهب[840].

ويؤكد القرآن الكريم تلك الحقيقة بقولـه: " وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ "[841]،" وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨ " [842]، ويتضـح ذلـك مـن خـلال مـا

---

837 – **المفصل في تاريخ العرب** ، 762/6

838 – **الطور**، آية 29.

839 – **الحاقة**، آية 40–42.

840 – **المِلل والنِحَل**، حاشية ص674

841 – **الجن**، آية 9.

842 – **الحجر**، آية 17–18.

قالـه عبـد الله بـن عمـرو: " لمـا كـان اليـوم الـذي نبـئ بـه رسـول الله، منعـت الشـياطين، وَرُمـوا بالشهب"[843].

وقد أشار أمية بن أبي الصلت إلى هذا المعنى بقوله: [844] (الكامل)

وَتَرى شَيَاطِيناً تَروُغُ مُضافَةً وَرُواغُها شتَّى إذا مَا تُطْرَدُ [845]

تُلْقى عَلَيْهَا في السَّماءِ مَذلَّةً وَكَواكِبٌ تُرمَى بها فَتُعَرَّدُ[846]

ومن الكهانة، ما يخبر بـه الجنـيُّ من يواليـه، بمـا غـاب عن غيره، بمـا لا يطلـع عليـه من قَرُبَ منه، ولا من بعد[847]، واختلف في مصدر استطلاع الغيب، فمن كان يعتقد التوحيد نسبه إلى أفواه الملائكة، ومن كان من عبدة الأصنام، اعتقد حلول الأرواح المجردة داخل الأصنام، وقدرة الكاهن على مخاطبتها[848]، لأنه إنسان غير طبيعي، وذو صلة بالآلهة والجن، وهذا يؤكد ما ذهبوا إليه، من "أنهم كانوا يسمعون من أجواف الأصنام همهمة"[849]، من ذلك ما يروى عن صنم اسمه ضمار، للعباس بن مرداس، كان أبوه قد أوصاه بعبادته، وبقي كذلك، إلى أن ظهر أمر رسـول الله عليـه السـلام، فسـمع العبـاس صـوتاً، يخاطبـه شـعراً مـن جـوف الصـنم، قـائلاً: [850] (الكامل)

قُلْ للْقَبائلِ مِنْ سَلَيمٍ كلِّها هَلَـكَ الأَنـيسُ وَعَـاشَ أهـلُ المَسْجِدِ

إنّ الذي وَرَثَ النُّبوَّةَ والهُدى بَعدَ ابنِ مَرْيمَ مِنْ قُريشٍ مُهْتَدِ

---

[843] – **لسان العرب**، مادة(درأ).

[844] – أمية: **ديوانه**، ص 54.

[845] – المضاف:الخائف الملجأ.

[846] – تعرِّد : الإحجام والفرار .

[847] – **شياطين الشعراء**، ص 71.

[848] – زيدان، جرجي: **تاريخ آداب اللغة العربية**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، 182/1.

[849] – الأصنام، حاشية ص 12، **الحيوان**، 201/6.

[850] – زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ط2، مصر، مطبعة الهلال، 1924م، 274/1.

أودَى الضِّمارُ؛ وكانَ يُعْبدُ مَرّةً		قبلَ الكِتابِ إلى النَّبيّ مُحمّدِ

فالقصة تبين العلاقة بين الجن والكهنة.

وقد كان لكل قبيلة كاهن، يستشيرونه في حوائجهم، ويحتكمون إليه في خصوماتهم، ويستطبونه في أمراضهم، ويستفتونه فيما أشكل عليهم، ويستفسرون منه عن رؤاهم، ويستنبئونه مستقبلهم[851]، من ذلك ما حدث مع الزّباء – صاحبة جذيمة الأبرش- وكانت قد سألت كهنة عن أمرها، فقالوا لها: نرى هلاكك بسبب عمرو بن عدي، ولكن حتفك بيدك، فحذرت عمراً، واتخذت نفقاً من مجلسها إلى حصنٍ لها داخل مدينتها، وذلك ما لمّح إليه، المخبلّ السعدي في إحدى قصائده التي يقول فيها : [852]		(الكامل)

يَا عمرُو إنّي قد هَوَيْتُ جِمَاعَكُم		ولكلِّ مَنْ يَهْوى الجِمَاعَ فُرَاقُ

بَلْ كَمْ رأيتُ الدَّهرَ زايلَ بينَهُ		مَنْ لا يُزايلُ بَيْنهُ الأخلاقُ

طابَتْ به الزَّبَاءُ وَقد جعلتَ لها		دُوراً وَمشْربةً لَهَا أَنَفاقُ

ويتّضح دورُ الكاهن في قول أُحيحة بن الجَلاَّح: [853]		(الوافر)

فَهَلْ مِنْ كاهِنٍ أوذي إلَهِ		إذا ما حانَ مِنْ ربٍّ أُفُولُ[854]

يُرَاهِنُني فَيرهَنُني بَنيهِ		وأرهنُهُ بَنيِّ بِمَا أَقولُ [855]

---

[851] – زيدان، جرجي: **تاريخ آداب اللغة العربية**، 181/1 ، المفصل في تاريخ العرب، 764/6.

[852] – المخبل السعدي: حياته وما تبقى من شعره، دراسة وتحقيق، حاتم الضامن، مجلة المورد، م2، ع1، 1973م، ص127–128.

[853] – **جمهرة أشعارا لعرب**، ص 231.

[854] – الكاهن: العرّاف، الأفول: أراد به الرّب: السيّد.

[855] – يريد أن يقول: إن الغيب لا يعلمه أحد، وهو يراهن على صحة قوله.

ولقد لعب بعض الشعراء دور الكاهن، الحريص على مصلحة قومه، يقدم لهم النصح والإرشاد، ويؤكد ذلك، ما ورد عن أبي ذؤيب الهذلي أنه كان كاهناً[856] يحتل مكانة مرموقة في قومه، وهذا ما أشار إليه ابن عمه خالد في قوله: [857] (الطويل)

وَكُنتَ إماماً في العَشيَرةِ تَنْتهَي　　　　إَلْيكَ إذا ضَاقتْ بأمْرٍ صُدورُها

فلا تَجْزعَنْ من سُنّةٍ أنتَ سِرْتُها　　　　وَأوَّلُ راضي سنّةٍ مَنْ يَسيرها.

ومن الكهان الذين عظم شأنهم؛ ورسم القصّاصون لبعضهم صوراً خيالية "شق بن انمار ابن نزار [858]. وقد كانت صورته توحي بصورة الغول عند العرب، وفي أخباره ما يوحي بصلته بالجن، ومنهم سطيح بن مازن بن غسان الذي كان يدرج كما يدرج الثوب، لا عظم فيه إلاّ الجمجمة، ويقال إنّ وجهه كان في صدره، ولم يكن له رأس، ولا عنق[859]، وقد أشاد به الشعراء، منهم الأعشى الذي أقرَّ بصدق ما يسجع به، بقوله: [860]

مَا نَظَرتْ ذاتُ أَشفارٍ كَنَظْرَتِها　　　　حَقّاً كَما صَدَق الذِّئبيُّ إذْ سَجَعا[861] (البسيط)

إذْ نَظَرتْ نَظَرةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ　　　　إذْ يَرْفَعُ الآلُ رَأسَ الكَلبِ فارْتَفَعا

وقد كان للكهنة دور كبير في الإخبار عن الحوادث المستقبلية، والتبشير بالدعوة الإسلامية، من ذلك حادثة إسلام "سواد بن قارب"[862]، ومن هؤلاء الكهنة، خنافر بن التوأم الحميري الذي كان

---

856 – عبد الرحمن، نصرت: **الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1985، ص136.

857 – **الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي**، ص136.

858 – **الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي**، 290/1،**بلوغ الأرب**، 278/3 –281.

859 – زيدان، جرجي: **تاريخ آداب اللغة العربية**، 182/1.

860 – الأعشى: **ديوانه**، ص 106.

861 – الذئبي: سطيح الكاهن، سجع: اي تنبأ بكلام مسجع

862 – **الحماسة البصرية**، 355/1، **بلوغ الأرب**، 302/3.

رَئِيُّهُ لا يتغيب عنه في الجاهلية، فلما شاع الإسلام، جاء يدعوه إليه، ويثني على النبي "صلى الله عليه وسلم"[863].

ومن الحوادث الدالة على إيمان الجاهليين بالكهنة، وتصديقهم ما يقولونه، ما حدث مع الشاعر "أفنون التغلبي" إذ سأل كاهناً عن موته، فأخبره، وكان كما قال له، وحين شعر بِدُنُوِّ أجله، في المكان الذي أشار اليه الكاهن، قال لرفيق له: احفر لي قبراً، فإني ميت، ثم تغنى قبل أن يموت، باكياً نفسه: [864] (الطويل)

أَلاَ لَسْتُ في شَيءٍ فَرُوحَاً مُعَاوِيا　　وَلا المُشْفِقَاتُ إذْ تَبِعْنَ الحَوَازِيَا [865]

كَفَى حَزَناً أنْ يَرْحَل الحَيُّ غُدْوَةً　　وأصبحَ في أَعْلى إلآهَةَ ثاوِيَا[866]

لذلك كان الكهنة هدف الأعداء، فهذا علقمة بن السبّاح يسخر بمقتل عمرو بن الجعيد، الكاهن الذي قتل في يوم الكلاب الثاني، بقوله: [867] (السريع)

لمّا رأيتُ الأمْرَ مَخْلوجةً　　أُكْرِهْتُ فيه خَرِصاً مارِنا[868]

قُلتُ لَهُ: خُذْها، فَإنّي امِرْؤٌ　　يَعْرِفُ رُمْحي الرَّجلَ الكَاهِنا

وذلك لما له من قدرات عجيبة، فلماذا يسخر إذا لم يكن للكاهن حدُّ التألية؟ ألم يكن يتمتع بكل ما يعينه على تمكين فكرة الإنسان القادر على كل شيء.[869]

---

863 – صفوت، أحمد زكي: **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة** (العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام)، المكتبة العليمة، بيروت، لبنان، 1352هـ-1933م، 1/ 167.

864– **المفضليات**، ص 261، **خزانة الأدب**، 11/151-152.

865 – فَروح: كثير الفرح: المشتقات: النساء ذوات الشفقة، الحوازي: الكواهن.

866 – إلآهة: قارة بسماوة كلب.

867 – المثنى، أبو عبيد معمر: أيام العرب قبل الإسلام، جمع وتحقيق عادل جاسم البياتي – ط1- عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1407هـ-1987م، 1/86-87.

868 – مخلوجة غير مستقيمة، المارن: الليِنّ في صلابة.

869 – **التشكيل الخرافي في شعرنا القديم**، ص208.

ولم تقتصر الكهانة على الرجال؛ بل لقد كانت النساء أقدر على الكهانة من الرجال[870]، فقد ورد عن "عفيراء" الكاهنة الحميرية " أن "مرثداً بن عبد كلال" حشر الكهان؛ ليخبروه بتفسير رؤيا، فعجزوا، وكانت أمه قد تكهنت، فقالت له: أبيت اللعن أيها الملك إنّ الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه؛ لأن أتباع الكواهن من الجان ألطف وأظرف من أتباع الكهان، ولكنهن عجزن عن ذلك، حتى اهتدى إلى عفيراء الحميرية، ففسرت له الرؤيا، وأراد أن يتزوجها، فرفضت، وقالت: إنّ تابعي غيور، وَلِأمري صبور، وناكحي مَثْبُور، والكلف بي ثبور".[871]

وهذا يبين مكانة المرأة في الجاهلية، إذ تستطيع أَنّ تنبئ بالغيب، بفضل أَتباعها من الجان [872]؛ لأنها تمتلك قوة سحرية، تشهد لها معتقداتهم، فقد عرف عن الجاهليين، أنهم كانوا في الحرب، ربما أخرجوا النساء، فبلن بين الصفين، فإن ذلك في رأيهم يطفئ نار الحرب، ويقودهم إلى السلم، وقد سجل الشعراء ذلك في أشعارهم، من ذلك ما يقوله الشاعر، منكراً قدرة بول النساء على إطفاء نار الحرب: [873]

هيهاتَ ردُّ الخَيْلِ بالأبْوالِ إذا غَدَتْ في صُورِ السَّعالي (الكامل)

ورغم ذلك، فإن المرأة تملك قدرة سحرية، "كانت تضرب بها المحبوب بالجنون؛ فيفقد لبّه، ويتشتت عقله، فيستسلم وينقاد لها حتى الموت"[874]، وفي المقابل كانت تمارس طقساً سحرياً من شأنه إمداد الرجل بالقوة، كما لها قدرة التأثير على الحيوان[875]، فقد أشار "سويد بن أبي

---

870 – **البيان والتبيين** 195/1، **جمهرة خطب العرب**، 1 /116، زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية 183/1.

871 – **جمهرة خطب العرب**، 118/1.

872 – **بلوغ الأرب**، 283/3 وما بعدها، الحوفي، أحمد محمد: **المرأة في الشعر الجاهلي**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1980هـ– 1409م، ص407، وما بعدها،.

873 – **بلوغ الأرب**، 4/3.

874 – **لغز عشتار**، ص252.

875 – الديك، إحسان: **الوعل، صدى تموز في الشعر الجاهلي**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، 2003م،ع2، ص69.

كاهل اليشكري" إلى ذلك، بقوله[876]:

(الرمل)

خَبَّلَتني ثُمَّ لَمَّا تُشفِنِي فَفُؤَادي كلَّ أوْبٍ ما اجْتَمعْ

وَدَعَتْني بِرُقَاها، إنّها تُنْزِلُ الأعْصَمَ مِنْ رَأْسِ اليَفَعْ[877]

فهو يعترف بأثرها، ويرى أنه لم يستطع مقاومة إغرائها، أو الفكاك من أسرها. ولم يقتصر تأثيرها عليه، وإنما تعداه إلى الحيوانات.

ونتبين ذلك من خلال ما قامت به المرأة من تعليق الخرز، إذ نوّعت في الخرزات بتنّوع الغرض، والهدف منها، فهي لم تكتف بسحرها الجسدي، وإنّما لجأت إلى الرُّقى والسحر؛ كي تؤكد إيمانها المطلق بقدرة هذه الخرزات في التأثير على الزوج، وهذا أمرٌ نابعٌ من وثنيتها، القائمة على عبادة الأصنام، ويؤكد ذلك ما قاله "الشمردل" منكراً أثر السَّلوة "وهي خرزة بيضاء شفافة، تدفنها في الرمل، ثم تفحص عنها بإصبعك، حتى تراها سوداء، فتنقعها في الشراب، ويسقى عليها الحزين فيسلو، ويُصرف بها الإنسانُ عَمّن يحبه"[878]، وقد استخدموها في مجال العشق، من ذلك قول احدهم: [879] (الكامل)

وَلَقد سُقِيتُ بِسَلْوَةٍ فكأنَّما قالَ المُداوي لِلخيالِ بها أزُر

ومن المعتقدات التي لها علاقة بالسحر ما يُسمىّ بطقس رَمي البعرة [880]، إذ يقول أحد الشعراء الجاهليين مخاطباً امرأته، حاثاً إياها على عدم ممارسة هذا الطقس؛ لأنه لا يفيد: [881]

لا تَقْذفي خَلْفي إذا الرَّكبُ اغتدى رَوْثةَ عِيْرٍ وَحَصَاةَ وَثْرى (الرجز)

لَنْ ينفعَ المقدارَ أسبابُ الرُّقى ولا التهاويلُ على جِنّ الفلا

---

876 – **المفضليات**، ص192.

877 – الأَعَصَمُ: الوعل الذي في يده بياض، اليفع: المرتفع، خَبَّلتني: من قولهم خبله، واختبله: إذا أفْسدَ عقله.

878 – **بلوغ الأرب**، 6/3، **المفصل في تاريخ العرب** 742/6، عبقر، ص118.

879 – المصدر نفسه، 6/3.

880 – النويري: **نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب**، 120/3، البطل، علي: الصورة في الشعر العربي، ص50.

881 – **بلوغ الأرب**، 120/3.

كما اعتبر الجاهليون فَقْء عين الفحل من العيافة؛ وذلك لحماية الإبل من الحسد، فيقول أحد الشعراء: [882] (الطويل)

فقأتُ لها عينَ الفُحَيل عِيافةً وَفيهِنَّ رعلاءُ المَسَامعِ والحَامي

فالعيافة من القضايا المرتبطة بالجن؛ إذ "أَن العائف هو الرجل المتكّهن، الصادق الحَدْس والظنّ، وبنو أسد يذكرون بالعيافة، ويوصفون بها، وقَدْ قيل عنهم إنّ الجن كانت تستنجد بهم حينما تضلّ إبلها[883].

ولم يقف دور الكهنة عند هذا الحد؛ بل تجاوز ذلك إلى "احتراف مهنة الطب، ومعالجة المرضى، وذلك عن طريق طرد الشياطين من جسم المريض، بالتعاويذ والتراتيل والأناشيد المقدسة، حتى كانت هذه المهنة حكراً لهم"[884]، فالأمراض سببها في نظرهم، روح شريرة تحلُّ في جسم المريض، فيتمُّ علاجه بطرد تلك الأرواح، ويشترك مع الكاهن والحازي والعرّاف الساحر في ذلك؛ إذ غدت كلُّها تقريباً من المترادفات، وقد ربطوا شخصية الملك بالكاهن، وزعموا أن الملوك يمتلكون قوى روحية خارقة، وقدرات سحرية، يستطيعون بواسطتها ردَّ الموت عن أنفسهم، فهم لا يموتون، وأرواحهم خالدة، وإن ماتوا فإن دماءهم تستخدم لعلاج الكلب والخبل[885]، وقد كثر التعبير عن هذه المزاعم في أشعارهم، من ذلك ما يقوله المتلمس الضبعي: [886]

من الدَّارِميَّين الذينَ دماؤُهُم شفاءٌ من الداءِ المَجَنَّةِ والخَبْل[887] (الطويل)

وهذا عاصم بن القريّة يقول: [888] (الطويل)

وَدَاويتُهُ مّما بِهِ مِن مَجَّنةٍ دمَ ابنِ كُهالٍ والنِّطاسيُّ واقفُ

---

882 – الحيوان، 17/1، **البيان والتبيين**، 96/3.

883 – المرزوقي، أبو علي: **الأزمنة والأمكنة**– ط دار المعارف– الهند، 1312هـ، 204/2.

884 – الأحمد، سامي سعيد: **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، ص44.

885 – **الحيوان**، 7/2، **مروج الذهب**، 95/1.

886 – المتلمس الضبعي: **ديوانه**، ص 135.

887 – الدارميِّون: نسبة إلى دارم بن مالك التميمي، المجنة: الجنون.

888 – **الحيوان**، 7/2.

وقلَّدْتُهُ دَهْراً تميمةَ جدِّه   وليَسْ لِشَيءٍ كَادَهُ اللهُ صَارِفُ[889]

إلا أن الإيمان بقدرة الكهان على علاج المرضى، لم يمنع من نظرة التشاؤم المكنونة في النفس الإنسانية إزاء الموت، والإيمان بأنه قدرٌ محتوم، على الرغم من محاولة مواجهته وتحديه، وفي ذلك يقول الممزق العبدي: [890] (الطويـــل)

وَلوْ كنتُ في بيتٍ تُسَدُّ خُصَاصُهُ   حَوَاليّ مِنْ أبْناءِ بَكْرةَ مَجْلسُ[891]

ولَوْ كانَ عِنْدي حازيانِ وكاهنٌ   وعَلَّقَ أَنْجاسَاً عليَّ المُنجِّسُ

إذن لأتتني حيثُ كنتُ مِنِيَّتي   يَخُبُّ بها هادٍ إليَّ مُعَفْرِسُ[892]

فالشاعر ينكرُ قدرة الحازي والكاهن والتنجيس، والأهل والعشيرة على دفع الموت عنه،

ويؤكد ذلك قول تأبط شراً: [893] (الكامل)

كَذبَ الكواهنُ والسَّواحِرُ والهُنا   أن لا وفاءَ لِعَاجزٍ لا يتّقي

ونجد في شعر أبي ذؤيب الهذلي، ما يشير إلى عدم اعتقاده بالطرق الذي هو "ضرب الكاهن بالحصى" [894]، وذلك في قصيدة يرثي بها ابن عمّه نشيبة، ويتّهم الطراق بالكذب، منها: [895]

يقولونَ لي: لَوْ كانَ بالرّمِلِ لَمْ يَمُتْ   نشيبةُ والكُهّانُ يكْذبُ قيلُها. (الطويل)

ويبدو ذلك فيما قاله أفنون التغلبي رافضاً تصديق ما قاله الكاهن له: [896] (السريع)

يا أيّها المُزمعُ وَشكَ النوى   لا يَثْنك الحازي ولا الشَّاحجُ

---

889 – كاده: أراده

890 – البحتري: **ديوان الحماسة**، ص118.

891 – الخُصاص: الخلّل أو الخرق.

892 – المعفرس: الذي يصرع ويغلب.

893 – تأبط شراً: ديوانه، ص 46.

894 – **لسان العرب**، مادة "طرق".

895 – الهذليون: **الديوان**، 33/1، **بلوغ الأرب**، 307/3.

896 – المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة**، 50/2.

ولم يقتصر السحر على خداع الإنسان، والتحكم في تصرفاته وشئونه، وإنّما يهدف إلى التحكم بقوى الطبيعة الخفية، والسيطرة عليها، من ذلك ما كانت تقوم به بعض الشعوب فجراً؛ لإعانة الشمس على الشروق، أو في أحوال الكسوف والخسوف، والطقوس التي كانت تؤدي لإيقاظ الأرض من سباتها الشتائي[897]، ويندرج تحتها التحكم في المطر، " فالساحر كالوسيط بين أمته، والعوالم غير المنظورة، مهمته تحقيق ما انحبس من رغائبها بمواهبه الخاصة "[898].

ففي معتقدات الجاهليين، أن الشياطين تتحكم في تلك الظواهر، فتصدَّ الشمس عن الشروق، ويسجل أمية بن أبي الصلت ذلك بقوله: [899] (الكامـــــل)

والشمسُ تطْلعُ كلَّ آخرِ لَيْلةٍ	حمراءَ يُصْبِحُ لَوْنُها يَتَورَّدُ
تَأْبى فَلا تَبدو لَنا في رُسلِها	إلاّ معذبةً وإلاّ تُجْلَـدُ
لا تستطيعُ بِأنْ تُقَصِّرَ ساعةً	وبذاكَ تدأبُ يومَها وتَشرَّدُ

ويأتي ضمن هذا الباب ما تأتي به النجوم من الخير والشّر، فعبيد بن الأبرص يقول: [900]

فالشَّمسُ طالعةٌ وليلٌ كاسفٌ	والنَّجمُ تَجْري أنْحُساً وسُعودا (الكامل)

فهو يؤمن بقدرة النجوم من خلال ما بها من الشياطين على إلحاق الخير والشر بالإنسان.

ويرتبط بذلك ما كانوا يسمونه بطقوس الاستسقاء، فكل ما يتصل بها يعدُّ من الممارسات السحرية، سواء أكانت بالنيران أو بالثور أو البقر[901] وغيرها.

ونخلص من ذلك إلى أن السحر عند القدماء، كان يقوم على مبدأ التحكم بالآلهة، وإجبارها على العمل، وأنه طريقة لإعطاء الإنسان نوعاً من السيادة على الرب أو الشيطان،

---

897 – جيمس فريزر: الغصن الذهبي، ص249.

898 – المناعي: **في صلة الشعر بالسحر**، ص30

899 – أمية: **ديوانه**، ص 50 –51

900 – عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، ص69.

901 – بشر بن أبي خازم الأسدي: **ديوانه**، تحقيق عزُة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1960م، ملحق ص320، الحيوان، 2/266.

وتغيير القدر الذي تفرضه النجوم عليه، وأن الكهانة والسحر يلتقيان في منابع الموهبة ومصادر الإلهام، والكاهن والساحر شخص يعيش على شفا عالمين، عالم الجن وعالم الإنس، وإن اختلفت مصادر كل منهما من حيث النوعية، فالساحر مُلْهِمه الجني، أمّا الكاهن فملهمه الرئي.

وأنّ السحر دخل في كل ممارسات الجاهليين وطقوسهم الحياتية، كما كان عند الأمم القديمة فقد مارست الكهانة والسحر بنفس الوسائل ولنفس الأغراض[902].

ويثبت ذلك ما قاله جرجي زيدان" أنّ الكهانة من العلوم الدخيلة على العرب، وأن الكلدانيين حملوها إليهم مع علم النجوم، ويؤكد ذلك أن الكاهن يسمى بالعبرية حازي، وهما بنفس المعنى، وهو الرائي والناظر، والبصير والحكيم والنبي"[903]، ويؤكد الجاحظ هذا التشابه؛ إذ استخدم كلمة حازي في حديثه عن تحاكم العرب عند بعض الحكام، ويقول: " كان العرب يتحاكمون عند حازي جهينة" [904].

---

902 – المناعي: **في صلة الشعر بالسحر**، ص27.

903– **تاريخ آداب اللغة العربية** 181/1، في طريق الميثولوجيا عند العرب ص 232.

904 – **البيان والتبيين** 289/1، الحيوان 204/6، **شياطين الشعراء**، ص72، شوقي ضيف، (العصر الجاهلي)، ص422.

الفصل الرابع

الجن و الحيوان في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: الجن والحيوان

المبحث الثاني: الجن والكلب الأسود

المبحث الثالث: الجن والإبل

المبحث الرابع: الجن والخيل

المبحث الخامس: الجن والطير

المبحث السادس: الجن والحية

المبحث السابع: الجن والغزال

المبحث الثامن: الجن والثور

المبحث الأول

الجن والحيوان

يَعُجُّ عالم الصحراء العربية بكائنات روحية، وقوى خفية تتحكم في أهواء البشر، وتصرفاتهم، ومصائرهم، منها الهامة والصدى، والجن والغول والأفاعي الطائرة، كل هذه المخلوقات دخلت في أوهام العرب، وشكلت أخيلتهم[905]، وكانت جزءاً من حياتهم، تتعانق مع ما يعتمدون عليه من حيوانات قريبة إلى نفوسهم، وتشكل عنصراً أساسياً في حياتهم كالخيل والإبل، وما يعترضهم من حيوانات متوحشة، تشكل هاجس الخوف في نفسية بدائية، فما كان من الإنسان الجاهلي إلا أن ربط بين هذه الكائنات، بروابط أملاها عليه واقعه، فتارة يجعل من الحيوانات الأليفة، وما يحيط به من حيوانات متوحشة، مطايا لتلك الكائنات، وتارة يجعل تلك الكائنات، تتصور بأشكال مختلفة غريبة وعجيبة، بل وبلغ به الحدّ، أن جعل بينها علاقة قرابة ونَسَب حتى كان الجنُّ حيواناً في تصوّر العربي القديم[906].

وهكذا تراوحت الحيوانات التي اعتقد الجاهليون بأن الجن تركبها، بين المتوحشة والأليفة، وبين ضخامة الحجم وصغره، ونظروا إليها نظرة رهبة وخوف وتقديس، وأحجموا عن صيدها أو قتلها، ونسجوا حكايات طريفة في ذلك، ونظموا أشعاراً، واتخذوا من بعض الحيوانات التي لا يركبها الجن تعويذة وتميمة؛ لدفع الأذى والشر عنهم. ويؤكد الجاحظ هذه المزاعم، بقوله:" والأعراب لا يصيدون يربوعاً، ولا قنفذاً، ولا ورلاً من أول الليل، وكذلك كل شيء، يكون عندهم من مطايا الجن، كالنعام والظباء، فإن قتل أعرابي قنفذاً، أو ورلا من أول الليل، أو بعض هذه المراكب، لم يأمن على فحل إبله، ومتى اعتراه شيء، حكم بأنه عقوبة من قبلهم، قالوا: ويسمعون الهاتف عند ذلك بالنعي، وبضروب الوعيد"[907].

---

905 – أبو سويلم، أنور: **دراسات في الشعر الجاهلي**، ص 84.

906 – القزويني: **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص 387، من الأساطير العربية والخرافات، ص25.

907 –**الحيوان**، 6/46–47.

وسنتحدث الآن عن بعض الحيوانات ذات الصلة القوية بالجن، مع استعراض ما يثبت ذلك في الموروث الشعري، بدءاً بمطايا الجن.

يُعَدُّ القُنفذ من أشهر مطايا الجن، ونوعاً من الحيوانات التي لا تظهر إلا ليلاً، وقد كثر ذكره في أشعار العرب، كما تسمّى به بعضهم، وذو البُرة الذي ذكره عمرو بن كلثوم، هو الذي يقال له، "بُرة القنفذ"، وهو كعب بن زهير[908]، فيقول: [909] (الوافر)

وذا البُرةِ الذي حُدّثتَ عَنْهُ بِهِ نُحْمَى وَنَحمي المُحْجَرينا

وقد لقب بذلك لشَعْرٍ خَشنٍ كان على أنفه، تشبيها بالقنفذ، وقد أورد الألوسي حكاية تدل على ارتباط القنفذ بالجن، مفادها "أنّ عبيد بن الحمارس، كان نازلاً بالسماوة، فارتحل بعد جفافٍ حلّ فيها إلى وادي تبّل [910]، فرأى روضة وغديراً، فقال: روضة وغدير، وخطب يسير، وأنا لما حويت مجير، فنزل هناك، وله امرأتان، (رباب وخولة)، فقالت له خولة: [911]

أرىَ بلدةً قفراً قليلاً أَنيسُها وإنّا لنَخْشى إنْ دَجا الليلُ أَهلَها (الطويل)

وقالت له رباب:

أَرَتْك بِرَأيِيْ فاسْتمَع عَنْكَ قَولَها ولا تأمنن جنّ العزيف وجهلها (الطويل)

فقال مجيبا:

ألستُ كمّياً في الحُروبِ مُجَرّبا شُجَاعاً إذا شبَّتْ لَهُ الحَرْبُ مِحْـرَبا[912] (الطويل)

سريعاً إلى الهَيْجا إذا حَمِسَ الَوغَى فَأَقْسَم لا أَعْدو الغَـديـرَ مُـنَكَّبا

---

908 –**الحيوان**، 464/6

909 – عمرو بن كلثوم: **ديوانه**، ص81.

910 – وهو واد بالقرب من الكوفة، **بلوغ الأرب**، قال لبيد: **كلّ يومٍ مَنَعوا جَامِلَهمُ // وَمرِنّات كآرام تُبَلْ** ، ديوانه ، ص130.

911 – **بلوغ الأرب**، 356/2.

912 – المِحْرب بكسر الميم: صاحب الحرب.

ثم صعد إلى جبل تُبَّل فرأى شيهمة، وهي الأنثى من القنافذ، فرماها فأقعصها، ومَعَها ولدها، فارتبطه، فلما كان الليل، هتف به هاتف من الجن: [913] (الكامل)

يا ابن الحمارس قد أسأت جوارنا وَرَكِبْتَ صَاحِبنَا بأمرٍ مُفْظَعِ

وَعَقرْتَ لَقْحتهُ وقُدْتَ فَصيلَها قَوْداً عنيفا في المُنيفِ الأرفَع[914]

وَنَزَلْتَ مَرعى شَاتنا وَظَلَمْتنا والظُّلمُ فَاعلُه وَخِيمُ الَمْرتعِ

فلَنَطْرِقنّكَ بالذي أولَيتنا شّراً يَجيك وَمالَهُ مِنْ مَدْفَع

فالهاتف من الجن، يتهم عبيد بن الحمارس بإساءة الجوار، حينما نزل بوادي " تبل "، مما يؤكد أن الوادي مسكنٌ للجن، وأنه عقر ناقة الجن، وهي القنفذ، وقاد فصيلها، ويصف الناقة بالتمام والطول والحسن، وأن الروضة التي نزل بها، هي مرعى لشياه الجنَّ؛ ولذلك فقد توعّد الجن ابن الحمارس، بأنهم سيعاملونه كما عاملهم بالإساءة إليه، فأجابه ابن الحمارس بأبيات من الشعر، ينفي فيها التهمة عن نفسه، ويدعو الجنَّ إلى الاستماع إلى قوله، وتستمر الحكاية، والجدال بين الجن وابن الحمارس، وبين الاتهام والنفي، والتهديد والتحدي، إلى أن يتدخل أحد الجن الخيرين، ويفضّ النزاع بينهما، بتغريم ابن الحمارس ناقة بدلاً من التي عقرها[915]. فالحكاية تشير إلى أن القنفذ من مطايا الجن.

ومن مطايا الجن "العَضْرَفوط" وهو دويبة صغيرة، ضعيفة، ملساء، تعدو، وتتردد كثيراً، ولا تؤذي[916]، وقد وردت في الشعر المنسوب إلى الجن: [917]

كلُّ المَطايا قد رَكْبنا فَلَمْ نَجد أَلذَّ وأَشْهىَ مِنْ رُكوبِ الجَنادِبِ (الطويل)

---

[913] – **بلوغ الأرب**، 356/2.

[914] – المنيف: الجبل. اللقحة: الناقة التي نتجت، فَصيلها: ولدها.

[915] – **بلوغ الأرب**، 356/2–357.

[916] – المصدر نفسه، 360/2.

[917] – **الحيوان**، 239/6.

ومِنْ عَضْرَفُوطٍ حطَّ بِيْ فأقمتُهُ يُبَادِرُ وِرْدًا مِنْ عَظَاء قِوارِبِ

فالشاعر من الجن، على -حدِّ زعمهم- يبين أنَ ركوب الجنادب والعضرفوط، لمبادرة سرب العظاء ألذُّ من ركوب سائر المطايا.

ومن المعتقدات التي تتعلق بذلك، أنهم كانوا يشدون على أوساطهم عظام الذئاب، والضباع؛ معتقدين أنها تجلب لهم المنفعة والسلامة(918)، وذلك من باب الرغبة في إقامة علاقات وديّة، مع بعض الحيوانات الضارية، خاصة الذئاب، دلالة على اعتقاد طوطمي مترسب في أعماق الإنسان الجاهلي، فيعتقد بعضهم أن له مع الذئب علاقة متينة، وواسطة وثقى أمتن وأقوى من تلك التي مع البشر(919)، وما ذاك إلا لما لها من علاقة بالجن، وهذا ما نلمحه من خلال ما قاله امرؤ القيس بنُ حُجْر الكِنديُّ: (920) (المتقارب)

يا هنْدُ لا تُنكحي بُوْهةً عَلَيْه عَقيقَتُهُ أحْسَبا (921)

مُرَسَّعةٌ بَينَ أَرْسَاغه بِه عَسَمٌ يبتغي أرْنبَا(922)

ليجعلَ في يَدِهِ كَعْبَها حِذارَ المنيَّة أنْ يُعْطبَا

تشير الأبيات إلى أن تعليق كعب الأرنب كتعويذة، كان للسليم والمريض معاً؛ فالسليم يعلقه دفعا للأذى والمرض، والمريض يعلّقه أملاً بالشفاء والعافية، فالاعتقاد بهذا الأمر، ينبع من حاجتين، الوقاية من المرض والشفاء منه. وإذا اعتبرنا هذا من باب السحر التشاكلي، فإننا نجد فيما أورده الجاحظ على لسان الجن، ما يخالف ذلك، إذ جعل الجن لا تركب الأرنب؛ لأنها تحيض، ولا تغتسل من الحيض.. (923) وذلك بقوله: (924) (الطويل)

918– **دراسات في الشعر الجاهلي**، ص 97.

919– **نهاية الأرب**، 120/3

920– امرؤ القيس: **شرح ديوانه**– ط5– تأليف حسن السندوبي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ص350، الحيوان، 357/6–358. البحتري، **ديوانالحماسة**، ص152.

921 – البوهه: الرجل الضعيف الأحمق. الأحسب: الذي ابيضت جلدته من داء؛ ففسدت شهرته فصار أحمر وأبيض، العقيقة: الشعر الذي يولد به الطفل.

922 – مرسعة: الفاسد العين، العسم: يبس في المرفق.

923 – **الحيوان**، ص46.

وَشَرُّ مطايا الجِنَّ أرْنَبُ خُلَّةٍ وذِئبُ الغَضَا أَوْقُ على كُلَّ صَاحبِ

وربمـا كـان هـذا هـو الـدافع الـذي جعـل العـرب يتخـذون مـن أعضـاء هـذه الحيوانـات تعاويـذ وتمائم[925].

وفي هذا المجال لا بد من الحديث عن العلاقة بين الجن والسّنور، إذ يعتقدون "أن "القط من الحيوانات التي لها علاقة بالكائنات اللامرئية "[926]، "فالقطّ الأسود من الصور التي يتشكل بها الجن في بعض الأساطير"[927]، وفي المعتقد الشعبي يرون أن القط الأسود هو أحد أفراد الجن؛ لذلك كانوا وما زالوا يتورعون عن ضربه وإيذائه، ولا سيما في الليل. كما أنّ هناك شبهاً بين الهرَّ والغول، فقد جاء أنّ لسانَ الغول ورأسه على شكل لسان الهرّ ورأسه[928]، وجاء وصف تأبط شراً للغول الذي قتله كذلك، بقوله:[929] (الوافر)

إذا عينانِ في رأسٍ قبيحٍ كرأسِ الِهرَّ مَشْقُوقِ اللّسانِ

وهذا ما قادهم إلى استخدام سنّ الثعلب وسنّ الهرّ، كمنفرات للجن، إذ كانت تعلّق على صدر الصبي، خوفًا من الخطفة والنظرة، فقد جاء: [930]

كان عَلَيْهِ نَفره ثَعَالِبٌ وهرَرَه

والحيضُ حيضُ السَّمره

هذا ما قالته الجنية، تعتذر عن عدم قدرتها على خطف الصبي، الذي علقت عليه هذه المُنَفِرات، ويبدو أن الاعتقاد بِصلَةِ الجن بالقطّ الأسود، قد داخلتها ثنائية متناقضة، فالجن تتصور بالقط الأسود، وفي ذات الوقت تخشى من سنّ القط، إذا علق على صدر الصبي، وقد نلمح في

924 – المصدر نفسه، 239/6.

925– الأبشيهي: **المستطرف في كل فن مستظرف**، 85/2.

926 – موسوعة **أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 29/2.

927 – **غرائب وعجائب الجن**، ص37.

928 – **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 29/2.

929– تأبط شراً: **ديوانه**، ص106–107.

930 – **بلوغ الأرب**، 325/2، **نهاية الأرب**، 124/3.

جمع زهير بن أبي سلمى بين الجنّ والثعالب في صحراء مغبرَّة، ما يستدلُّ منه على أن الثعلب من مطايا الجن، وذلك بقوله: [931] (المنسرح)

تَسْمعُ للْجنّ عَازِفينَ بها تَضبحُ مِنْ رَهْبَةٍ ثعالبُها

وقد جمع الأعشى بين الثعالب والجنَّ في منطقه حجْر، وذلك بقوله: [932] (مجزوء الكامل)

أو لَمْ ترى حِجْراً وأنْـ ت حكِيمةٌ وَلِمَا بها

إنّ الثعالبَ بالضُّحى يَلْعَبنَ فَي مِحْرابها

والجِنُّ تَعزِف حَولُها كالحُبْشِ في مِحْرابها

فلولا أن هناك علاقة بين الجنَّ والثعالب لما جمع الشاعر بينها.

وسنعرض الآن إلى أهم الكائنات الحية التي لها علاقة بالجن عرضاً تفصيلياً...

---

931 – زهير بن أبي سلمى: **شرح ديوانه**، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق فخر الدين قباوة– ط1– دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ– 1992م، ص212.

932 – الأعشى: **ديوانه**، ص16.

المبحث الثاني

الجن والكلب الأسود

يرتبط الجن بالكلب الأسود ارتباطاً وثيقاً، حتى قالوا " السود من الكلاب الجن "[933]، والبقع منها الحن، وبما أن "الحنّ ضعفة الجن"[934]، فالكلاب كلها من الجن، وقد أثبت ذلك، ما ورد عن النبي "عليه السلام" قوله: " لولا أنّ الكلاب أمة، لأمرت بقتلها، ولكن خفت أن أبيد أمة، فاقتلوا منها كلَّ أسود بهيم، فإنه جنّها"[935]، وقد أقر الرسول "عليه السلام" ذلك بقوله: "الكلب الأسود شيطان"[936]، وهناك من الحكايات ما يثبت ذلك، فقد روي أن امرأة أتت إلى النبي " صلى الله عليه وسلم " وقالت: إن ابني هذا به جنون، ويصيبه عند الغداء والعشاء، فمسح النبي "عليه السلام" على صدره، فثعّ ثعة، فخرج من جوفه، جرو أسود، يسعى[937]، وبما أن الجنون من الجن، فإن هذا الجرو الذي خرج من جوفه كان سبب مرضه.

وربّما نلمح العلاقة بين الجن والكلاب، من خلال إطلاق العرب على الشعراء، كلاب الجن؛ وما ذاك إلاّ لارتباط الشاعر بشيطانه؛ ولأن الكلب من الصور التي يتشكّل بها الجن؛ ولأن الكلب يتبع صاحبه،كما يتبع الشيطان الشاعر، ويلازمه، فيقول عمرو بن كلثوم: [938]

وَأَنْزلنا البيوتَ بِدّي طُلُوحٍ إلى الشَّاماتِ تَنْفي المُوْعِدينِا (الوافر)

وَقدْ هَرّت كلاِبُ الجنَّ منَّا وشذّبنا قتادةَ مَنْ يَلينا[939]

ويبدو التشابه بين شكل الغول والكلب، من خلال وصف تأبط شراً للغول "وساقا مُخْدجٍ وَشُواةُ كَلبٍ" [940].

---

933 – **الحيوان**،291/1، عجينة: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 298/1.

934 – المصدر نفسه، 291/1

935 – الألباني: **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، 74/5..

936 – **صحيح مسلم** ، 1200/3.

937 – **الحيوان**، 224/6، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها** 298/1.

938 – عمرو بن كلثوم: **ديوانه**، ص72.

939 – هرّت: نبحت، شذّبنا: أزلنا الشوك والأغصان الزائدة، القتادة: شجرة ذات شوك.

ونجد في حكاية الكلب الأسود، الذي استخرج من رئام، ما يؤكد ذلك، إذ "يرون أن رئام كان بيتاً للنصارى، يعظمونه، وينحرون عنده، ويكلَّمون منه، فقال الحبران لتبع: إنما هو شيطان يفتنهم، فخلّ بيننا وبينه، فقال: شأنكما به، فاستخرجا منه، فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسودَ، فذبحاه، ثم هدما ذلك البيت[941].

وقد روى النويري قصة إسلام عبد الله بن أبي ذياب، التي تثبت أن الكلب من الجن، إذ كان عاثر الحظ في الصيد، فشكا أمره إلى صنم يدعى فراض، قائلا: [942] (الرجز)

فَرّاضُ أشْكُو نَكَدَ الجَوارِحْ   مِنْ طَائرٍ ذي مِخْ ْلَبٍ ونَابحْ

وأنتَ لِلأَمْرِ الشَّديدِ الفادحْ   فَافْتحْ فَقَدْ اسْهَلَتِ المفاتحْ

فأجابه الصنم فراض: (الرجز)

دُوَنك كلباً جَارِحا مُباركاً   أعِدْ للوحش سلاحاً شابكاً

يَفرِ حُزونَ الأرضِ والدَّكَادِكَا [943]

ولما عاد إلى بيته، وجد كلب صيد، فخرج به ليصطاد، فإذا به يصيد كل حيوان أو طير يراه، فصلح حاله، فنزل عنده ضيف كان قد زار رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، وسمع منه القرآن، فحدث الضيف عبد الله بما سمع من الرسول، وكان الكلب الذي سماه صاحبه حيّاضا ينصت للحديث، فخرج في اليوم التالي للصيد، إلا أنّ الكلب أحجم عن الصيد، فقال عبد الله مخاطباً إياه:

أَلا ما بِحيَّاضٍ يَحيدُ كأنَّما   رَأَى الصيدَ مَمْنوعاً بِزُرْق اللَّهاذم[944] (الطويل)

فسمع هاتفا يقول: (الطويل)

---

940 – تأبط شراً: **ديوانه**، ص107.

941 – **السيرة النبوية**، 22/1، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 298/1.

942 – **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 151/18–154، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 25/2–28.

943 – الدكادك : جمع دكدك. وهو من الرمل ما تكبس بالأرض والتبد بها، شابك: أي ناشب، عن النويري في الحاشية أسفل النص) 151/18–154.

944 – اللهذم: القاطع من الأسنة، والساجور: خشبة تعلق في عنق الكلب، حاشية نص محقق نهاية الأرب، 152/18.

يحيد لأمرٍ لو بدا لَكَ عينُ َهُ لكُنتَ صَفُوحاً عاذِلاً غيرَ لائِم

وعاد عبد الله من الصيد خالي اليدين، فإذا بشخصين، خلفهما عبدٌ أسود يقود كلبا، فأشار أحدهما إلى حيّاض "الكلب" قائلا: (الرجز)

وَيْلك يا حيّاضُ لِمْ تَصدُ اخْنِس وجِدْ عمّا حَوَتْه البِيدُ
الله أعلى وَلَهُ التوحيدُ وعبدُهُ محمدُ السَّديدُ
سُحقا لفرّاضٍ ومَا يكيدُ قد ظلّ لا يُبْدي ولا يُعيدُ

فخاف عبد الله، وظهر الذل على الكلب، فلم يرفع رأسه، وبينما عبد الله يتقلب في فراشه ليلا، فإذا بالكلب الأسود الذي رأه مع العبد الأسود، يقول لـِ " حيّاض" "الكلب" إنّ "العفريتين" الشخصين اللذين رأهما عبد الله عندما كان عائداً من الصيد، قد أسلما، وقد عهد إليهما بتعذيب شياطين الأوثان، وأنه سيرحل إلى جزائر الهند، واتفقا معاً على الذهاب هناك[945].

تدل أحداث القصة على أنها وضعت في صدر الإسلام، وعلى الرغم من ذلك؛ فإنها تكشف عن اعتقاد العرب قبل الإسلام، بأن الكلب الأسود من الجن، فهي تتضمن إشارات أسطورية كثيرة، لأنه لجأ إلى الصنم فرّاض، في وقت الضيق والشدة، وهذا ما اعتادت عليه العرب، وسمع هاتفا من جوف الصنم يُخْبِرُه باستجابته لطلبه، إذ كانت العرب تؤمن بالهواتف، ونلاحظ التجانس بين اسمي الصنم والكلب، فراض وحياض، وهو تجانس لا يقتصر دوره على الإثارة والتشويق في القصة؛ وإنما يشير إلى العلاقة الوظيفية بين الصنم والكلب، على اعتبار أن الكلب هو شيطان الصنم، كما بدا في الحديث الذي دار بين الكلب الأسود وحيّاض، وتظهر القصة مطايا الجن، فالشخصان اللذان لاقيا عبد الله، وهو عائد من الصيد، كانا يركبان حماراً وحشياً، وهو من مطايا الجن، إضافة إلى " أن لون الكلب-خلاسي- وهو ما كانت أمه سوداء وأبوه أبيض، يحيلنا إلى لون الحية التي كانت تحرس أملاك الكعبة، وإلى لون العقاب الذي اختطفها ".[946]

---

[945] – **نهاية الأرب**، 151/18–153، وما بعدها.

[946] – **أخبار مكة**، 158/1–159، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 320/1–321.

وتبدو صورة الكلاب قريبة من صورة الجن؛ لما تجمعه من صفات اللؤم، والبطش والقوة، وذلك في وصف امرئ القيس لها، إذ وصفها وصفاً دقيقاً، حتى برز لونها أزرق، وعيونها حمراء، تشبه نُوار العضرس، فقد جمعت بين اللونين الأزرق والأحمر، تلك الألوان التي تشير إلى التشاؤم، يقول: [947] (الطويل)

مُغَرثةً زُرقاً كأنّ عيونَها من الذَّمر والإيحاءِ نُوّارُ عُضْرس [948]

وهذا يؤكد ارتباط اللون الأزرق بالغول والجن، والقوى السلبية في الأرض [949] .

ويؤكد علاقة الجن بالكلب، اعتقاد العرب أن الكلب داء شبيه بالجنون، على حد معنى قول النابغة الجعدي: [950] (الرمل)

كَلْباً مِنْ حِسَّ ما قَدْ مَسّهُ وأفانينُ فؤادٍ مُحْتَمِل [951]

ونلاحظ في علاج هذا المرض، ما يدلّ على إيمان الجاهليين بذلك، ويجسد ذلك قول المثقب العبدي: [952] (الرمل)

باحِريُّ الدَّمِ مُرٌّ طَعْمُهُ يُبْرئُ الكَلَبَ إذا عضَّ وَهَرّ [953]

ولولا علاقة الجن بالكلب لما كانت هذه المعتقدات.

---

947 – امرؤ القيس: **ديوانه**، ص88.

948 – مُغَرّثة: مجوعة، الذمر: الإغراء، الإيحاء: الصيد بحالات خفية، العضرس: نبات له لون أحمر.

949 عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص164.

950 – النابغة الجعدي: **ديوانه**، جمعه وشرحه وحققه، واضح العمد– ط1– دار صادر، بيروت 1998م، ص116، وقد ورد البيت في الحيوان 8/2، (مُخْتَبل) بدل (محتمل).

951 – أفانين: ضروب، محتمل: مستخف، مستهتر، أحسّ بالعرق يمس جلده شهوة العدو ما يشبه الجنون.

952 – المثقب العبدي: **شرح ديوانه**: تحقيق حسن حمد– ط1– دار صادر، بيروت، 1996م، ص88، شيخو، لويس: شعراء النصرانية في الجاهلية، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، 1926، 404/2.

953 – باحريّ: دم بحريٌّ: فاقع الحُمرة، هَرْ: صوّت من قلة صبره على البرد.

المبحث الثالث

الجن والإبل

أضفت مخيلة الجاهليين على الإبل طابعاً أسطورياً، فزعموا أنّ فيها عِرقا " من سفاد الجن" [954] وأنها خلقت من "أعنان الشياطين" [955]، فقد ورد أن الرسول "صلى الله عليه وسلمَ "نهى عن الصلاة في أعطان الإبل" [956]، وزعموا أنّ " الإبل الحوشية منسوبة إلى الحوش، وهي التي ضربت فيها فحول إبل الجن، وأن من نسل إبل الجن الإبل الحوشية" [957]، ويؤكد الدميري هذه المزاعم بقوله" ومنها إبل وحشية، تسمى إبل الوحشِ، ويقولون إنها من بقايا إبل عاد وثمود، ومن لقب الإبل العيس، وهي الشريرة الصلبة، ومنها الشملال وهي الخفيفة، واليَعْمَلة وهي التي تعمل، والوجناء وهي الشريرة" [958]، وتلتقي هذه الصفات مع ما عرف عن الجن، فلا بد إذن من أن يكون بينها صلة قرابة ونسب، ويبدو ذلك في قول محمد عبد المعيد خان " لم تكن السباع وحدها من الجن، بل كانت الإبل أيضاً، ولو أنها ليست من الحيونات المخيفة" [959]، وقد جاء ذلك على لسان أبي العالمية، وذلك قوله: "إن من الإبل ما كان أولها من الجن" [960].

فالحوشية من الإبل، إذن هي التي ضربت فيها فحول إبل الجن، والعيدية [961]، والمهرية [962]، والعسجدية [963]، والعمانية ضربت فيها الحوش [964] "، وفي ذلك يقول ابن هريم: [965]

---

[954] – **الحيوان**، 152/1

[955] – المصدر نفسه، 297/1، 223/6.، أعنان : جوانب ، نواحي

[956] – **الحيوان**، 297/1.

[957] – المصدر نفسه، 216/6.

[958] – **حياة الحيوان الكبرى**،14/1، شاكر، شاكر هادي: الحيوان في الأدب العربي– ط1–مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1985، 35/1.

[959] – **الأساطير العربية قبل الإسلام**، ص76.

[960] – **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 528/1.

[961] – العيدية: نسبة إلى العيد، وهم حي من أحياء العرب أو فحل منجب أو منسوبة إلى عاد بن عاد، وفي الأصل العبدية.

[962] – المهرية: نسبة إلى مهرة بن ميدان أبو قبيلة، بفتح الميم.

[963] – العسجدية: نسبة إلى فحل كريم، يقال له عسجد.

كأنّي علَىْ حُوْشيَّةٍ أو نعامةٍ لها نَسَبٌ في الطيرِ وهو ظَلَيمُ (الطويل)

وتتضح العلاقة بين الإبل والجن، أكثر من خلال إطلاق الجاهليين على الإبل الشريرة " النّفار " اسم الإبل " الجِنّة " معتقدين أن الجَنان قد رَكِبتها[966]، كما وصفوا إبلهم بالجنون، أو أنّ طائفاً من الجن ألمّ بها، ويبدوذلك في قول الأعشى: [967] (الطويل)

وخَرْقٍ مخوفٍ قد قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ، إذا خـَبَّ آلٌ فوقَه يَتَرقْرق

وتُصْبحُ مِنْ غِبِّ السُّرى وَكَأنّما ألمّ بِها مِنْ طَائفِ الجِنَّ أَوْلَقُ[968]

ولا بد من الإشارة إلى اعتقادهم بقرابة الإبل من الحيّات، إذ زعموا أن الحية كانت في صورة جمل فمُسِخَت[969]، وبما أن هناك علاقة قوية بين الجن والحية، فلا بد إذن أن تكون العلاقة بين الجن والإبل أقوى، قال عدي بن زيد في مسخ الحية: [970]

فَكَانَتْ الحيّةُ الرَّقْشاءُ إذْ خُلِقَتْ كَمَا ترى نَاقةً في الخَلْقِ أَوْ جَمَلاً (البسيط)

ولو استعرضنا الشعر الجاهلي لوجدنا أن الشعراء " أطلقوا على الناقة أسماء لها علاقة بحيوانات ومخلوقات وهمية، "كالسعالي والعفاريت والغيلان والدواهي"[971]؛ كما تردد في أشعارهم ذكر الناقة العنتريس وهي الداهية، والعترس، وهو الذكر من الغيلان، والداهية أيضاً[972]، والناقةالعفرناة من العفرية، وهي الداهية[973]، والناقة العيسجور، وهي السعلاة[974]، ومن معنى الداهية

---

964 – **الحيوان**، 216/6.

965 – المصدر نفسه، 217/6، مروج الذهب، (دار الكتب العلمية)، 145/2.

966 – أبو سويلم، أنور عليان: **الإبل في الشعر الجاهلي**" دراسة في ضوء علم المثيولوجيا والنقد"– ط1– دار العلوم للطباعة والنشر، 1403هـ–1983م، 248/1.

967 – الأعشى: **ديوانه**، ص118.

968 – الأولق: الجنون.

969 – **الحيوان**، 297/1، 197/4.

970– عدي بن زيد العبادي: **ديوانه**، تحقيق محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، د.ت، ص159.

971 – عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، مكتبة الأقصى، عمان، 1976م، ص74، و الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، ص248.

972 – **الحيوان في الأدب العربي**، 35/1.

سموّا نوقهم بالقرطوس، والدرخمين[975]، فقد قال عبيد بن الأبرص واصفا ناقته: [976]
(الخفيف)

عِنتْرِيسٌ كَأنَّها ذُو وشُومِ أحرْجَتْهُ بالجَوّ إحْدى اللَّيالي

وهذا الأعشى، يذكر الناقة العفرناة في شعره، فيقول: [977] (البسيط)

كلفت مجهولها نفسي وشايعني همـيّ عليها، إذا ما آلهُا لَمَعا

بذات لوثٍ عَفْرناةٍ إذا عَثَرتْ، فالتَّعْسَ أَدْنَى لَهْا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعا

ويصور طرفة بن العبد تلاعب زمام ناقته، إذ تتلوى كما تتلوى حية الشيطان في الأرض، بقوله:[978] (الطويل)

تُلاعِبُ مَثْنَىً حضْرَميَّ كأنَّهُ تَعَمُّجُ شَيْطانٍ بذِي خِرْوِعٍ قَفْرِ[979]

وقد كان حسان بن ثابت حريصاً على تحقيق وجوده، ومقاومة الفناء بواسطة ناقته، فيصفها بالسرعة والنشاط، بقوله: [980] (المتقارب)

وداوية سَبْسَبٍ سَمْلَقٍ مِنَ البيْد تَعْزِفُ جِنّانُها[981]

قَطَعْتُ بِعْيَرانَةٍ كالفَنْيَـ قِ يمْرَحُ في الآلِ شيطانُها[982]

---

973 - **الإبل في الشعر الجاهلي،** 248/1، وقد جاء في الحديث الشريف: "**إن الله تعالى يبغض العفرية النفرية وهو الداهي الخبيث الشرير**"، النهاية في غريب الحديث، مادة (عفرَ)، 262/2.

974– **الإبل في الشعر الجاهلي،** 248/1.

975 – المرجع نفسه، 248/1.

976 – عبيد بن الأبرص: **ديوانه،** ص116.

977 – الأعشى: **ديوانه،** ص106–107.

978 – طرفة بن العبد: **ديوانه،** تحقيق رحاب خضر عكاوي– ط1– دار الفكر العربي، بيروت، 1993م، ص156.

979 – التعمج: الاعوجاج في السير، تعمجّت الحية: إذ تلوّت.

980 – **الحيوان،** 6/ 184، البيتان لم يردا في ديوانه.

981 – الداوية: الفلاة البعيدة الأطراف المستوية، السبسب: القفر البعيدة، السَمْلَق: المستوية الجرداء.

982 – العيرانة: الناجية في نشاطها، الفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان؛ لكرامته الذي نعم وسمن، الحيوان في الأدب العربي، 37/1.

فالناقة تبدو وسيلة انتشال الشاعر من همومه وأحزانه، وحمايته من مخاطر الحياة.ويتكرر المشهد إيّاه عند ضابئ بن الحارث، إذ يقول: [983] (الطويل)

قطعتُ إلى مَعْرُوفها مُنْكَراتِها	إذا البيدُ همّت بالضُحى أن تَغَوّلا
بأدماءَ حرجوجٍ كَأنَّ بِدفَّها	تَهَاويلَ هرٍّ أو تهاويلَ أَخْيلا[984]
كأنّ بِهَا شيطانةً مِنْ نَجَائها	إذا واكِفُ الذِّفْرى على اللّيث شلشلا[985]
وتُصْبُح عَنْ غِبّ السُّرى وكأنّها	فَنِيقٌ تناهى عن رِحَال فَأَرْقَلا

فالشاعر يصور فلاة مقفرة مضللة، ويفتخر بأنه تجاوزها بناقة نشيطة قوية مسرعة، كأنّه أصابها مس من الشيطان فمنحها الخفة.

ويقرن امرؤ القيس ناقته المتميزة، المتفوقة في النشاط والسرعة بعبقر الذي ينسب إليه، كل ما تفوق على أبناء جنسه، فيقول: [986] (الطويل)

كأنَّ صليلَ المَرْوِ حِينَ تَشُدُّه	صليلُ زُيوفٍ يُنْتَقَدْن بِعَبْقرا [987]

ولن يأبه الجاهلي من أن يشرك ناقته في أساطيره ومعتقداته، فهي في رأيه"تماثيلها تشفي من الجنون، وسنامها يشفي من العشاء، والصياح في آذانها، يهدي من بعد ضلال"[988]، لذلك كانوا إذا أصاب أحدهم العشاء، عمد إلى سنام ناقته فقطع منه قطعة ، ومن الكبد قطعة فقلاهما، وقال عند

كل لقمة يأكلها، بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته : [989] (مجزوء الرجز)

---

983 – **الأصمعيات**، ص181

984 – أدماء: ناقة بيضاء، الحرجوج: الجسيمة الطويلة على وجه الأرض، الأخيل: طائر يتشاءمون به.

985 – الذفرى: الموضع الذي يعرق منه البعير، خلف الأذن، شلشلت: أي قطرته متتابعاً.

986 – امرؤ القيس: **ديوانه**، ص 63.

987 – صليل المرو : صوت الحجارة ، الزيوف: الدراهم الزائفة لا فضة فيها.

988 – **الإبل في الشعر الجاهلي**، ص240.

989 – **بلوغ الأرب**، 340/2، **الإبل في الشعر الجاهلي**، ص241، **المفصل في تاريخ العرب**، 810/6.

فيا سناماً وَكَـبِدَ ألاَ اذهبا بالهُدبد

ليس شفاء الهُدبد   إلاّ السـنام والكَبدْ

فيزعمون أنه يذهب العشاء، أما بالنسبة لتماثيلها، فقد ذكرنا في باب الوقاية من الجن ما كانوا يفعلونه، إذا طالت علة المريض، وظنوا أن به مساً من الجن[990].وقد أشرنا إلى ما كان يفعله من يضل في الصحراء[991].

ومن معتقدات الجاهليين ذات العلاقة بالجن والناقة التي أصبحت أمثالا ترسِّخُ مفاهيمَ ذاتَ دلالاتٍ اجتماعيةٍ في معالجة شؤون الحياة التي يحياها الأفراد، قولهم " كذي العُر يكوى غَيره وَهْوَ راتعُ[992]"،وقد سجل النابغة ذلك في قوله: [993]   (الطويل)

لَكَلّفتَنَي ذَنْبَ امرئٍ وَتَرَكْتَه،   كَذي العُرّ يُكْوى غيرُه وَهُوَ رَاتِعُ[994]

وقد رد بعض الشراح هذا الاعتقاد إلى كونه طقساً رمزياً، يشعرون بجدواه، وأنهم يلحقون منفعة حقيقية في الإبل المريضة، بكيّ البعير الصحيح عن طريق السحر.[995]

ومما يشير إلى علاقة الناقة بالشياطين، ويؤكد اعتقادهم بأن قوى خفية تكمن فيها " أن الجاهليين اعتبروها باعثا من بواعث نظم الشعر، كما ألهب البقر شعراء الهند في عصر الفيدا "[996]؛ وذلك لإدراكهم أثر الإبل في حياة العرب، وشعرهم، كما استعاروا من فكرة الإبل فكرة الإبداع في الشعر؛ فسموا الشعراء المجيدين باسم الفحول[997]، مما يوثق العلاقة بفحول الإبل.

---

990 – ينظر، **بلوغ الأرب**، 359/2.

991 – ينظر، **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**، ص20.

992 – الميداني: **مجمع الأمثال** ، 184/2.

993 – النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص 126.

994 – العُر: قروح تخرج في عنق الفصيل، فإذا أرادوا أن يعالجوه كووا بعيراً سالماً لكي لا يمتد إليه المرض.

995 – الإبل في الشعر االجاهلي، ص242، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص189.

996 – بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار– ط4– دار المعارف، مصر ، 1977م، 56/1.

997 – ناصف، مصطفى: قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت) ص97.

ولا بد في معرض الحديث عن الجن والإبل، من الإشارة إلى أن الجمل كان من مطايا الجن، فقد ورد "أن العرب تذكر راكبا على جمل في قدر إنسان، وفد عليهم بسوق عكاظ، ونادى ألا من يهبني ثمانين بكرة هجانا، وأومأ، فلم يجبه أحد، فلما رأى ذلك، ضرب جَمَلَهُ، وطار بين السماء والأرض، فقالوا إنه جنٌّ راكبٌ على جمل.[998]

ونخلص من ذلك إلى أن الناقة كانت حيواناً أسطورياً، يلجأ إليه الشعراء في التعبير عن قوى الشر الغامضة المسّلطة على الإنسان أوقوى الموت.

998 – **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 34/1

المبحث الرابع

الجن والخيل

لعبت الخيل دوراً مهماً في حياة الإنسان القديم، إذ كانت الركيزة الكبرى في حياته، سلماً وحرباً، كما كانت رمزاً من رموز الشمس الإلهة، والربة "ذات حميم"، لذلك اقترنت بصورة المرأة، فكان الحصان أو صورته يقدم قربانا لها[999]، لذلك أقبل الشعراء عليها، ووصفوها بجمالها وسرعتها، لمشاركتها في المواقع والمعارك.

وإن كنا لا نقف على شعر جاهلي يبين صلة الجن بالخيل، أو يشير إلى أن الخيل كانت من مطايا الجن، فإننا لا بد أن نشير إلى أن الشاعر الجاهلي استمد صورته من عالم اللامحسوس، ومن تلك الكائنات الغيبية؛ إذ ترتبط الطرق التعبيرية والتصويرية في الشعر الجاهلي، إلى حد بعيد بالمعتقدات، والموروثات الدينية القديمة، إذ صور الشعراء خيولهم بصور شتى، لها قدسيتها وأهميتها، في ضمير الفرد والجماعة، فكانت معاني متداخلة، وصوراً متناسقة منسوجة من ضمير الشاعر، وإحساسه الفني المرهف الذي عكس عليه وجدان البيئة الجاهلية.[1000]

وفعلاً قدّر الإنسان الجاهلي الخيل، وقرنها بالخير، وقدمها على عياله، وقد يكون هذا هو الدافع الذي دفعه إلى أن يعلق عليها التمائم والخرز، منعا للأرواح الشريرة، فهذا علقمة بن العبد، يقول في دفع العين عن فرسه: [1001] (الطويل)

بِمُنْجَـرَدٍ قَيْـدِ الأَوابـدِ لاَحَـهُ ... طِرادُ الهَوادي كلَّ شأوٍ مُغرّبِ [1002]

بِغَـوجٍ لِبانُـه يُـتَمُّ بريمُـهُ ... على نْ◌َفثِ راقٍ خَشيةَ العينِ

---

[999] – الحسين، قصي: **انتربولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام**،-ط1- الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1413هـ- 1993م، ص260.

[1000] – أبو يحيى، أحمد إسماعيل: الخيل في قصائد الجاهليين والإسلاميين- ط1- راجعه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، 1417هـ- 1997م، ص132.

[1001] – علقمة بن عبدة: **ديوانه**، شرحه وعلق عليه وقدم له سعيد نسيب مكارم- ط1- دار صادر، بيروت، 1996،ص 13-14

[1002] – منجرد : فرس قصير شعر. الهوادي: أوائل الوحوش، الشأو: الغاية.

كُمَيّتٍ كَلَونِ الأُرجوانِ نَشْرْتَه   مُجلَب[1003]
لِبيع الرَّداءِ في الصُّوانِ المُكَعَّبِ[1004]

فالشاعر يصف فرسه، وقد وضع حول عنقه خيطا فيه خرزة؛ دفعاً للعين.

وإذا حاولنا استقراء الأشعار الجاهلية، التي تشير إلى علاقة الخيل بتلك الكائنات، وجدنا أن تعلق الشعراء بالفرس، وقربهم منها؛ دفعهم إلى تصويرها بتلك الكائنات الغيبية، وذلك ليبالغوا في تصويرها، وينقلوا المخاطب إلى عالم اللامحسوس، من ذلك ما فعله المهلهل ابن ربيعة يعلن استعداده للثأر من قبيلة بكر، وأنه لن يهدأ حتى يشفي غليله منها، ويشبه خيول قبيلته بسعالٍ، تحمل الأسود من أبناء قبيلته؛ ليشيع الرهبة والخوف في نفوس خصومهم، إذ يقول مفتخراً بشجاعة قومه، واصفاً خيولهم: [1005]   (الخفيف)

سَعَالي يَحْملِنَ مِنْ تَغْلِبٍ   فِتْيَانَ صِدْقٍ كَليُوث الطَّريق

وتتكرر الصورة عند امرئ القيس بن عمرو بن الحارث في مجال الفخر بفرسان قبيلته، مشبّهاً خيولَهم بالسَّعالي والعِقْبان، بقوله: [1006]   (الطويل)

سَمْونَا لَهمُ بالَخْيلِ تَرْدَى كأنهّا   سَعَالٍ وَعِقْبانُ اللَّوى حِينَ تُرْكَبُ

وما ذاك إلاّ ليزيد من سرعتها، وخفة حركتها وقوتها. وتستخدم الخنساء الصورة إيّاها في مجال رثائها أخيها، وقد تذكرت صفاته، فتقول: [1007]

وَقَوّادُ خيَلٍ نَحو أُخْرى كأنَّها   سَعَالٍ وَعِقْبانٌ عَليها زَبَانِيهْ(الطويل)

[1003] – بغوج لبانه: جلد صدره واسع، يتم: يعلق عليه التمائم، بريم: الخيط الذي تعلق فيه الخرزة دفعاً للعين.

[1004] – الصوان: ثوب تصان فيه الثياب، المكعب: نوع الوشي.

[1005] – **جمهرة أشعار العرب**، ص210. امرؤ القيس: شرح ديوانه، مطبعة الاستقامة، ص285.

[1006] – الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى: **المؤتلف والمختلف**، تحقيق عبد الستار أحمد فرح، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1381هـ–1961م، ص7، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص255.

[1007] – الخنساء: **ديوانها**، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص108.

ويبدو أن الشعراء يلجأون إلى التشبيه المزدوج في المناسبات القتالية الشرسة التي تحتم على الشاعر ولوج الخوارق، فهي تصور الخيول بحيوانات خيالية، متمثلة في ضمير الناس ومعتقداتهم، وتضفي عليها صورة العقبان؛ لما تمتاز به هذه الطيور من الخفة والسرعة.

ولا عجب في ذلك، فقد بدت الفرس عند العرب من الحيوانات العلوية التي صوّرت بها الكواكب(1008)، لأنهم رفعوها عن المستوى الأرضي إلى السماوي.

ويعدُ عنترة من الشعراء الذين أكثروا من هذا التصوير؛ لأنه يؤمن بالأوهام والخرافات والأساطير، فقد شبه خيول قبيلته بالأغوال، لما لها من أثر في نفسية الجاهلي ومشاعره، وذلك بقوله:(1009)

أُمَارِسُ خَيْلاً للّهَجيمِ كَأنَّها سَعَال بأَيْديها الوشَيجِ المُقَوَّم(الطويل)

ويقول مفتخراً بقومه: (1010) (الكامل)

إنّا إذا حَمِسَ الوَغى نَرْوي القَنا ونَعُفُّ عنْدَ تَقَاسُم الأنْفَال

نأتي الصَّريخَ على جيادٍ ضُمَّرٍ خُمْصِ البطونِ كأنّهنّ سَعالي

نلاحظ أنه يركز على صفة الضمور الشديد؛ ليدلل على سرعة جياده، ويكرر الصورة مفتخراً بنفسه، واصفاً خيول الأعداء، بقوله: (1011) (الوافر)

سَلي يا عَبْلَ عمْراً عَنْ فِعَالي بأعداكِ الأُلىَ طَلَبوا قتالي

أتوْناَ في الظَّلام على جَيِادٍ مُضَمّرةِ الخَواصِرِ كالسَّعالي

1008 – **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص140.

1009 – أمين، فوزي محمد: **عنترة بن شداد العبسي** –ط1– دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، 2004م، ص115.

1010 – عنتره بن شداد: **ديوانه،** ص75.

1011 –المصدر نفسه، ص129.

واللافت للنظر، أن معظم التشبيهات الخيلية، تدور في غالب الأحيان على الأشياء التي تخيف، وتنبعث من نفوس مليئة بالأوهام والأساطير الخرافية، تعود إلى ما علق في أذهان الناس، من قدرة السّعالي على التلون، والتشكل والتنقل.

وتأتي الصورة في مجال المدح، عند الأعشى الذي يمدح إياس بن قبيصة، من خلال تصويره جيادهم بالسعالي في حدة حوافرها وقوتها، لدرجة أنها تكسّر الحجارة الصلبة، صورة توحي بالسرعة، وذلك بقوله: [1012] (الوافر)

إذا مَـا سَـارَ نَحْـوَ بـلادِ قَـوْمٍ   أَزَارَهُــمُ المنيَّــة والحِمَامَــا

َتروحُ جِيادهُ مِثْلَ السَّعالي   حوافرُهُنّ تَهْتَضِمُ السَّلاما

وقد تطرق إلى هذا المعنى عبيد بن الأبرص في قوله: [1013] (رمل مرفل)

نَحنُ قُدْنا مِنْ أهاضيبِ المَلا الـ   خَيْلَ في الأرْسَانِ أمثالَ السَّعالي [1014]

يفتخر الشاعر بقومه وخيولهم، ويشبهها بالسعالي في سرعة الانقياد والطاعة. ويستخدم التصوير نفسه في مجال وصف الديار، وما حلّ بها بعد رحيل أهلها، ثم يعود للفخر، بقوله: [1015]

أَوحْشَتْ بَعدَ ضُمَّرٍ كالسَّعالي   من بَناتِ الوَجِيهِ أَوْ حَلاّب [1016] (الخفيف)

ويقول لبيد بن ربيعة في ذلك: [1017] (الطويل)

َعَلَيْهُن ولْدانُ الرَّهانِ كَأَنَّها   سعَالٍ وَعقْبانٌ عليها الرَّحائلُ

[1012]– الأعشى: **ديوانه**، ص 193.

[1013] – عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، ص121

[1014] – الأرسان: الحبل الذي تقاد به الدابة، الأهاضيب، الجبال المنبسطة،الملا: الصحراء.

[1015] –عبيد بن الابرص: **ديوانه**، ص41.

[1016] – الوجيه وحلاب: فرسان من عتاق الخيل، الضمّر: الخيول المضمرة.

[1017] –لبيد بن ربيعة: **ديوانه** ، ص146

وتتكرر الصورة عند عمرو بن الأيهم التغلبي، بقوله: (1018) (الخفيف)

وتراهُنّ شُزَّبا كالسّعالي يَتَطُلعنَ مِنْ ثُغُورِ االنقابِ(1019)

وعند دريد بن الصمة الذي يدعو قومه لقتال الأعداء، فيجيبه منهم الشباب والشيب، ملبين الدعوة على جُرْدٍ كالسَّعالي، بقوله: (1020) (الوافر)

دَعْوتُ الحيَّ نَصْراً فاسْتَهلُّوا بِشُـــبّانٍ ذوي كَـــرَمٍ وَشِـــيْبِ
عَلى جُرْدٍ كأمْثَالِ السَّعالي وَرَجْـلٍ مثـلِ أهميَّـة الكثيِـبِ

ويقول عمرو بن شاس الأسدي: (1021) (الطويل)

وَأَفْـرَاسُنا مِثْلُ السَّعالي أصَابَها قِطارُ وَيلّتُها مُنَافَجَةُ شُمَّل(1022)

أما النابغة الجعدي فيقول: (1023) (الرمل)

جَاوَبَتْـــهُ حُصُـــنٌ مُمْســـكَةٌ أَرِنَاتٌ لَمْ يُلَوَّحْهَا الهَمَلْ (1024)
مِثْلَ عَزْفِ الجِنّ في صَلْصَلَةٍ، لَيْسَ في الأصْواتِ منْهُنَّ صَحَل

يصور صوت الخيل الذي يعبر عن النشاط والمرح بصوت عزيف الجن، وهي صورة ممزوجة بالتفاؤل الممزوج بالخوف.

1018 – القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم: **كتاب الأمالي** –ط2– مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1344هـ–1926م، 44/1.

1019 – النقاب: جمع نقب وهو الطريق. شزّباً: ضوامر

1020 – الأغاني، م5، 13/9، عبد الرحمن، عفيف، **الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي**–ط1– دار الأندلس للطباعة والنشر، الأردن 1981 م، ص 238.

1021 – عمرو بن شأس: **شعره** ، تحقيق يحيى الجبوري– ط2– دار القلم، الكويت، 1403هـ–1983م، ص69، الاسطورة في الشعر العربي، ص255.

1022 – النافجة: السحابة الكثيرة المطر.

1023– النابغة الجعدي: **ديوانه**، ص 115

1024 – الهمل: الكسل والإهمال، الأرن: المرح والنشاط، ممسكةَ : الجواد إذا كان محجل الرجل واليد للجهة اليسرى.

ويقول علقمة بن العبد مشبهاً فرسه بالحباب،وهو الشيطان والحية، بالسرعة وخفة الحركة :[1025] (الطويل)

وراحَ يُباري في الجِنَابِ قَلَوْصَنا عزيزًا علينا كالحُبَابِ المُسَّيب[1026]

يبدو أن تشابه صور الخيل، وتكرارها في الشعر الجاهلي يَنُّم عن إعجاب الشعراء الجاهليين بالسعالي، إذ أنه لم يجد الشاعر معادلاً لقوة فرسه إلاّ هذه الكائنات، فجاءت صوره، تعكس نفسيته، مما يوحي بالرهبة والقلق ، ويقرب المعاني، ويقرنها ببعض.

[1025]– علقمة بن عبدة: **ديوانه**، ص20.

[1026] – قَلوُصُنا: ناقتنا القوية الفتية، الحباب: الحية، وهو شيطان، لأنه يقال للحية شيطان، فالحُباب: اسم شيطان، المسيب: الحية المتدفقة في انسيابها، فقه اللغة وسرّ العربية، ص179.

المبحث الخامس

الجن والطير

يـأتي ارتبـاط الجـن بـالطير، مـن خـلال مـا يـرد عـن تشـكلات الجـن، فصـورة الطيـر مـن الصور التي تظهر بها الجن، فقد ورد "أن امرأة بالمدينة كان لها تابع من الجن، فجاءها مرة في صورة طائر أبيض، فوقع على حائط لهم، فقالت له: لم لا تنزل إلينا، فتحدثنا، ونحدّثك، وتخبرن، ونخبرك؟ فقال لها: " إنه قد بعث نبي بمكة، وحرّم الزنـا "[1027]، وقد أورد الشبلي عن وهب بن منبه والحسن البصري ما يشبه ذلك، وهو" أنهما كانا يصادفان في موسم الحج جاناً في صورة طائر، يجمع بين خصائص الهرِّ والطائر، فيقول وهب "إنه قعد معه وناوله يده، فمدّها، فإذا هي مثل برثن الهرَّ، وعليها وبْرٌ، ثم مدّ يده حتى بلغت منكبيه، فإذا مرجع جناح" [1028].

وقد اعتقد الجاهليون بقدرة الطيور على استشراف الغيب؛ وما ذاك إلاّ لما لها من قدرة على الطيران، والتحليق في السماء، ولعلاقتها بالجن، وبعالم الأرواح، فهي بمنزلة الشيطان الذي يسترق السمع، ويأتي بأخبار السماء، فالطائر بجناحيه، وبقدرته على الصعود والنزول كان مؤهلاً، ليكون واسطة بين العالمين العلوي والسفلي، شأن الغراب، دليل نوح، ودليل عبد المطلب على موضع زمزم، وشأن حمامة نوح، وهدهد سليمان[1029]، ويبدو ذلك في قول كعب بن زهير:[1030] يا لَيْتَ شعري وَليتَ الطَّيرَ تُخْبرني أمْثلِ عِشْقي يُلاقي كلُّ مَنْ عِشقَا (البسيط)

وقد وردت حكايات كثيرة، يُستدل منها، على أن بعض الطيور تعد من مطايا الجن، من ذلك ما حدّثه أحد الأعراب عن النعامة، قال: "لقيت رجلاً في بعض المفاوز راكباً على نعامة، وعيناه مشقوقتان بطول وجهه، فأخذتني منه روعة ثم استوقفته، فقلت له: أتروي شيئا من الشعر؟ قال

[1027] – **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، ص159، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 30/2.

[1028] – المرجع نفسه، ص97.

[1029] – المرجع نفسه، 190/2.

[1030] – كعب بن زهير: **ديوانه**، ص59.

نعم، وأقرضه، وأنشدني:[1031] (الـــــــــــوافر)

أَتارِكَةٌ تحيَّتَها قَطَامِ وَضِنًّا بالتَّحيَّةِ والسَّلامِ [1032]

حتى أتى على آخرها، فقلت هيهات، سبقك إليها أخو بني ذبيان. فقال: أنا والله يا أخي نطقت بها، على لسانه بسوق عكاظ، وكنت قلتها قبل ذلك بأربعمائة عام".[1033]

ونجد فيما قاله ابن هُرَيَمْ ما يؤكد ذلك، إذْ جَمع بينَ ناقته الحوشية التي نسبها إلى الجن وبين النعامة والطيرّ، فيقول: [1034] (الطويل)

كأنَّي عَلي حُوْشيَّةٍ أو نعامةٍ لها نَسبٌ في الجَوَّ وَهُوَ ظَلِيْمُ

ويتجلى في قصة المثل "الحمّى أضرعتني لك ، أو للنوم" [1035]، ما يشير إلى أن الظليم ذكر النعامة من مطايا الجن، 'إذْ جاء الجِنِّيُّ مُطالباً بثأره من مرير الذي قتله ثاراً لأخويه، فأنشأ يقول : [1036]

يا أيّها الرَّامي الظَّليمَ الأَسودَ تَبَّتْ مَرَامِيكَ التي لَمْ تُرْشد

فأجابه مرير: يا أيُّها الهاتِفُ فوقَ الصَّخْرَةِ كَمْ عَبْرةٍ هَيجَّتها وَعَبرْة

بقتلكم مرارة ومُرّة فَرّقتَ جمعاً وتركْتَ حَسْرة

ويؤكد تلك العلاقة، ما ورد من صلة في الدلالة اللغوية بين الاسم (نعمة) أو الجنية (نعمة) التي تشارك الليليث في خنق الأطفال الحديثي الولادة، والإضرار بهم، وبين طائر النعامة التي يضرب به المثل، في تخلي أنثاه عن بيضها، وأولادها عند رؤيتها الطعام، كما أن اسم (نعمة)

1031 – النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص171.

1032 – قطام: اسم حبيبة الشاعر، الضن: البخل.

1033 – **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، ص227–228.

1034 – **الحيوان**، 217/6، يرويه لابن هريم، يرويه المسعودي له، مروج الذهب، (دار الكتب العلمية)، 154/2، التشكيل الخرافي في شعرنا القديم، ص202، يرويه أحمد كمال زكي لزهير، مع أ نه ليس في ديوانه، وبرواية (أو هي طائر)،أمّا الحموي فيرويه بلا نسب، معجم البلدان، 393/8.

1035 – **مجمع الأمثال**، 255/1–256.

1036 – المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

كـان مـن ألقـاب آلهـة الجـنس "عشـترت" [1037]. وقـد ولـدت هـذه المـزاعم لـدى الإنسـان الجـاهلي اعتقادات نفسية كثيرة، لها علاقـة بـالطير، منهـا الطِّيـرَة والعيافـة والزجـر، وكلهـا عـادات لا يمكـن فصلها عن عالم الغيبيات، أو القوى الخفية التي كانت في نظر العربي وراء كلّ مكروه[1038]، فقد سيطرت هذه العلاقة على أذهان الشعراء، فراحوا يتحدثون عنها، بآراء مختلفة، من ذلك ما قالـه لبيد بن ربيعة ينكر تلك المعتقدات: [1039]

(الطويل)

لَعَمْرُك ما تَدري الضَوارِبُ بالحَصَى ولا زاجرتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ

وما قاله طرفة بن العبد في ذلك: [1040] (الطويل)

ولا يَمْنعنكَ الطيرُ مما أردتَهُ فقد خُطَّ في الألواحِ ما كُنْتَ لاقيا

ولا يخفى أن إنكار الشيء، يدل على وجوده، إذ لو لم تكن هذه الاعتقادات موجودة، لما اضطر الشعراء إلى نفيها.

ومن الشعراء الذين اشتهروا بـالزجر والعيافـة، أبـو ذؤيـب الهـذلي الـذي جمـع بينهـا فـي بيـت واحـد [1041]: (الطويل)

زَجَرْتُ لها طيَر السَّنيح فان تُصبْ هواكَ الذي تَهْوى يُصبْكَ اجتنابها

ويقرّ الشنفري بما تحمله الطير من مفاجآت، بقوله: [1042] (الطويل)

فَلَوْ نَبَّأَتْني الطيرُ أو كنتُ شاهداً لآساكَ في البَلَوى أخُ لَكَ ناصِرُ

1037 – **الحيوان**، 198/1، **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير**، ص136.

1038 – **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص204.

1039 – لبيد بن ربيعة: **ديوانه**، ص113.

1040 – البحتري: **ديوان الحماسة**، ص 197، لم أجده في ديوانه.

1041 – الهذليون: **الديوان**، 33/1.

1042 – الشنفرى: **ديوانه**، طلال حرب– ط1– دار صادر، بيروت، 1996، ص29.

وارتبط العُقاب عند أبي ذؤيب بالعيافة، إذ أورد في شعره قصيدةً، يصور فيها انقضاض عقاب أمامه، وما أوحى له انقضاضه، فقال لمن سأله من أصحابه: ما تعيف؟! فأجابه: إنه رأى طيراً، تبشر بالغنيمة، أو تخيف فساداً! فحدث ما توقعه، وقال: [1043] (الوافر)

فقال: لَقَدْ خَشيتُ وأنبأتني به العقبانُ لو أنّي أعيفُ

فلا بدّ أن يكون العقاب الذي أخبره، على علاقةٍ بمصدر غير مرئي.

ومن الطيور التي تشاءم بها العرب، وكرهوا إطلاق اسمها مخافة الزجر والطيرة، الغراب، فعنترة يشير إلى ذلك بقوله: [1044] (الكامل)

ظعَنَ الذينَ فُرَاقُهمْ أَتَوقَّعُ وَجَرَى بِبَيْنِهَمُ الغُرابُ الأسودُ

ويقول علقمة الفحل في ذلك: [1045] (البسيط)

وَمَن تَعرَّضَ للغِرْبانِ يَزْجُرُها عَلى سَلاَمتهِ لا بُدَّ مَشْؤومُ

أما الأعشى فيقول: [1046] (الرمل)

ما تعيفُ اليومَ في الطّيرِ الرَّوَحْ مِنْ غُرابِ البَيْنِ أو تَيْسٍ بَرَحْ

وما ذاك إلا لما وقر في أذهانهم، من أن الغراب يقوم بمهمة رسول إبليس، وقد يظهر الشيطان بصورة غراب.[1047]

ويبدو أثر الشياطين في ذلك؛ "إذ أنهم يتشاءمون بالبارح الذي يأتي من جهة اليسار؛ لأنها النافذة التي تطلُّ منها الشياطين" [1048]،إلاّ أن هناك من تشاءم بالسانح، أمثال زهير الذي يقول: [1049]

جَرَتْ سُنُحاً فقُلتُ لها: أَجِيزي نوىً مَشمولةً، فَمَتى اللقاء؟! (الوافر)

[1043] – **الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب** ، ص138–139.

[1044] – عنترة بن شداد: **ديوانه**، ص98.

[1045] – علقمة بن عبدة: **ديوانه**، ص 56.

[1046] – الأعشى: **ديوانه**، ص 38.

[1047] – الفولكلور ما هو؟ ص107.

[1048] – **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص201.

[1049] – زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، ص8.

وقد أنكر ربيعة بن مقروم الضبي تلك المعتقدات، بقوله: [1050] (المنسرح)

لا سانحٌ من سوانحِ الطيرِ يَثـ نيني ولا ناعِبٌ إذا نَعَبا

ويعدُ النسر من الطيور التي ارتبطت بالجن؛ فقد زعموا "أن الجنّ تتراءى لهم في صورة النسر" [1051] لذلك اتخذه الكهنة والعرافون في حضارة الرافدين القديمة أحد الفؤول التي تعينهم على التنبؤ بالغيب، كما أن الجن تسكن رؤوس الجبال، ولعل ذلك يوضح العلاقة بين النسر والجن، من خلال اتخاذه الجبل مسكناً له، وأكثر الشعراء دلالة على ذلك، ما جاء على لسان لبيد بن ربيعة في قصة لقمان مع النّسر إذ يقول: [1052] (الكامل)

ولقَد جَرى لُبَدٌ فأدركَ جَرْيَه رَيْبُ الزَّمانِ وكان غيرَ مُثقلِ

لما رأى لُبدٌ النّسورَ تَطَايَرَتْ رَفَعَ القَوادِمَ كالفَقيرِ الأَعْزَلِ[1053]

ولا بد من الإشارة إلى أنه كان للتطير صلة بعقيدة استحالة الأرواح طيوراً بعد مفارقتها الأجساد[1054]، إذ أن روح الميت تتحول إلى طائرٍ، يظلُّ هائماً بين الأحياءِ، متّخِذاً أسماءً عدة، حسب طبيعة تلك المعتقدات التي يظهر فيها، فكانت العرب تسمّيه (البومة، والصّدى، والهامة)[1055]، وكانت تقول إنّ عظام الموتى، تصير هامة فتطير، ثم تتوحش، وتصدح، فيشعرون أنها تتتبع أخبارهم، وتلقيها إلى قبر المتوفى، ليعلم حالهم من بعده[1056]، وفي ذلك ما يشير إلى العلاقة بين الروح والجن، إذ أن الأرواح نوعٌ من الجن، وهي التي تتعرض للصبيان.[1057]

[1050] – ربيعة بن مقروم الضبي: **ديوانه،** جمع وتحقيق تماضر عبد القادر فياض حرفوش–ط1– دار صادر، بيروت، 1990، ص22، البحتري: ديوان الحماسة، ص197.

[1051] – ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي،** ص403، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص207.

[1052] – لبيد بن ربيعة: **ديوانه،** ص171.

[1053] – غير مثقل: غير ثقيل لخفته في الطيران، الفقير: الذي كسرت فقرات ظهره، الأعزل: المائل الذنب.

[1054] – **المفصل في تاريخ العرب** ، 788/6.

[1055] – **الحيوان،** 298/2.

[1056] – **بلوغ الأرب،** 311/2.

[1057] – الشبلي: غرائب وعجائب الجن، ص25.

ويتفق هذا مع ما جاء في قصة الحضارة من "أن عبادة الأشباح تطورت حتى أصبحت عبادة للأسلاف، وبات الناس يخافون موتاهم جميعاً، ويعملون على استرضائهم؛ خشية أن ينزلوا لعناتهم على الأحياء، فيجلبوا لهم الشقاء"[1058]، ويجسد أمية بن أبي الصلت ذلك بقوله لأبنائه:

[1059] هامي تُخبّرني بما تستشعروا فتجنبّوا الشنعاءَ والمكروها (الكامل)

كما يشعرون أن بإمكانها إلحاق الخير والشر بهم، كما في طقس رمي البعْرة، وقد يكون لذلك علاقة بارتباط الطير بالمطر، والرعد الذي يعتبره البعض ناجماً عن حركة أجنحته المدويّة، من ذلك قول علقمة: [1060] (الطويل)

كَأَنَّهم صَابَتْ عَلَيْهُم سَحَابةٌ صَوَاعِقُها لطَيْرهِنَّ دَبيبُ

وذلك لأن الجاهليين كانوا يربطون المطر بتلك القوى الخفية، ويحاولون إرضاءها، والتذلل إليها بالتعاويذ السحرية؛ كي تزيل عنهم شبح الموت المرتبط بالمطر.

أما الصدى، فإنه وإن ارتبط بالهامة ارتباطاً وثيقاً، وتبادل المواقع معها، في الدلالة، إلا أن هناك من يقول إنّه الذكر من البوم، وهو طائرٌ يُصرُّ بالليل ويطير، وهو طائرٌ يخرج من رأس المقتول إذا بلي [1061]، وكلاهما يرتبط في الدلالة على "الصوت، والموت، والليل، والاختلاط، والجن"[1062]، بدليل ما ورد على لسان أسماء بن خارجة، وهو: [1063]

وبِه الصّدى والعزفُ تَحسبُهُ صَدحَ القيانِ عَزفنَ للشُّربِ (الكامل)

[1058] – قصة **الحضارة**، 109/1.

[1059] – المسعودي: **مروج الذهب**، 133/2.

[1060] – علقمة بن عبدة: **ديوانه**، ص29.

[1061] – **بلوغ الأرب**، 311/2.

[1062] – الديك، إحسان: الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث الإنسانية، م13، ع2، 1999م، ص634.

[1063] – **الأصمعيات**، ص50.

فقد جمع الشاعر بين الصدى وعزف الجن في وصفه الأرض المقفرة النائية،مما يؤكد علاقة الصدى به، وقد أكثر الشعراء من ذلك [1064]، كما أكد محمد عبد المعيد خان، "أن النفس التي كانت طائراً، أصبحت جناً من الجن الخيالية، وصارت من شياطين الشعراء"[1065].

ويبدو أن للبوم صفات سحرية وغيبية، بدليل ما قاله عبيد السلولي الذي جعلها تهتف، كما تهتف الجن وذلك: [1066] (الطويل)

وداويةٍ لا يأمنُ الركبُ جوزَها بها صارخاتُ الهامِ والبومُ تهتفُ

نلاحظ من الشواهد المتقدمة، أن هذه الكائنات ما هي إلاّ طيور، تتعامل مع الغيبيات التي تختفي خلف انسدال الليل، وفي الصحراء الموحشة التي تؤطر الخوف من المجهول، وهي طيور مرهوبة، تأتي مع الليل والمجهول الذي يخفي وراءه الشر.

1064 – ينظر، عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، ص51.

1065 – **الأساطير العربية قبل الإسلام**، ص74.

1066 – الغناضي، حاتم صالح: قصائد نادرة (منتهى الطلب من أشعار العرب)، **مؤسسة الرسالة**، جامعة بغداد، ص127.

المبحث السادس

الجن والحية

ارتبط مفهوم الجن بالحية، فقد اعتبر القدماء الحية بنت الجن، وجعلوها فصيلة مهمة من فصائله، ونوعاً بارزاً من أنواعه[1067]، وقال الدميري:" الجان حية بيضاء، وكذلك الحية الصغيرة"[1068]، وقال آخرون: "الجان: حية دقيقة ملساء، لا تضر أحداً، يضرب لونها إلى الصفرة، وأهل الحجاز يسمون الأيمَّ من الحيّاتِ جاناً، وبنو تميم تُسمي الأينَ جاناً"[1069]، وقد وردت في قول أبي كبير الهذلي: [1070] (الكامل)

وَلَقَد وَرَدتُ الماءَ لَمْ يَشرَبْ بِه بَين الرَّبيعِ إلى شُهور الصَّيَّفِ

إلا عواسلُ كالمِراطِ مُعِيْدةٌ بِاللَيّلِ مَوْرِدَ أَيَّم مُتغضَّفِ

وقول تأبط شرا: [1071] (البسيط)

يَسْري عَلى الأَيْنِ والحيّات مُحْتفِياً نَفْسي فداؤُك مِنْ سارٍ على ساقِ

ويؤكد ارتباط الجن بالحية، بعض الدلالات والرموز والأسماء المشتركة، منها: الحباب الذي يعد اسماً من أسماء الشيطان، ويطلق على الحية، بدليل ما ورد عن الرسول "عليه السلام": "لا تسموا الحبّاب، فإن الحبّاب شيطانُ"[1072]؛ ولما بينهما من تشابه في السرعة، وخفة الحركة، كما "أن السفيف اسم من أسماء إبليس،والسفُّ نوع من الحيّات يطير في الهواء" [1073]، فهذا المعطل الهذلي

[1067] – **المفصل في تاريخ العرب**، 27/5

[1068] – **حياة الحيوان الكبرى**، 168/1.

[1069] – **الحيوان في الأدب العربي**، 370/1–371.

[1070] الهذليون: **الديوان**، 105/2.

[1071] – تأبط شراً: **ديوانه**، ص48.

[1072] – **صحيح مسلم**، 276/3، فقه اللغة وسِّر العربية، ص179.

[1073] – **تاج العروس**، مادة (سفف)،فقة اللغة وسر العربية،ص180.

يقول في رثاء عمرو بن خويلد: [1074] (الطويل)

جَواداً إذا ما النَّاسُ قَلَّ جَوادُهُمْ وَسُفّاً إذا ما صَرَّح الموتُ أقْرَعَا [1075]

كما وحد العرب الجاهليون الأفعى بالشيطان، أو إبليس، حيث سَمُّوا الثعبان العظيم شيطاناً، واعتبروه من الجن [1076]. ويتجلى ارتباط الشيطان "إبليس" بالحية من خلال قصة خروج آدم وحواء من الجنة، إذ يرجع سبب خروجهما من الجنة إلى الحية، التي لعبت دوراً رئيساً في ذلك، وكانت حارسة الجنة وسيّدتها، فاستأذنها إبليس في الدخول إلى الجنة، فكان له ما أراد، وكانت حينئذ كاسية تمشي على أربع على شكل جمل، فعاقبها الله بأنْ أعراها، وجعلها تمشي على بطنها، وجعل رزقها في التراب، فقطع أرجلها، وقص سنامها.[1077] وقد سجل عدي بن زيد هذه الحادثة، وما ترتب عليها في شعره، فقال: [1078] (البسيط)

فكانــتِ الحيَّـةُ الرَّقْشَـاءُ إذْ خُلِقَـتْ كمـا تَـرى ناقـةً فـي الخَلْـق أو جَمَـلا

فَعَمَـدا للتَّـي عَـنْ أكْلِهـا نُهِيَـا بـأمْر حَـوّاء لـم تأخـذْ لـهُ الـدَّغلا

كلاهمـا خـاطَ إذ بُـزَّا لبوُسَـهما مـنْ وَرَق التَّـين ثوبـاً لـم يكُـن غُـزِلا

فلاطهَـا اللهُ إذ أغْـوَتْ خَليفَتَـهُ طُـولَ الليّـالي وَلَـمْ يَجْعَـل لهـا أجَـلا

تَمِشـي علـى بَطْنِهـا فـي الـدَّهْرِ مَـا عَمَرتْ والتُّرْبُ تَأْكلُهُ حَزْنَاً وإنْ سَهُلا

وما يلفت النظر، هو أن الشعر وقصص الأنبياء، تتحدث عن الحية، باعتبارها عنصراً فاعلاً في الأحداث، في حين أن القرآن الكريم لم يشر إلى ذلك، وإنما عزا السبب إلى الشيطان. **قال تعالى**(فأزلهما الشيطان فأخرجهما مما كانا فيه)[1079]، **مما**

[1074] – الهذليون: **الديوان**،41/3.

[1075] – أقرع: صفة من السف، وهو أخبث ما يكون، والسف: ضربٌ من الحيات خبيث يقال هو الشجاع، حياة الحيوان الكبرى، 183/1.

[1076] – **حياة الحيوان الكبرى**، 183/1.

[1077] – ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم: **المعارف**– ط4– دار المعارف، كورنيش النيل، 1981م، ص15.

[1078] – عدي بن زيد: **ديوانه**، ص159.

[1079] – **سورة البقرة:** آية 36–37.

يقودنا إلى القول بأنّ صورة إبليس غير مستقلة عن الحية، وأن قصة الخليقة في القرآن الكريم استعاضت عن الحية بالشيطان، لأن من معاني الشيطان عند العرب الحية، أو إبليس الذي اضطلع بوظيفتها(1080)، وهذا يؤكد العلاقة بين الشيطان"إبليس" والحية، ويتحدث أمية بن أبي الصلت عن الحية وإبليس، ويبين أن الحيَّة رمز الشر والإغواء، وَيُحَّملُ الجِن مسؤولية ترك الحية تسعى في الأرض؛ لتبث الشر والفساد، بقوله:(1081)

(الوافر)

كـذي الأفْعـى يُربِّبهُـا لديْـهِ	وذي الجَّنـــيّ أَرْسَـــلهُ يُســـابُ
فلا ربُّ المَنيِّةِ يأمَنَنْها	ولا الجِنَّيُّ أَصْبَحَ يُستَتابُ(1082)

وتتضح العلاقة بين الشيطان والحية من خلال "شيطان الحماطة"، فالحماطة شجرة التين التي أكل منها آدم، وجلس عليها نادما على فعلته، وجلست الحية عليها ترقبه، والمعروف أنها شجرة تألفها الحيات، ولا بد أن تكون الحية التي كانت تسكنها رمزا للشيطان(1083)، وفي ذلك يقول حميد بن ثور الهلالي: (الطويل)

فَلَمَّا أَتتّهُ أَنْشَبَتْ في خِشَاشِهِ	زِمَامـــاً كَثُعبَـــانِ الحَمَاطـــةِ مُحَكَمَا(1084)

وقد تحولت الحية إلى رمز حي، ودائم للألم والندم، إذ تعني كلمة الثعبان "الحية الخبيثة"؛ لأنها توحدت مع الشيطان، وكانت سبباً في إغراء آدم وحواء للأكل من الشجرة ، وما ترتب على ذلك من الشقاء والألم والندم(1085)، ويتماثل هذا مع ما جاء في ملحمة جلجامش" حيث توحدت الشيطانة "ليليث" مع الحية، واتخذتا مسكناً لهما عند قاعدة شجرة الإلهة "إنانا"، رمز الخصب

1080 – **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها،** 1/316–319

1081 – أمية: **ديوانه،** ص 25.

1082– ذو الجني :إبليس،الأفعى: هي الحية التي كلّم ابليس آدم من جوفها.

1083 – **المفصل في تاريخ العرب،** 6/732–733، أحمد، عبد الفتاح محمد، المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي–ط1– دار المناهج، بيروت، 1987م، ص 198

1084 – حميد بن ثورالهلالي: **ديوانه،** تحقيق محمد يوسف نجم– ط1– دار صادر، بيروت 1995، ص 93

1085 – عبد الحكيم، شوقي:**موسوعة الفولكلور والأساطير العربية**–ط1– دار العودة، 1982، ص187.

والحياة، وكان هدفهما القضاء عليها[1086]، وهذا يؤكد عداء الحية والشيطان للحياة والخصوبة، وعشقهما لأماكن المياه، فقد جاء في المعتقد العربي "أن المياه مسكونة بأرواح الجن، وأن تلك الأرواح اتخذت هيئة الأفاعي، وأن البقع الكثيفة بالنبات والأحراش، كانت مسكونة بالأرواح الموجودة، على شكل حيات"[1087]. وقد سجل الشعر الجاهلي ذلك الاعتقاد، فهذا طرفة بن العبد يقول:[1088]

تُلاَعِبُ مَثْنىً حَضْرميَّ كَأنَّهُ   تَعمُّجُ شَيْطَانٍ بِذي خِرْوع قَفْرِ(الطويل)

ويؤيد ذلك ما جاء في تفسير الآية القرآنية الكريمة **(إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين)** [1089]، فالمقصود برؤوس الشياطين، رأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانا، وهي حية لها عرف قبيح الوجه والمنظر[1090]، وقد يكون هذا ما عناه الشاعر في قوله يذم امرأة :[1091]

(الرجز)

عَنْجَرِدٌ تَحْلفُ حَيْنَ أَحْلفُ   كَمثْل شَيْطانِ الحَمَاطِ أَعْرَفُ

ولا يبتعد عن ذلك ما قاله بعضهم" أن للعرب شجراً يطلقون عليه "الصوم" كريه المنظر جدا، يقال لثمره، رؤوس الشياطين، أي الحيات[1092]"، فالشاعر يربط بين المرأة والشيطان والشجرة؛ ليؤكد اعتقاد الجاهليين بوجود قوى كامنة في الأشجار، لها دور خطير في حياتهم.

ويبدو تشابه بين الجن والحيات في الطباع، من ذلك الأصلة التي تشبه الجن في كونها شديدة الفساد. **[1093]** ولعل ما قيل عن الشيطان والحية والغول، لا يختلف عما يقال عن الشجاع، وهو

[1086] – السواح،فراس: **جلجامش، ملحمة الرافدين**–ط1– دار علاء الدين،دمشق،1996، ص53.

[1087] – **الحيوان**، 133/2، النوري: قيس، **الأساطير وعلم الأجناس**، ص149.

[1088] – طرفة بن العبد: **ديوانه**، تحقيق رحاب خضر عكاوي، ص156.

[1089] – **الصافات**، آية 64–65.

[1090] – **لسان العرب**، مادة "شطن".

[1091] – المصدر نفسه، مادة(شطن)، تاج العروس،(شطن) الجامع لأحكام القرآن، 87/15.

[1092] – **حياة الحيوان الكبرى**، 34/1–35.

[1093] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الأسود العظيم من الحيات، والداهية، وهو أيضاً من به جنون من الإنس أو غيره [1094]، ويزيد من تأكيد تلك العلاقة، ما ورد عن العرب من قول: "إنه إذا طال جوع المرء، تعرض له حية في بطنه، يقال لها الشجاع، فتعضه" [1095]، وفي ذلك يقول أبو خراش الهذلي: [1096] (الطويل)

أَرُدُّ شُجاعَ البَطْنِ قَدْ تَعْلَمينَهُ وَأُوْثِرُ غَيْري مِنْ عِيالكِ بِالطُّعم

ويتضح ذلك من خلال نوع من الحيات، يقال له "الأرقم"، وهو يشبه الجان في اتقاء الناس من قتله، والأرقم والجان يُتقي في قتلهما عقوبة الجن لمن قتلهما، وهي أخبث أنواع الحيات، وأطلبها للناس، وربما مات قاتلها أو أصابه خَبَلٌ، وهي كالقائل، "أنا كالأرقم إن تقتله ينقم، وإن تتركه يلقم" [1097]، لذلك اعتقد الجاهليون أن من تعرض للحية، بأذى سيصيبه المرض، أو الجنون، مما يثبت أن الحية تصيبُ بالخبل والجنون، كالجن تماماً.

وبناء على هذه المعتقدات كان الجاهليون، إذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن أن يأخذ بثأره، فيأخذون روثة ويفنونها على رأسه، ويقولون: روثة راث ثائرك، وفي ذلك يقول بعضهم: [1098]

طَرَحنا عليهِ الرّوثَ والزجرُ صادقٌ فَرَاثَ عَلينا ثارهُ والطَّوائلُ (الطويل)

وقد جاء في قصص العرب، ما يثبت ثأر الجن للحية، من ذلك ما جاء في قصة أمية بن أبي الصلت، التي تثبت أن الجن أخذت بثأر الحية من الإنسان، فقتلت حرب بن أمية، وقالت فيه شعراً. [1099]

كما ربط الجاهليون بين مرضهم ومس الجن والحية، فكانوا إذا اعتل أحدهم، واعتقدوا أن به مّساً من الجن؛ لأنه قتل الحية، يقدمون لها القرابين أمام الجحور [1100].

1094 –**لسان العرب**، مادة (شجع).

1095 – **حياة الحيوان الكبرى**، 44/2.

1096 – الهذليون: **الديوان**، 128/2.

1097 – **مجمع الأمثال** 169/2–170، **حياة الحيوان الكبرى**،19/1.

1098 –**بلوغ الأرب**،358/2، **المفصل في تاريخ العرب**، 812/6.

1099 – **مروج الذهب**، 141/2.

1100 – المصدر نفسه، 359/2.

وآمنوا برقى الحيات، ودعوا ممارس هذه الرقى بالحواء، مما يؤكد العلاقة بين الحية وحواء في الفكر الجاهلي، من حيث قيمة الخلود والحياة، وارتباطهما بالبعد الإغرائي الشيطاني، كما خلدته التوراة.[1101] وخلده الشعر الجاهلي، في حديثه عن الحية الصماء التي لا تجيب الرقاة، ولا تسمع لهم، بقول عمرو بن شأس: [1102] (البسيط)

لو شُرِّحَتْ بالمُدى ما مسَّها بَلَلٌ	ولو تكنّفها الحاوونَ ما قدروا
قد جاهدوها فما قام الرّقاةُ لها	وخاتلوها فما نالوا ولا ظفروا

ومما يثبت الصلة بين الجن والحية، أن العرب اعتقدوا، في تعليق الحلي على الرجل اللديغ "السليم "سبعة أيام[1103]، ليبقى السليم مسهدّاً، حتى لا يسري السُّم في جسمه، ويبدو أن تعليقها لم يكن للسهر، وإنما التماساً لطرد الأرواح الشريرة من الجن والشياطين؛ لأن الرأي الشائع من العصور القديمة "أن الشياطين تَهْربُ عند سماع صوت من معدن، سواء أكان هذا الصوت، صوت صليل من الأجراس الصغيرة، أو قعقعة متواصلة"[1104]، فعن طريق الضجيج تبتعد الأرواح الشريرة التي دخلت جسم اللديغ.

وقد سجل الشعراء ذلك، وخاصة النابغة الذبياني الذي بات ليله في هَمٍّ وغَمٍّ وشؤم، وداخلته المخاوف من تهديد النعمان له، فأخذ يصور إحساسه بالألم والحيرة، بقوله: [1105] (الطويل)

فبتُّ كأنّي ساورتني ضئيلةٌ	مِنَ الرُّقشِ، في أَنْيابِها السُّمُّ ناقِعُ
يُسَهّد من ليْلِ التّمام سَليمُها،	لِحلْي النساء، في يديه، قعاقعُ
تناذرها الراقون مِن سُوء سُمَّها،	تُطَلِّقَه طوراً، وطوراً تراجِع

[1101] – **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص426.

[1102] – **الحماسة البصرية**، 1521/3.

[1103] – **بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب**، 358/2

[1104] – فريزر، جيمس: **الفولكور في العهد القديم**، 228/2.

[1105] – النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص 122–123، الحيوان، 248/4.

ومن معتقدات العرب الدالة على الصلة بين الجن والحية، استخدام الرقى والعزائم في التعامل مع الحية، محاولة لاتقاء شرها، وإبعاد خطرها، خاصة الحيات التي تمتنع عليهم، ولا تخرج من جحرها، ويرون فيها أمراً غريباً وقوة لا تجابه إلا بالرقية، فآمنوا بقدرة الرقية على إخراج الحية من الصخر وقدرتها على شفاء اللديغ[1106]، فنسبة إخراج الحية من جحرها إلى الراقي، إنما يكون للعزيمة، والإقسام عليها؛ لأنها إذا فهمت أجابت ولم تمتنع[1107]، وهنا تظهر علاقة الجن بالحية؛ لأن الراقي لا بد أن يكون على اتصال مباشر بالجن كالكاهن؛ لأن ما يقوم به من أعمال، تفوق قدرة البشر، لذلك رأوا أن الحية كالجن، لا تجيب صاحب العزيمة، حتى يلتزم بمظاهر خاصة، توحي بالاستعداد النفسي والحسي "فيتوحش، ويسكن البراري، ويتشبه بالجن، ويغتسل بالماء القراح، ويتبخر باللبان الذكر، ويراعي المشتري، فإذا دق، ولطف، وتوحش، وعزم، أجابته الجن، وذلك بعد أن يكون بدنه يصلح هيكلا لها، حتى يلذ دخوله وادي منازلها، وإلاّ يكره ملابسته والكون فيه، فإن هو ألحَّ عليها بالعزائم، ولم يأخذ لذلك أهبته، خبلته، وربّما قتلته، لأنها تظن أنه متى توحش لها، واحتمى، وتنظف، فقد فَرِغ، وهي لا تجيب بذلك قط، حتى يكون المعزَّم مشاكلاً لها في الطباع"[1108].

نتبين مما سبق تشابه معتقدات العرب بالجن والحية، وعلاقتها ببعضها، فقد ارتبط الجن بالحية ارتباطاً وثيقاً.

[1106] – **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص426

[1107] – **الحيوان**، 4/185–186.

[1108] – المصدر نفسه، 4/185.

المبحث السابع

الجن والغزال

يعد الغزال من الحيوانات التي حرص الجاهليون على عدم قتلها في قصائدهم، وعدم إصابتها بأذى، إذ لم يمكنوا الصائد منها، مما يدلل على قدسية هذا الحيوان، ويؤكد ذلك ما رواه ابن هشام بشأن حفر "عبد المطلب" جد رسول الله " عليه السلام" بئر زمزم الذي وجد فيه غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم فيها، حين خرجت من مكة، ووجد فيها أسيافاً قلعية وأدراعاً[1109]، وقد سجل الشعر الجاهلي ما يدل على ألوهية وقدسية الغزال، كما وجد في الكتابات المقدسة، والنقوش القديمة ما يثبت ذلك[1110]، ومن ذلك قول امرئ القيس: [1111]

وماذا عليه لو ذكرتُ أوانساً   كَغُزْلانِ رِمْلٍ في مَحَاريِبِ أقيال[1112]   (الطويل)

وصورت الغزالة بامرأة حسناء، كما كانت رمزاً للإلهة الشمس، فوضعت في محاريب الملوك، وحرم أكلها على عابدي الآلهة، في حين لم يحرّم ذبحها قربانا لها[1113]، ومن مظاهر تقديس العرب للغزال، أنهم كانوا إذا وجدوا غزالاً ميتا غطّوه، وكفنوه ودفنوه، وكانت القبيلة تحزن عليه سنة[1114].

وقد ورد في قصص الجاهليين ما يشير إلى اعتقادهم بقدسية الغزال، وبأن قاتله يعاقب عقابا ساحقا، فقد أورد الأزرقي القصة التالية "أقبل عتبة وشيبة، ابنا ربيعة بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب، فتحدّثوا وذكروا الغزال، فقال أحيحة: أطيعوني، ولا تخوضوا في أمر هذا

[1109] – **أخبار مكة**، 92/1، السيرة النبوية– ط2–112/1.

[1110] – البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي**، حاشية، ص 65.

[1111] – امرؤ القيس: **ديوانه**، ص 126.

[1112] – محاريب أقيال: غرف ملوك حمير، الأوانس: الفتيات.

[1113] – **الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب**، ص63.

[1114] – **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص111.

الغزال، فإن عندي منه علما، فقالوا: ما علمك؟ قال: حدثني أبي عن أبيه، أنّ قبيلة من العرب نزلوا بمكة، فأهلكوا في شأن ظبي، قتله رجل منهم، واستؤصل أحرارهم ورقيقهم، قالوا: ما سمعنا بهذا، فأنشدهم: (الرمل)

يَـــا رجـــالاتِ قُصـــيّ بَلَـــد | مَنْ يُرِد فيهِ ملذّاتِ الظُّلم
هـــلْ سَـــمعتمِ ببقايـــا عَـــربٍ | عَطبُوا فيه وَحيَّ مِنْ عجمْ
هَلَكُـــوا فـــي ظِبْيَـــةٍ يَتْبعهُـــا | شادنٌ أَحوى لَـهُ طَرْفُ أَحَمْ
عَافَهُ عَنها فَمـا يَتبعـهُا | حيثُ آوته إلى جَنْبِ الحَرمْ

فقالوا: كيف كان هلاكهم؟ قال: أقبلت حية من الجبل، فجعلت تنفخ عليهم من جوفها، أمثال الرماح من النار، فجعلوا يحترقون، حتى هلكوا جميعا، قالوا: أنّى يكون هذا؟ قال: أما سمعتم بقول عبد شمس: (الرمل)

فأتـــاهُ حيَّـــةٌ مِـــنْ خَلفـــهِ | أَحجـــنُ النّـــابين ذُو نـــابِ خضـــمْ
فَرَماهُ بِشِهـابٍ ثاقـبٍ | مِثْلَ ما أوريْتَ بالرُّمح الضَّرَمْ[1115]

فهذا يؤكد أن الحية التي جاءت من الجبلِ هي أحد أفراد الجن الذي تصور بصورة الحية، ويبين العلاقة بين الجن والظبي، فالجن يظهر بشكل الظبي، عوقب قاتلوه، ويؤكد قداسة الغزال، وتحريم قتله، وتحريم صيد الظباء. ويبين أنها من ماشية الجن ما جاء في الأساطير المخوفة من انتهاك تلك الحرمة " أنه دخل قوم مكة تجاراً من الشام في الجاهلية، فنزلوا بذي طوى تحت السمرات، يستظلون بها، فاصطادوا ظبية من ظباء الحرم، وطبخوا لحمها، فبينما هي على النار، إذ خرجت من تحت القدر عنقٌ من النار عظيمة، فأحرقت القوم، ولم تحرق ثيابهم، ولا أمتعتهم، ولا السمرات التي كانوا تحتها"[1116]، فيبدو العجب في العقاب الذي أنزل بواسطة النار، وقدرتها

[1115]– **أخبار مكة**، 146/2-147، حسان بن ثابت: **ديوانه**، حاشية ص 65-68.

[1116] – المصدر نفسه، 146/2، **الأساطير العربية قبل الإسلام**، ص103.

على التمييز والتخصيص، إذ لم تنل النار من ثيابهم وأمتعتهم، مما يؤكد أن الفاعل لا بد أن يكون من الجن؛ لأن الظباء في معتقداتهم من ماشية الجن، وقد عبر النابغة عن حرمة الظباء

بقوله: [1117] (البسيط)

والمؤمنُ العائذاتُ الطير، تمسحُها   رُكْبانُ مكةَ بينَ الغِيلِ والسَّعد. [1118]

ومن الحكايات التي تدل على أن الظباء من مطايا الجن، ما أورده الشبلي عن حميد ابن ثور الهلالي، قال: "كنا نتحدث أن الظباء ماشية الجن، فأقبل غلام ومعه قوس ونبل، فاستتر بأرطاة، وبين يديه قطيع من ظبي، ويريد أن يرمي بعضه فهتف هاتف لا يرى، وقال: [1119]

إنّ غُلامــاً عَسْــرَ اليــدينِ   يســعى بِكَيْــدٍ أو لِهــيْن مَــيْن

مُتَّخِـذ الأرطأةَ جُنّتَيْـنِ   ليقتُل التَيْس مع العَنْزين[1120]

فسمعت الظباء، فتفرقت، لأن الهاتف ينبه الظباء من الصياد، كي تنجو من الموت.

كما رُويتْ رواية عن النعمان بن سهل الحراني، قال: بعث عمر بن الخطاب رجلا إلى البادية، فرأى ظبية مصرورة، فطاردها حتى أخذها، فإذا رجل من الجن يقول: [1121]
(الرجز)

يا صَاحِبَ الَكَنانـةِ المَكسُورةْ   خَلَّ سَبيلَ الظّبيـةِ المَصْرورَةْ

فإنَّها لَصبيَّةٌ مَضْرَوَرهْ   في كُورةٍ لا بُوْركتْ مِنْ كُورةْ   غَاب أبوهُمْ غَيْبةً مَذْكُورَةْ

والهاتف هنا يدعو الصياد إلى إطلاق الظبية، وإخلاء سبيلها، ويبين له حالها. وقد جاء في الشعر ما يبين أن الظباء من مطايا الجن، وذلك قول أحدهم: [1122]

1117 –النابغة: **ديوانه**، ص56.

1118 – الغيل والسعد: جمتان بين مكة ومنى.

1119 – **بلوغ الأرب**، 361/2.

1120 – الأرطاة: واحدة الأرطى ، وهو شجر نوره كنور الخلاف وثمره كالعناب، عَسر اليدين: الذي لا يعمل إلا بيده اليسرى.اللهزمة: عظم ناتئ في اللحى تحت الحنك، الجنة: الدرع وكلّ ما وقى من السلاح.

1121 – **بلوغ الأرب**، 36/2.

وأَجُـوبُ الـبلادَ تَحتْـي ظَبْـي ضَـاحِكٌ سنُّهُ كثيرُ التمِّرى (الخفيف)

مُولجٌ دُبْره خَوَايَة مَكْوٍ وَهُوَ باللّيل في العفاريتِ يَسْرى

وتبدو العلاقة بين الغزال والجن، في ارتباط كل منها بشجرة السمُرة، التي تعدُّ شجرة العزى،[1123] وقد سجل صخر الغيّ ذلك بقوله: [1124] (الطويل)

فخانتْ غَزَالاً جاثماً بَصُرتْ بِهِ لَدَى سَمُراتٍ عند أدْماءِ سارب

وقد تحدث كعب بن زهير عن تلك العلاقة في أثناء حديثه عن صيد الظباء، بقوله: [1125](الطويل)

فلما أراد الصيد يوماً وأشرَعتْ زَوى سَهْمهُ عاوٍ من الجِنَّ حارم[1126].

فالشاعر ينسب ارتداد السهم إلى ما يركب الظباء من الجن، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الجاحظ "ما من وحشية إلا وعليها جني يْركبها"[1127]

وإذا علمنا علاقة الزجر بالجن، فإننا نجد في زجرهم للظباء، ما يبين علاقتها بتلك الكائنات، وهذا ما أشار إليه عنترة بن شداد بقوله: [1128] (الطويل)

طَربتَ وهاجتَك الظباءُ السوارحُ غَداةَ غَدَتْ مِنْها سنيحُ وبارحٌ

ويقول كعب بن زهير: [1129] (المتقارب)

علا حاجبيّ الشّيبُ حتى كأنّه ظَبِاءٌ جَرَتْ فيها سنيحٌ وبارحُ

1122 – **الحيوان**، 237/6

1123 – **الأصنام**، ص25.

1124 – الهذليون: **الديوان**، 56/2.

1125 – كعب بن زهير: **ديوانه**، ص89.

1126 – أشرعت: مدت أيديها، زوى: عدل، الحارم: الذي حرمه السهم.

1127 – **الحيوان**، 237/6.

1128 – عنترة بن شداد: **ديوانه**، ص65.

1129 – كعب بن زهير: **ديوانه**، ص59.

وقد يكون في تسمية البيت الذي قدسه عرب اليمن" رئام" الذي كان فيه شيطان، وخرج منه كلب أسود، ما يدل على علاقة مقدسة بين البيت والظباء، وبين الجن والظبي [(1130)]، فالعلاقة اللغوية توحي برمز أسطوري إلى حد ما. ويؤكد ما قالته العرب "آمن من حمام مكة، ومن غزلان مكة"[(1131)]، فكانوا حريصين على عدم قتلها، حتّى تخيلوا أن الجن تنبه الصيادين إلى ذلك....

[1130] – **السيرة النبوية**، 22/1، **موسوعة أساطير العرب**، 298/1.

[1131] – **الحيوان**، 163/3،162، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 308/1.

المبحث الثامن

الـجن والثـور

ربط الجاهليون بين الجن والثور والبقر عامة، وربما كان القرنان هما الصلة الشكلية بينها[1132]، "فنظر القدماء بشكل عام إلى الثور نظرة قداسة وتبجيل، وعدوه إله الخصب والقوة، وإله العواصف، وعدت عبادته تجسيدا أرضياً لعبادة القمر السماوي، فرأوا الهلال كقرون الثور، والثور فيه قوة الإخصاب[1133]، فكان هذا دافعاً، كي ينسجوا حوله أساطيرهم، من ذلك ضرب الثور لتشرب البقر، فكانوا إذا أوردوا البقر، ولم تشرب، إما لكدر الماء، أو لقلة العطش، ضربوا الثور ليقتحم الماء؛ لأن البقر تتبعه كما تتبع الشول الفحل، وكما تتبع أنثى الوحش الحمار [1134]، وقد سُجِّلَت هذه المعتقدات في أشعارهم، فقال عوف بن الخرع: [1135] (الوافر)

تَمَنّتْ طَيْئُ جَهْلاً وَجُبْناً	وَقَدْ خَالَيْتهم فأبوا خلائي
هجوني أن هجوتُ جِبَالَ سَلمى	كضرب الثَّوْر للبقرِ الظَّماء [1136]

وقد عكس الشعراء هذه المعتقدات، في التعبير عما يلحق بهم من مظالم اجتماعية، فالأعشى يكرر المعنى نفسه، متحدثاً عما ألحقه به بنو سعد بن قيس من ظلمٍ، من غير إثمٍ اقترفه، فيقول:[1137] (الطويل)

وإنّي، وما كلفتموني وربّكم	لِيَعلمَ مَنْ أمسى أعقَّ وأحربَا
لكالثورِ والجنّيُّ يضربُ ظهرَه،	وما ذنبُهُ أنْ عافتِ الماءَ مشرَبا
وما ذنبُهُ إن عافتِ المَاء باقِرٌ،	وما إن تعافُ الماءَ إلاّ ليُضْرَبا

[1132] – **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها،** 25/2

[1133] – **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 120.

[1134] – **الحياة العربية من الشعر الجاهلي،** ص 404.

[1135] – المرزباني، أبو عبيد الله، محمد بن عمران: معجم الشعراء، تحقيق ف كرنكو– ط1– دار الإجيل ، بيروت، 1411هـ – 1991م، ص125.

[1136] – **الحيوان**، 18/1.

[1137] – الأعشى: **ديوانه**، ص9، الحيوان، 19/1، شعراء النصرانية، 396/3، رواية "يضرب ظَهره".

وتتماثل هذه الصورة، مع الصورة التي رسمها نهشل بن حري، بقوله:[1138]

كدأب الثَّورِ يُضْرَبُ بالهراوىَ إذا ما عافَتِ البَقَرُ الظِّماءُ (الوافر)

ومع قول يحيى بن منصور الذهلي: [1139] (الطويل)

لكالثّور والجِنّيُّ يَضْرِبُ وَجهَهُ وَمَا ذَنْبهُ إنْ كَانَتِ الجِنُّ ظَالِمَهَ

ويتضح انعكاس هذه المعتقدات، من خلال قول أنس بن مدرك في قتله سليك بن السلكة:[1140]

إنّي وَقتلي سُلَيكا ثُمّ أَعْقلُهُ كالثَّورِ يُضْربُ لَمّا عافتِ البقَرُ(البسيط)

ومنها قول الهيبان الفهمي: [1141] (الطويل)

كما ضُربَ اليعسوب أنْ عافَ باقرٌ وما ذنبُهُ أنْ عافتِ المَاءَ باقرُ

ويتعجب النابغة الجعدي من أن تلقى عليه جريرة، لم يقترفها، ويشبه حاله بحال الثور المظلوم يضرب؛ لأن البقر لا ترد الماء، فيقول: [1142] (الوافر)

أَتَتْرُكُ معشراً قتلوا هُذيلاً وَتُوعِدني بقْتلي مِنْ جُذام ؟
كذلكَ يُضْرَبُ الثورُ المُعنّى لِيَشربَ وارِدُ البقر العيامِ[1143]

فالشعراء يلتقون عند فكرة واحدة، هي استغرابهم من ضرب الثور، إذا امتنعت البقر عن ورود الماء، على الرغم من أن الثور يرد الماء، ويختلفون في تفسيرهم لذلك، ولكن التعليل الذي أعتقدُ أنه يقترب من الصواب، هو أن العرب يعتقدون بحلول أرواح شريرة في الثور، فكأن هذا الضرب الواقع على ظهر الثور، هو بمثابة طرد للأرواح التي حلت فيه، إلا أن المتعارف عليه،

1138 – **الحيوان**، 19/1، بلوغ الأرب، 303/2، الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، ص124.

1139 – المصدر نفسه، 19/1، بلوغ الأرب، 303/2.

1140 – المصدر نفسه، 18/1.

1141 – **الحيوان**، 19/1، المرزباني: **معجم الشعراء**، ص417.

1142 – النابغة الجعدي: **ديوانه**، ص154–156، البحتري: **ديوان الحماسة**، ص260.

1143 – المعنًّى: الذي وقع عليه الأذى والمعاناة. العيام: العطاش.

أن الضرب والكي وإحداث الأصوات كلها أدوات، يستعين بها العرب لطرد الشياطين[1144]، ويقترب من ذلك ما أورده الحوفي" زعموا أن الجن تصدّ البقر عن الماء، وأن الشيطان يركب قرني الثور، فكأنهم بضرب الثور، يطردون الجن"[1145].

ولا بد من الإشارة، إلى ما يمتلكه الثور من قوة خفية سحرية، يستطيع بواسطتها التأثير على البقر، ودفعها إلى الشراب، كما أن الشيطان الذي يحل في الثور، يرمز للفناء والدمار، ويريد القضاء على البقر، ومنعها من الشرب، وهي رمز الخصوبة والحياة، والثور هو القوة المقابلة للشيطان، فهو الحياة.[1146]

ويتفق هذا مع ما ورد عن البابليين" أن العفاريت من الجن، تهوى الاصطبلات الخاصة بالحيوانات، فتؤثر فيها"[1147]، والآشوريين الذين اعتقدوا بحلول أرواح شريرة في البقر؛ لذلك اتخذوها وسيلة لحراسة قصورهم، وأخذوا يلتمسون عندها النصر والحماية[1148]، ولا ننسى الدور الذي قام به الثور في ملحمة جلجامش.

وقد تكون هذه المعتقدات هي التي دفعت الجاهليين إلى استخدام الثور، والبقر في عملية الاستسقاء، "فقد كان العرب في الجاهلية الأولى، إذا تتابعت عليهم الأزمات، واشتد الجدب، واحتبس عنهم المطر، ويئسوا من نزوله، يجمعون البقر، ويعقدون في أذنابها، وعراقيبها السلع والعشر، ويصعدون بها في جبل وعر، ويشعلون بها النار، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر؛ لأنهم يعتقدون أن القوى الخفية التي تتحكم في سقوط المطر؛ تستوطن الجبال"[1149]، ويؤمنون

1144 – **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 194،193

1145 – **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، ص 406

1146 – **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 120، 123 وما بعدها.

1147 – **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص193.

1148 – **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 73

1149 – **الحيوان**، 466/4، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 409/1، المرزوقي، أبو علي: كتاب الأزمنة والأمكنة، 123/2-124.

بقدرتها على الاستجابة لدعواتهم واستغاثتهم، وبالتالي إنزال المطر، ويؤكد ذلك أما ذكرناه من أن البقرة بدت شيطاناً، أخذت تهتف شياطين الأصنام من داخله[1150].

ويشير أمية بن أبي الصلت إلى هذا المعنى، بقوله: [1151] (الخفيف)

*ســـنَةٌ أزمـــةٌ تُخيّـــلُ بالنّـــا س تَـرَى للعَضَـاه فيهـا صَـريرا

*وَيَسُـوقون بَـاقرَ السّهـل للطّـو دِ مَهازيـــلَ خشـــيةً أن تَبُـــورا

عاقـدينَ النيـرانَ فـي شـكرِ الأذْ نـــابِ عمْـــداً كيمـــا تهـــيجَ البحُـــــــــــــــورا[1152]

*سَلَعٌ وما مِثلــه عُشَــرٌ ما عائلٌ مــا وعالَتْ البيْقُـورا

وقال الورل الطائي: [1153] (البسيط)

لا درَّ درُّ رجـــال خـــاب سَـــعْيُهم يسَتمطرونَ لدى الأزمـاتِ بالعُشر

أجاعلٌ أنتَ بيقُوراً مسلّعــةً ذريعةًَ لكَ بينَ اللهِ والمَطَـر

فكل من الشاعرين، يشير إلى دور البقر،وأثرها في معتقدات الجاهليين وطقوسهم. وقد ذكرنا أن العرب الجاهليين اتخذوا الثور تعويذة سحرية في طقوس الاستسقاء، فكانوا يحشون جلد الثور بالبذور الزراعية، ويحرقون الجلد؛ ليتدفق منه الحب فيمطرون[1154]، وكانت بعض القبائل تحرق معدة أحد الثيران عند حلول المساء؛ لأن الدخان الأسود يجمّع السحب، ويسبب سقوط المطر[1155]، ومما يؤكد امتلاك الثور قوة خاصة، أنهم كانوا يعلقون جمجمة أحد الثيران على مداخل بيوتهم أو الجدران المحيطة ببساتين النخيل، لحمايتها من الحسد، مما يدلل على عبادتهم

1150 – **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 25/2

1151 – أمية: **ديوانه**، ص73–75، **الحيوان**، 466/4–467.

1152 – شكر الأذناب: شعر الاذناب، العضاه: ضرب من الشجر.

1153 – **الحيوان**، 4/ 468، صبح الأعشى، 409/1.

1154 – **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 122

1155 – المرجع نفسه، ص122.

لها، واستخدامها في السحر[1156]، وقد يكون تساقط البقر من أعالي الجبال من التعاويذ السحرية الجاهلية المهمة في الاستسقاء، وذلك ما كان يقوم به الشعراء والسحرة والمتنبئون[1157].

وهذا ما أشار إليه بشر بن أبي خازم في شعره، حيث زعموا أنه خرج في سنة، أسنت فيها قومه، وجهدوا، فمروا بصوارٍ من البقر، وأجل من الأروى، فذعرت منه، فركب جبلاً وعراً، ليس له منفذ، فلما نظر إليها، قام على شِعْبٍ من الجبل، وأخرج قوسه، وجعل يشير إليها، كأنه يرميها فجعلت تلقي نفسها فتتكسر.[1158] وهو يقول: (مشطور الرجز)

تتابعي بقر تتابعي بقر

حتى تكسّرتْ ثم قال:

أنت الذي تَصْنعُ ما لم يُصْنَع

أنت حططتَ من ذرىً مُقنَّع

كلَّ شُبُوبٍ لَهِقٍ مُوَلعَّ[1159]

فهم يصعدون إلى الجبال؛ كي تسمع الآلهة شكواهم وتضرعاتهم. وأرى فيما أورده النويري ما يناسب ما ذهبنا إليه، فهو يقول إنهم يختارون جهة الغرب دون الجهات؛ لأن السحب تثور من تلك الجهة، فإذا لم تستجب الآلهة لتوسلاتهم، أشعلوا بين عراقيبها النيران، كي تأتي بالمطر فتطفئ النيران، ويذهب الجفاف والقحط، وإن لن تأت به، فهي تستحق ذلك المصير البشع[1160].

1156 – **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 122

1157 – أبو سويلم، أنور: **المطر في الشعر الجاهلي**، ص160.

1158 – **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 123

1159 – بشر بن أبي خازم الأسدي: **ديوانه**، الملحق، ص231.

1160 – **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 123

الفصل الخامس

الجن والطبيعة في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: الجن والصحاري

المبحث الثاني: الجن والشجر

المبحث الثالث: الجن والجبال

الميحث الرابع: الجن والآبار والأودية

المبحث الأول

الجن والصحاري

عاش العربي في جزيرة واسعة، تختلف عليه الرمال والأنواء، وتشتد عليه الطبيعة، فينتقل في سبيل العيش، يضرب في الأرض وراء اللقمة، فيجتاز مسافات كبيرة، ويخترق صحاري شاسعة، كأنه في ركب الحياة على سفينة، تتقاذفها الأمواج، تعلو به وتهبط، فيلقى مصاعبها ومتاعبها، إلى أن يرسو به القدر عند مرفأ، يحط به رحاله، وفي أثناء ذلك، وحين يستبد به التعب، كما يستبد برفاقه، ويملُّ الجميع الكلام، ولم يعد يسمع صوتاً ولا حركة، عندها يبني الإنسان صوراً اعتاد على مسخها، وتشويهها، صوراً من شظايا ما سمع، وآمن به، صوراً مخيفة مهولة، ثم يسمع نعيب بوم، أو صدى الرياح، ترردده الأصداء غامضاً، فيخيل إليه أن صورة الخيال قد تجسدت، وأن الأطياف راحت تهاجمه، وأن الجن تلحق به؛ لتؤذيه على غزوه أرضها، فقد اعتاد أن يصف كل خرق ومهمة، لا يصل إليها موطناً للجن؛ لأنها تصلح لذلك؛ نتيجة لطبيعة سطحها، وما يحيط بها، ويشرف عليها من صخور، وآكام وجبال أو وديان.[1161]

فارتبط اسمها بعزيف الجن، واعتقد الجاهلي أنها سبقته إليها؛ فسكنتها منذ عهود سحيقة، فهذا طرفة بن العبد، يقول: [1162]

وَرَكُوَبٍ، تَعْزِفُ الجِنُّ بِه　　　قَبْلَ هَذا الجيلِ، مِنْ عَهْدِ أَبَدْ　(الرمل)

فهو يذكر طريقا مجهولة، سيطرت الجن عليها، منذ أقدم الأزمنة، مما يعزز مقولة أن الجن سكنوا الأرض، قبل أن يسكنها الإنس، وأنها تألف القفار، والمواضع الموحشة التي لا يعرفها أحد، إلا نادراً، ويؤكد اعتقادات العرب قبل الإسلام أن الجن تسكن المواضع التي تصيبها الكوارث بعد هلاك أصحابها، وهذا ما نجده عند العبرانيين وغيرهم [1163]، ويؤكد هذا ما ورد،

[1161] – الضناوي، سعدي:**أثر الصحراء في الشعر الجاهلي**–ط1– دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1993م، ص 190–191.

[1162] – طرفة بن العبد: **ديوانه**، دار صادر، بيروت، ص42

[1163] – **المفصل في تاريخ العرب**، 719/6.

من أن الجن عندما حشرت لسليمان، خرجت من الآكام والقفار والجبال [1164]،ويجسد هذا ما وجدناه في أشعار الجاهليين، فالنابغة الشيباني يرى في الصحاري مجالاً من التيه البعيد، الذي يحارُ به الركب، وَيُعاني من أهواله؛ لأنه لا يقطنها إلاّ الجنّ، ويقول:[1165] (الخفيف)

حَوْمةٍ سَرْبَخٍ يَحارُ بها الرّكـ　　　بُ تنُوفٍ كثيرةِ الأهوالِ

جُبْتُ مَجهُولَها، وأَرْضٍ بها الجِنْ　　　نُ وَعْقدُ الكَثيبِ ذي الأَمْيَالِ

ويؤكد هذا المعنى وصفه لها:[1166] (الكامل)

واجتبتُ تِيْهاً مَا تَني أَصْدَاؤُه　　　تزقو وغرّد بَعدَ بُوْمٍ هامُها

عذراءُ لا إنسٌ ولا جِنٌّ بِها　　　وَهِي المَضَلّةُ لا تُرَى أعْلاَمُها.

فالشاعر يعتبر الصحراء عذراء، لم يعبرها أحدٌ قبله، تقتلَ السالكين فيها؛ لاختفاء معالمها، وفي تلك القفار، تتنادى الجن ليلاً، ويُسْمَع لها عزيف رهيب، يتردد على الرمال، ويغوص في كل جوف سحيق من الأرض، فهذا المتنخِل بن عويمر الهذلي، يقول: [1167]

وَخَرقٍ تَعزِفُ الجِنَّانُ فيه،　　　بَعِيدِ الجَوفِ، أَغبَرَ ذي انخراطِ[1168] (الوافر)

و يتضح ذلك من قول أسماء بن خارجة[1169]: (الكامل)

بَل رُبَّ خَرْقٍ لا أنيسَ بِـه　　　نَــابِي الصُّوَى مُتَمَاحِلٍ سَهْبِ [1170]

يَنسَى الدَّليلُ بِه هِدَايـَتَهُ　　　مِن هَولِ مَـا يَلْقَى مِن الرُّعْبِ

وَبِه الصَّدى والعَزْفُ تَحْسِبُه　　　صَدْحَ القِيَـانِ عَزَفْنَ للشَّرْبِ[1171]

[1164] – القرويني:**عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص393.

[1165] – نابغة بني شيبان: **ديوانه**، ص154.

[1166] – المصدر نفسه، ص167.

[1167] –**جمهرة أشعار العرب**، ص 217

[1168] – أغبر: مكفهر، الانخراط: الطول.

[1169] –**الأصمعيات**، ص 49–50

[1170] –الصَّوى: أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي، يستدلُّ بها على الطريق، واحدتها "صوة". متماحل: بعيد مابين الطرفين. نبوها: ارتفاعها. السَهْب: ما بعد من الارض واستوى.

كَابَدْتُـهُ باللَّيـلِ أَعسِـفُـهُ   في ظُلْمَةٍ بِسَـواهِمٍ حُــدْبِ[1172]

ويصور الشاعر ما يحس به في الصحراء من الضلال والضياع، كما يصور الهلع الذي يدبُّ في نفسه، ويكرر كعب بن زهير ذلك المعنى، بقوله: [1173] (البسيط)

يوماً قَطَعْتُ ومَوْماةٍ سَرَيْتُ إذا   ما ضَارِبُ الدُّفِّ مِنْ جِنَّانِها عَزَفا

ويقول أيضا: [1174]

(الكامل)

وَعَلِمتُ أنّي مُصْبحٌ بِمَضِيعَةٍ   غَبرَاءَ تَعزِفُ جِنُّها مِذْكَارِ[1175]

ويشير حسان بن ثابت إلى فلاة، تغدو وتروح فيها الجن، حتى أصبح لها فيها أثار، وذلك بقوله[1176]

رُبَّ خَرْقٍ أَجَزْتُ مَعْلَبَةَ الجِنِّ   وَمَعي صارِمُ الحديدِ إبَاطي[1177] (الخفيف)

وهذا أمية بن أبي عائد، يجعل الصحراء، بما فيها من مخاوف، تزيد من قوة الجن، وتحولها إلى غول مخيفة، بقوله: [1178]

صحاري تَغوَّلُ جِنَّانُّها   وأحرابُ طَوْدٍ رفيعُ الجِبَالِ (المتقارب)

1171 – الصّدى: الهامة، العزف:صوت الجن، وهو صوت الرياح في الجو، فتوهّمه أهل البادية صوت الجن.

1172 –الحُدب: جمع حدباء وهي التي بدت مرافقها وعظم ظهرها.

1173 – كعب بن زهير: **ديوانه**، ص47.

1174 –المصدر نفسه، ص22.

1175 –المضيعة: القفر الخالي، المذكار: ذات هول وفزع، وقيل: التي لا يسلكها الاّ الذكور من الرجال، غبراء: علتها هبوة من جدوبها، وقلة خيراتها.

1176 – حسان بن ثابت: **شرح ديوانه**، ص181.

1177 – طريق ملعوب: أي مطروق، صارم الحديد: سيفه؛ أجزت: سَلَكْتُه، تأبَّطة: احتضنه.

1178 – الهذليون: **الديوان**، 173/2.

ويرسم بشر بن أبي خازم لوحة للصحراء، وقد جمعت في ثناياها الجنان ومطاياها الظباء، في وقت الظهيرة، إذ ترسل الشمس لهبها وشواظها، على الرمال الصفراء، فتكاد تنقلب حباتها إلى جمرات، هذه الأرض لا يؤنس بها، إلاّ لعزيف الجن، ويا له من ونس موحش، فيقول[1179]:

وَخَرْقٍ تَعْزِفُ الجِنَّانُ فيه   فَيَافِيهِ تَطيرُ بِها السَّهام [1180]   (الوافر)

ذَعَرتُ ظِباءَه مُتَغَورّاتٍ   إذا ادَّرَعَتْ لَوامِعَهَا الإكَامُ

ويوغل الأعشى في تصوير رهبة البادية، التي تنبعث في أرجائها صيحات الجن المختلفة، فيقول:[1181]   (المتقارب)

وَيَهماءَ تَعزِفُ جِنَّانُها   مَنَاهلُهَا آجِنَاتٌ سُدمُ[1182]

ويصف زهير بلدة نائية عن العمران، وقد توطنت الجن فيها، فأصبحت تمتلئ بأصواتهم، وأخذت الثعالب، تصرخ مذعورة منها، بقوله: [1183]   (المنْسَرح)

وَبَلْدةٍ لا تُرامُ خَائِفةٍ   زَوَراءَ مُغْبَّرةٍ جوانبُها

تَسْمَعُ لِلجِنَّ عازِفينَ بِها   تَضْبَحُ مِنْ رَهْبةٍ ثَعَالِبهُا

وممن أشار إلى وجود الجن في القفار، المُثقَّب العبدي، وذلك بقوله: [1184]   (السريع)

في لاحبٍ تَعْزِفُ جِنّانُهُ   مُنْفَهقِ القَفْرَةِ كالبُرْجُدِ [1185]

ويشير أيضاً، إلى أنّه اجتاز بناقته موماة تعزف جنُّها، بقوله: [1186]   (السريع)

1179 – بشر بن أبي خازم الأسدي: **ديوانه**، ص 203–204.

1180 – السَّهام: لعاب الشمس، أي خيوطها.

1181 – الأعشى: **ديوانه**، ص 197

1182 – اليهماء: المفازة، سُدم: متغيرة، الطامسة معالمها.

1183 – زهير بن أبي سلمى: **شرح ديوانه**، صنعة الشنتمري، ص212–213، **الحيوان**، 308/6.

1184 – المثقب العبدي: **شرح ديوانه**، ص29.

1185 – لاحبِ: الطريق البيّن، منفهق: واسع، البُرجُد: كساء فيه خطوط.

1186 – المثقب العبدي: **شرح ديوانه**، ص33، **البيان والتبيين**، 128/1.

فِي بَلدةٍ تَعْزِفُ جِنَّانُها   فيها خَنَاطِيلٌ مِنَ الرُّوَّدِ[1187]

ويقول الحطيئة[1188]:   (الطويل)

وَأنَّى اهْتَدَتْ، والدَّوُّ بَيْني وَبَيْنَها   وَمَا كانَ سارِي الدَّوِّ باللّيلِ يَهْتَدي[1189]

فهو يشير إلى أرض الدَّو التي لا رَجُل فيها، ولا شيء الاّ الجنان، ولا يمكن للإنسان المارّ فيها أن يهتدي؛ لأنها تدوي بمن صار فيها؛ أي تذهب به.

فانعكست هذه المعتقدات على تصرفاتهم، فكان البدوي يخاف أن يدوس أرضها، دون معرفة منه، وإذن منها، فإذا جاء موضعاً عرف أنه موطن لها، بدأ بالسلام على سيّد ذلك المكان، طالباً الإذن بالمرور، أو النزول في جواره، حتى إذا سمع صوتاً، أو رأى إشارة، يفسرها قبولاً وترحيباً، ويطمئن ويرتاح، أما في الحالات الأخرى، فإنه يستشعر خوفاً لا يوصف، ويتهيأ له سماع صوت تطير نفسه مِنه، ويخال الجن غضبى عليه؛ لأنه اقتحم ديارها، وربّما لجأ إلى طقوس وشعائر؛ ليُذْهب ما في نفسه من الروع[1190]، ومن الطقوس التي سجلها الشعراء، ما كان يمارسها الرجل، إذا ضل في الصحراء، من ذلك ما قاله أحد الأعراب: [1191]

قَلَبْتُ ثيابي والظُّنونُ تَجُولُ بِي   وَتَرْمي بِرِجْلي نحوَ كلِّ سَبيلِ   (الطويل)

فلأياً بلأيٍّ ما عَرَفْتُ حَلِيْلتَي   وَأَبْصَرْتُ قَصْداً لم يُصبْ بِدَليلِ [1192]

وقول أبي العملّس الطائي: [1193]   (الوافر)

فَلَو أَبْصَرْتَني بِلَوى بِطَانِ   أُصَفِّقُ بالِبَنَانِ على البَنانِ

[1187] – إبل خناطيل: متفرقة، الروَّد: الدواب التي ترعى.
[1188] – الحطيئة: **ديوانه**، دار صادر، ص 47.
[1189] – الدوّ: صحراء ملساء لا علم فيها، وقيل صحراء بين البصرة واليمامة.
[1190] – **أثر الصحراء في الشعرالجاهلي**، ص 192
[1191] – **بلوغ الأرب**، 316/2.
[1192] – اللأى كالسعى: الإبطاء والاحتباس والجهد والمشقة.
[1193] – **بلوغ الأرب**، 316/2.

فَأَقْلِبُ تارةً خَوفاً رِدائي وَأَصْرَخُ تارةً بِأَبي فُلانِ!

لقُلْتَ أبو العْمِلَسِ قَدْ دَهاهُ منَ الجِنَّانِ خالعةُ العَنَانِ!

يتضح من ذلك أثر الجن في نفوس العرب، وأن معارضات الجن للأعراب تكثر في القفار والبيد، فتحاك الخرافات المخيفة، والأساطير التي تحذر الناس من الاقتراب منها...

وقد يكثر الجن في بعض المناطق الصحراوية، من ذلك ما ورد ذكره في الشعر الجاهلي عن أرض إصمت، وهي أرض يبدو من لفظها أنها برية؛ بدليل قول العرب بوحش اصمت، ولقيته بوحش أصمت، أي بمكان مقفر [1194]، وربما كانت تسمية هذه الصحراء بهذا الفعل؛ للغلبة ولكثرة ما يقول الرجل لصاحبه، إذا سلكها، اصمت لئلا تُسْمع، فتهلك؛ إما لِشَدّة الخوف؛ وإما لإثارة الجن، يقول أحد الشعراء ذاكراً تلك الصحراء: [1195]

(البسيط) أَشَلى سُلُوقَّيةٍ باتَتْ وَباتَ لها بِوَحْشِ أصْمتْ في أصْلابِها أَوَدُ

ويبدو البدي موضعاً تنسب إليه كثرة الجنان، إذ يقال: جنُّ البديَّ، كما يقال: جن ذي شمار، وغول القفرة، وغول الربضات...وكلها أماكن تسكنها الجان وتسمى باسمها [1196]

ويرثي أعشى باهلة أخاه المنتشر، ويصفه بالجرأة من خلال اقتحامه، وسيره في البيد التي لم تطأها قدم، فلا أثر فيها لغير الجن، فيقول: [1197] (البسيط)

يَمْشي بَبَيْداءَ لا يَمْشِي بِها أَحَدٌ وَلاَ يَحِسُّ، خَلا الخَافي بها أثر[1198]

يؤكد قول الشاعر تواجد الجن في الأماكن الخالية الموحشة المقفرة، ويبدو أنه يعبر عن ذلك، من خلال تعبيره عن قضاياه وأحاسيسه، ومواقفه من الحياة والناس، فهو يعكس رؤيته للواقع، ويصور ناقته، وسرعتها التي ينفذ من خلالها إلى تجسيد قدرته، ونشاطه، وجرأته على اجتياز

1194 – **معجم البلدان**، 357/5.

1195 –**لسان العرب**، مادة "صمت".

1196 –**أديان العرب قبل الإسلام**(ووجهها الحضاري والاجتماعي)، ص355.

1197 –**جمهرة أشعار العرب**، ص255، الأصمعيات، ص90.

1198 – الخافي: الجنّي.

تلك المناطق المهلكة والمفزعة، وقد ذكر لبيد جن البديِّ [1199]،كما ذكر النابغة الذبياني جن البقار بقوله:[1200] (الكامل)

سَهَكِينَ من صَدإ الحديد كأنَّهم تحت السَّنورِ جنّةُ البقَّارِ[1201]

كما ذكر ذلك عمرو بن معد يكرب، بقوله[1202]: (الوافر)

وأرضٍ قَدْ قَطَعْتُ، بِهَا الهَواهى من الجِنَّانِ سَرْبخَـُها ملَيع[1203]

تَرَى جِيفَ المَطيَّ بِحَافتْيـــهِ كأنّ عظامَها الرّخْمُ الوُقُوعُ

فتبدو هذه القفرة، لخلوها من البشر مأهولة بالجن، فلا يسمع بها إلاّ عزيفها. ويتماثل هذا مع قول كعب بن زهير، الذي يجعل الصحاري مَسرحاً للجن والذئاب؛ وما ذاك إلاّ ليفتخر بشجاعته وناقته، التي استطاعت أن تخترقها، فيقول: [1204] (الطويل)

وَخَرْقٍ يَخافُ الرّكْبُ أَنْ يُدْلجُوا به يَعُضُّونَ مِنْ أَهْوالِهِ بالأنامل

مَخُوفٍ بِهِ الجِنَّانُ تَعْوي ذِئابُهُ قَطْعتُ بِفَتْلاءِ الذّراعَيْنِ بازِلِ[1205]

ويبالغ نابغة بني شيبان، في تصوير الأثر الذي تركته رؤية الجن، في الأماكن المقفرة في نفسه، ويقول: [1206] (البسيط)

وَبلْدةٍ مُقْفِرَةٍ أَصـواءُ لاحِبها يَكادُ يَشْـمِطُ مِنْ أَهْوالِها الرَّجلُ[1207]

1199 – ينظر، لبيد بن ربيعة: **ديوانه**، ص234.

1200 – النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص104.

1201 – سَهكين: رائحة كريهة من حمل الأسلحة، السنّور: الأسلحة.

1202 –**الأصمعيات**، ص176

1203 – الهواهى: ضوضاة الجن، مفردها (هوهاة)، السربخ: ما بينها وبين أرض أخرى، المليع: الواسع من الأرض.

1204 – كعب بن زهير: **ديوانه**، ص76.

1205 – بازل: البعير إذا استكمل السنة الثامنة وفطر نابه، الفتلاء: الناقة التي مال ذراعاها عن زورها وهو أكرم لها.

1206 –نابغة بني شيبان: **ديوانه**، ص 144

1207 – أصواء: العلامات على الطريق يستدلُّ بها، اللاحب: الطريق الواضح، يشمط: يشيب شعره، فيغدو أشمط.

سَمعتُ مِنْها عزيفَ الجِنَّ ساكِنِها وقد عَرَاني مِنْ لَوْنِ الدُّجى طَفَلُ[1208]

فقد اصفر وجهه، وكلح لونه، عندما سمع عزيف الجن، ودويها وقت الغروب. وتتضح العلاقة بين الجن والفيافي، من خلال قصة عبيد بن الأبرص والشجاع، إذ يقول: [1209] (البسيط)

يا صَاحِبَ البَكْرِ قَد أنقذتَ من بَلَدٍ يحارُ في حافتَيْها المُدلِجُ الهادي

فقد جعل الصحراء سبباً للضلال، والبعد عن الهداية؛ لما فيها من الجن. ولا ننسى خبر جماعة أمية بن أبي الصلت، وما فعلته بهم المرأة الجنية، التي كانت تقيم في الأودية والقفار[1210].

وفي هذا المجال لا بد من الحديث عن أرض وبار التي جعلوها مثلاً في الضلال، يتحدثون عنها، كما يتحدثون عن الدّهناء، والدوّ، والصمّاء، ورمل يبرين[1211]، ويؤكد الأعشى ذلك، معتبَراً أرض وبار مثلاً في بُعد الاهتداء والضلال، فيقول: [1212] (المنسرح)

ألم تَروا إرَماً وعاداً، أوْدَى بَها اللّيلُ والنهارُ.

وَقَبْلَهمُ غالَتْ المنايا طَسْماً وَلمْ يُنجِها الحَذَارُ.

وَمَرّ حَدٌّ على وَبار فَهَلَكَتْ جهَرةً وَبارُ.

وُينَشِد شاعِرُ آخر في ذلك: [1213] (الطويل)

وداعٍ دَعا والَّليلُ مُرْخٍ سُدولهُ رَجاء القِرَى يا مُسْلِم بَنَ حِمَار

دَعا جُعْلاً لا يَهْتَدَي لِمقِيْلَةٍ مِن اللُّؤْم حتّى يُهتدي لوبــار.

[1208] – الطفل: صفرة الأفق عند الغروب.

[1209] –**جمهرة أشعار العرب**، ص50.

[1210] – **مروج الذهب**، 141/2.

[1211] – **الحيوان**، 216/6.

[1212] – الأعشى، **ديوانه**، ص71.

[1213] – **الحيوان**، 216/6، مروج الذهب،(دار الكتب العلمية)، 153/2-154.

وقالوا "وبار أرض، كانت فحال عادٍ تسكنها بين اليمن ورمال يبرين، فلما هلكت عاد، أورث الله ديارهم الجن، فلا يتقاربها أحدُ من الناس، وأنشد "مثل ما كان بَدءُ أهلِ وبار"[1214]، وقيل "إنها بلدة يسكنها النسناس"[1215]، وتؤكد الروايات القديمة ذلك بقولها "إنّ وبار أقفرت، ولم يَعُد فيها إلاّ الإبل الوحشية التي ضربت فيها فحول الجن، كالعمانية والعسجدية"[1216]، وقد جاء في الأمثال ما يؤكد كون وبار أرض الجن،إذ يقال (أهدى من دُعيميص الرمل) والدعيميص دويبة صغيرة، سمي بها عبدٌ أسود كان خريتاً، يزعم أنه لم يدخل أرض وبار غيره، فقام في الموسم، وقال:

فَمَن يُعْطِني تِسعاً وتسعينَ بَكْرَةً   هِجَاناً وأدماً أهدِهِ لِوبارِ   (الطويل)

فقام رجل من مهرة، وأعطاه ما سأل، فلما توسطوا الرمل، طمست الجن عين دعيميص، فتحير، وهلك هو ومن معه، في تلك الرمال" [1217].

ومن الأدلة على تواجد الجن في المناطق المنخفضة، ما قاله النابغة الجعدي يصف حماراً وحشياً أثار بقرة: [1218]   (الطويل)

فَهَايَجَها حُمْشُ القوائمِ سَابِحٌ   رَعَى بِجِواءِ الجِنَّ بالصَّيفِ أشْهُرا[1219]

ومن الأماكن الصحراوية التي ذكر فيها الجن منطقه يقال لها "رَمْلِ عالج"، وقيل إنها متصلة بوبار، وهي رملة بالبادية [1220] وقد انعكس ذلك في تصرفاتهم؛ إذ ورد أن أحد الأعراب مر بهذا الموضع، وخاف جنَّهُ، فأخذ يتوسل إليهم ألاّ يُرْهِقُوه، ويستجير بِجِنّ عالج، ويقول: [1221]

يا جِنّ أجزاءِ اللَّوى مِنْ عَالِجِ   عاذَ بِكُمْ ساري الظَّلامِ الدّالِجِ (الرجز)

لا تُرْهقُوهُ بِغَويٍّ هَائجٍ

[1214] – **تاج العروس**، مادة(وبر).

[1215] – الحموي: **معجم البلدان**، 356/5–357.

[1216] – **الحيوان**، 216/6، **معجم البلدان**، 357/5.

[1217] – **مجمع الأمثال**، 409/2، **حياة الحيوان الكبرى**، 337/1، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية،36/2.

[1218] – النابغة الجعدي: **ديوانه**، ص62.

[1219] – الجواء: المنخفض من الأرض، حمش القوائم: دقيقها، السابح: السريع.

[1220] – **بلوغ الأرب** ، 326/2.

[1221] – **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 721/6.

نلاحظ اقتران ورود الجن بعزيفها، وهذا أمر طبيعي، فلا يمكن فصل الجن عن أصواتها، فأينما تحل لا بد أن تصدر أصواتا، وكذلك اقترانها بذكر ناقة الشاعر وجواده، وما ذاك إلا لأنه يعبر عن شجاعته وجرأته، وقدرته التي تميزه عن غيره، باستطاعته اجتياز هذه الفيافي، وأكثر مواطن الجن في نظر الجاهليين، هي الموحشة المظلمة ولقفار، وكلّها أماكن رهيبة، تلقي الرعب في قلوب الناس.

المبحث الثاني

الجن والشجر

أثارت الأشجار العظيمة خيالات الإنسان القديم، ودخلت في وهمه، فأعجب بها، وأعزها وقدّسها؛ إما خوفاً من ضخامتها، أو نتيجة لنفعها، وما يصاحب حياتها من غموض، لم يتوصل إلى سره، وتركت عزلة الأشجار العظيمة، وسكونها، وحقيقتها آثاراً عميقة في طبيعة البشر الحساسة، فآمنوا بوجود قوى روحية كامنة فيها؛ معتقدين بآثارها الخطيرة في حياتهم، فاتخذوا مواضعها حرماً آمناً، يتبركون بها، ويتقربون إليها بالنذورِ، والقرابين مخافة الأذى[1222]، لاعتقادهم أن أرواح الموتى من الأسلاف تحل بها، وقد كانت العادة الشائعة في الصين، أن تزين الأشجار التي تنمو فوق المقابر؛ لأنها ترتبط ارتباطا وثيقاً بأرواح الموتى، ومن ثم ساد الاعتقاد "أن قطع الأشجار المسكونة سيؤدي إلى غضب الأرواح، بخروجها من مساكنها"[1223].

ومما يدل على أنّ الأشجار مأوى الجن والأرواح الشريرة، ما حدث مع مرداس والد عباس وحرب بن أمية، "إذ اتفقا على أن يصلحا غيضة مشجرة، فأضرما النار فيها، فلما استطارت، وعلا لهبها، سُمع من الغيضة أنين، وضجيج كبير، ثم ظهرت منها حيّاتٌ بِيْضٌ تطير، وقيل هربت تلك الكائنات الروحية، على شكل أفاعٍ بيضاء" [1224]، ولم يلبث حرب ومرداس أن ماتا، وينسب إلى الجن، أنها قتلتهما، وقالت فيهما شعراً [1225] ، ومما يعزز كون الأشجار مأوى للجن والشياطين، ويؤكد اعتقاد العرب أن الجن والقوى الغيبية تحل بالأشجار، وأنّ بإمكانها أن تلحق الضرر والأذى بهم، أنهم كانوا إذا ركب أحدهم مفازة، وخاف على نفسه من طوارق الليل، عمد إلى واد ذي شجر، فأناخ راحلته في قرارته، وعقلها، وخَطّ عليها خطاً، ثم قال: [1226]

[1222] – القيسي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص69، **مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي**، ص58 .

[1223] –**مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي**، ص58.

[1224] – النوري، قيس: **الأساطير وعلم الأجناس**، ص149.

[1225] – **الحيوان**، 207/6، **مروج الذهب**، 141/2.

[1226] – **بلوغ الأرب**، 326/2، **الوثنية في الأدب الجاهلي**، ص170.

هَيا صَاحِبَ الشَّجْراءِ هَلْ أنتَ مَانعي فإنِّي ضَيْفٌ نازلٌ بِفنائكا [1227] (الطويل)

وإنّكَ لِلجِنّانِ في الأرضِ سَيِّدٌ وَمْثلُكَ آوى في الظلامِ الصَّعَالِكا

فالشاعر يستعطف سيّد الجن الذي يقيم في داخل الأشجار.

ومن الأشجار التي قدسها العرب، واعتقدوا أنها مسكونة من الجن، والملائكة تنزلها، حيث تسمع فيها راقصة أو مغنية، تلك التي تسمى (المناهل) وقد حرّموا قطع أغصانها، وكانوا يحجون إليها، ويتقربون إليها بالضحايا، ويعتقدون بقدرتها على شفائهم من الأمراض [1228].

وقد سجل الشعراء الجاهليون هذه المعتقدات في أشعارهم، فهذا عنترة بن شداد، يؤكد إقامة تلك الكائنات في غابات الشجر، بقوله [1229]: (الكامل)

والجِنُّ تَفْرُقُ بَينَ غاباتِ الفَلا بِهمَاهِمٍ وَ دَمَادِمٍ لَمْ تُغْفلْ

وليس أدلُّ على ذلك من شجرة (العُشر) التي حظيت بنظرة خاصة، وهي التي ظنت العرب "أنها مسكن الشياطين" [1230]، إذ اعتقدوا أنّ الأرواح الشريرة، تستقر في بعض أنواع الشجر، "كالعشرة التي تستوطنها" [1231]، ونَسَجَت حولها الأساطير، وبلورت المعتقدات، فقد "جعلها العربي رقيباً أو حارِساً على زوجته" [1232]، وذُكِرَ أن رجلاً من العرب أراد سفراً، فأخذ يوصي امرأته، ويقول: إياك أن تفعلي، وإياك، فإني عاقدٌ لك رتمة بشجرة، فإن أحدثتِ حَدَثاً انحلّت، وقد سجل الشاعر ذلك بقوله: [1233]

(البسيط)

خَانَتْه لَمّا رأتْ شَيْباً بِمَفْرقه وَغرَّه حَلفُها والعَقْدُ للرَّتمِ

[1227] – **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، ص371، وردت برواية (ضعيفٌ).

[1228]– **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص111.

[1229] – عنترة بن شدّاد: **ديوانه**، ص 134.

[1230]– **الأساطير العربية قبل الإسلام**، ص 52.

[1231] – **المفصل في تاريخ العرب**، 60/6.

[1232]– **الأساطير العربية قبل الإسلام**، ص54.

[1233] – صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 465/1، **بلوغ الأرب**، 316/2–317.

وهذا يعكس اعتقاد العرب بقدرة هذه الشجرة، من خلال الشياطين التي تسكنها، على المحافظة على زوجته أثناء غيابه، ويستدلّ على تلك العلاقة، من خلال قول أحد الشعراء: [1234] (الرجز)

فانْصَلَتتَ لِيْ مِثْلَ سِعلاةِ العُشُرْ تروحُ بالوْيِلِ وتَغْدو بالغِيَرْ

فالشاعر ينسب السعلاة إلى ذلك النوع من الشجر. ونلمحُ علاقة لغوية ومعنوية بين شجرة العشر والرابطة الزوجية؛ لأن العشير هو الزوج، كما في قول ساعد بن جؤبة: [1235] (الطويل)

رَأته على يأسٍ وقدْ شابَ رأسُها وحينَ تصدّى للهوان عشيرها

ونجد في تسمية النوق العشار، ما يشير إلى تلك العلاقة، وبيان أثر هذه الأشجار في الخصب والحياة[1236]، كما آمن العرب بأن حيوية الشجر والحجر، تطورت إلى صورة الجن والأرواح التي تسكنها، فأصبحت الأشجار والأحجار من بقاية تبركات تلك الأرواح[1237]، ويؤكد تلك العلاقة أن بعض العرب تسمى باسم شجرة العشر، فبنو العشراء قومٌ من العرب،وذو العشيرة موضع بالصمانٍ، ينسب إلى عشرة نابتة فيه[1238]، وهذا يدل على إيمان بعض المؤلفين بطوطمية كل من الشجر، والحيوان والجن.

وقد أورَد الجاحظ قصة على لسان ابن الأعرابي، تؤكد علاقة هذه الشجرة بالجن، فحواها "أنّ أعرابية واعدت أعرابياً أن يأتيها، فكمن في عشرة كانت بقربهم، فنظر الزوج، فرأى شبحاً في العُشرة، وقال (لامرأته) "يا هنتاه"، إنّ إنساناً ليطالعنا مِن العُشرة، قالت: مه يا شيخ، ذاك جان العُشرة، إليك عني، وعن ولدي، قال الشيخ: وعني - يرحمك الله- قالت: "وعَنْ أبيهم، إن هو غطّى رأسه وَرقد"[1239].وكانوا يعتقدون أن شجرة الحماطة، هي الشجرة التي تأوي إليها

[1234] – **الحيوان**، 171/6.

[1235] – **بلوغ الأرب**، 204/2.

[1236] – **الأساطير العربية قبل الإسلام**، ص72، موسوعة الفولكور والأساطير العربية، ص66–67.

[1237] – المصدر نفسه، ص52.

[1238] – **لسان العرب**، مادة (عشر).

[1239] – **الحيوان**، 168/6–169.

الشياطين والحيات، إذ جاء في المثل العربي "ما هو إلاّ شيطان الحماطة" [1240]، ويؤكد تلك العلاقة قول الشاعر: [1241] (الرجز)

عَنْجِردٌ تَحلِفُ حينَ أَحْلِفُ كَمِثْلِ شَيْطَانِ الحَمَاطِ أعرفُ

ويقول طرفة بن العبد موضحاً تلك العلاقة: [1242] (الطويل)

تُلاَعِبُ مَثْنىً حَضْرَميِّ كأنَّهُ تَعمُّجُ شَيْطَانٍ بذي خِرْوَعٍ قَفْرِ

ومن الأشجار التي لها علاقة بتلك الكائنات، شجرة السمرة التي "أطلقوا عليها أم غيلان"[1243]،"تلك الشجرة التي تعد شجرة العزى، والتي خرجت منها شيطانة بصورة منفرة" [1244]

ويؤكد علاقة الجن بالأشجار، ما ذكروه عن (وبار)، "أنها أخصب بلاد الله، وأكثرها شجراً، وأطيبها ثمراً، وأكثرها حبّاً وَعِنباً، وأكثرها نخلاً وموزاً، فإذا دنا منها إنسان متعمداً، أو غالطاً حثوا في وجهة التراب، فإن أبى الرجوعَ، خبلوه، وربّما قتلوه"[1245].

نخلص من ذلك إلى أن الإنسان الجاهلي كان متفاعلاً مع الطبيعة تفاعلاً قسرَّياً، يرى الظواهر الطبيعية، والمخلوقات المختلفة، فيتأملها من خلال حركاتها وتكويناتها، محاولاً الوصول إلى تفسير، وإجابات يقتنع بها، مما دفعه إلى استخدام عقله في نسج الأساطير، فأملى عليه ذلك أن يزعم أن كل حركة تصدر مما حوله، لا بد أن يكون وراءها أيادٍ خفية، فنسبها إلى الجن والأرواح، وأن الشجرة من الأشياء المقدسة.

1240 – **مجمع الأمثال**، 446/1، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص422.

1241 – **لسان العرب**، مادة (شطن)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص422.

1242 – طرفة بن العبد: **ديوانه**، ص156.

1243 – **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص87.

1244 – الأصنام، ص25، **الوثنية في الأدب الجاهلي**، ص48.

1245 – **الحيوان** 215/6، **معجم البلدان**، 356/5–357.

المبحث الثالث

الجن والجبال

تعدّ الجبال من الأماكن التي ارتبطت بالجن ارتباطاً وثيقاً، إذ أن الجن في اعتقادهم، تتخذ مساكنها في الأماكن المهجورة، والبعيدة التي لا تطأها قدم إنسان، والتي تشكل موطنَ خطر ورَعبٍ؛ لذلك نالت الجبال تقديس الجاهليين، لا لذاتها؛ وإنّما لما يَحِلُّ فيها من تلك الكائنات التي عَبَدها نفر من العرب، واستعانوا بها، وَرَفعوها إلى مرتبة الآلهة، و بالتالي فإن خوفهم من الجبال، وتقديسهم لها، يرجع إلى خوفهم من الجن، وعبادتهم لها [1246]

وقد سّجل الشعراء الجاهليون العلاقة التي بين الجن والجبال، فهذا الشاعر جَران العود يشير في حديثه عن زوجته إلى تلك العلاقة، بقوله: [1247] (الطويل)

حَمَلْنَ جَرَانَ العودِ حتَّى وَضَعْنَهُ بِعلْيَاءَ في أَرْجَائها الجِنُّ تَعزِفُ

وذكر الجاحظ "أن جبل سُواج من الأماكن التي تتواجد فيها الجن" [1248]،وقد قال ابن المُعلي الأزدي في قول تميم بن مقبل:[1249]

(الطويل)

وَحَلّتْ سُِواجاً جِلّةً فكأنّما بِحَزْمِ سِواجٍ وَشمُ كفٍّ مٌقرَّحِ[1250]

ويُعَدُّ جبل (عَيْهم) من مساكن الجن، ويتضح ذلك، في قول حميد بن ثور الهلالي: [1251]

(الطويل)

1246 – القيسي، نوري حمَّودي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص69.

1247 – جران العود: **ديوانه**، ص19، **الحماسة البصرية**، 1194/3م، **الشعر والشعراء**، 605/2-608.

1248 – الحيوان، 182/6، **معجم البلدان**، 271/3.

1249 – الحموي: **معجم البلدان**، 271/3.

1250 – سواج: جبل تأوي فيه الجن.

1251 – حميد بن ثور الهلالي: **ديوانه**، ص95، ورد البيت في ديوان الشماخ بن ضرار برواية (زرنَ جناً بِجَنْبَهَما)، الشماخ ابن ضرار، ديوانه: حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، 1968 الملحق، ص 461.

كأنّ هَزيرَ الرَّيحِ بَيْنَ فُروجِهِ   عَوَازِفُ جنٍّ زُرْنَ حَيّاً بِعَيْهما

ويؤكد علاقة الجن بالجبال، ما وَرَدَ عن جبلي "سيلان وكوكبان"، "حيث كانت الجن في الأول تقوم بحماية البيئة، أمّا الثاني ففيه قصران محكما الصنع، قواعدهما من الصخر المنحوت، من أروع ما يكون، من بناء الجن، أي أن الجبلين مسكونان بالجن"[1252]، وقد أشار كعب بن زهير إلى تلك العلاقة، بقوله : [1253] (البسيط)

حتّى سَقَى اللَّيلُ سَقْي الجنَّ فانغمست   في جوزهِ إذا دَجَا الآكامُ والقُورُ[1254]

غطَّى النَّشازَ مَعَ الآكامِ فاشْتَبَهـا   كِلاهُما في سوادِ اللَّيلِ مَغْمَورُ

فكل ما في الأبيات، يؤكد إقامة الجن في الجبال والمرتفعات، وهذا ما دفع الإنسان الجاهلي إلى النظر إلى الجبال نظرة خوف وَرَهبة، ولا سيّما أنّها تعدّ واسطة، تربط العالم العلوي، بما فيه الجن والآلهة والشياطين بالعالم السفلي، كما رأوا فيها مكانَ استراق السمع، وإلقائه على مسامع الكهنة؛ لقربها من العرش السماوي. [1255]

ومن أشهر الجبال التي عُدّت مقرّاً لشياطين الشعراء، جبل عبقر ذلك الجبل الذي اختلف الرواة في تحديد موقعه، فقالوا: موضعٌ بالبادية كثير الجن، ويقال في المثل "كأنهم جنّة عَبقَر" [1256].

وزعم بعض العرب أنه بلد الجن، ونسبوا إليه كلّ شيء عجيب[1257]، وقيل إنه اسم جبل بالجزيرة، كان يصنع به الوشي، وُينْسب إليه كلّ شيء جديّد"[1258]، وقد جعله ياقوت موضعين،

1252 – القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص115، معجم البلدان، 494/4.

1253 – كعب بن زهير: **ديوانه**، ص41، جوز الليل.

1254 – جوز الليل: **وسطه ومعظمه**، وجاز: أظلم، القور: جبل طويل في السماء، النَّشار: ما ارتفع من الأرض.

1255 – صالح، محمود سمارة محمد: **الجبل في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 1999م، ص36.

1256 – **لسان العرب**، مادة(عبقر)، **تاج العروس**، مادة(عبقر).

1257 – **شياطين الشعراء**، ص56.

"أحدهما بنواحي اليمامة، والأخر كان يسكنه الجن، ولم يعُين موضعه"[1259]، وهذا الاضطراب في محاولة معرفة أصول كلمة عبقر، مردود إلى تلك القوة التي أحيطت بها الكلمة، حتى دخلت الإطار الكوني [1260]، وهذا ما نلمحه في أشعار الجاهليين، فهذا زهير بن أبي سلمى يذكر جن عبقر مشبّها بهم في مجال فخره بعشيرته وشجاعتهم، يقول :[1261]

إذا فَزِعُوا طَارُوا إلى مُسْتَغيثِهِم طُوَالَ الرِّماحِ لِإضعَافٌ ولا عُزْلُ (الطويل)

بِخْيلٍ عَلَيْها جِنّةٌ عَبْقَرِيّةٌ جَديرونَ يوماً أن يَنَالُوا فَيَسْتَعلُوا

وَيُكرر حاتم الطائي الصورة إيّاها؛ فيشبه الفتيان الأقوياء على الخيل بجن عبقر، ويقول: [1262]

عَلَيْهِنّ فِتْيانٌ كَجِنّةِ عَبْقرٍ يَهزُّونَ بالأيدي الوشيجَ المُقَوَّما (الطويل)

ويماثلهم لبيد بن ربيعة، بقوله: [1263] (الطويل)

وَمَنْ قادَ مِنْ إخوانِهم وَبَنِيِّهم كُهُولٌ وَشُبّانٌ كَجِنّةِ عَبْقَرِ

وتلتقي دلالة الكلمة في هذه المواضع، مع ما قاله أبو البقاء "كلّ جليل نفيس فاخر من الرجال، والنساء وغيرهم عند العرب عبقريّ" [1264]، وذكرت الكلمة وصفاً للنفاسة في القرآن الكريم؛ إذ يقول ربُّ العزّة في وصف نعيم أهل الجنّة "**متكئين على رَفْرفٍ خُضُر وَعَبْقريّ حِسان**"[1265]، وهكذا توافقت بداهة البشر، على علاقة كلّ بالغ من الأقوال، والأعمال، بتلك الخلائق المستترة، التي لا تحدّها نقائص اللحم والدم، فكانت الصناعات الفائقة

1258 – **معجم البلدان**، 80/7.

1259 – المصدر نفسه، 79/7.

1260 – **الأسطورة والشعر العربي، مجلة فصول**، م4، ع2، ص47.

1261 – زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، ص59، **الحيوان**، 189/6.

1262 – **الحيوان**، 189/6، لم يرد البيت في ديوانه.

1263 – لبيد بن ربيعة: **ديوانه**، ص102.

1264 – عبقر، ص42.

1265 – **الرحمن**، آية 76.

تنسب إلى عبقر إذ نسب امرؤ القيس إليها صناعة السيوف [1266]، وتماثل قوله مع ما ورد عن طرفة بن العبد إذ يقول: [1267]

عالَيْنَ رَقْماً فاخِراً لَونُهُ، مِنْ عَبْقريٍّ، كنجيعِ الذَّبيحِ (الخفـيف)

ومع قول عبيد بن الأبرص: [1268]

لِلْعَبْقَريِّ عَلَيْها إذْ غَدَوا صَبَحٌ، كأنَّها مِنْ نَجِيعِ الجَوْفِ مَدْمَومَهْ[1269] (البسيط).

ولم يقتصر الأمر على نسبة هذه الأمور إلى الجن؛ فالنابعة الجعدي ينبهر بجمال الطبيعة الذي يقوده إلى وصف جمال الروض، وتشبيهه ببساط مُخْمَليّ ملوّن مِن صنع الجن، فيقول:[1270]

بِمَرْجٍ كَسَا القُريَانُ ظاهِرَ لِيْطَها جِسَاداً من القُرّاصِ أَحْوى وأصفَرا[1271] (الطويل)

إذا هَبَطا غيْثاً كأنَّ جِمَــادَهُ مُجَلَّلةً مِنْها زرابيُّ عَـبْـقَرَا

فتكرار الصورة وتماثلها، يُثْبتُ أنّ الجن الذين ينتمون إلى هذا المكان متمّيزون.

ولم يختلف معنى كلمة عبقريّ، عند غير العرب، فهي عند الأوروبيين منسوبة إلى الجِنّ، ومعناها صاحِبُ الجِنّة أو الشبيه بالجِنّة في القدرة، والتفوق كائناً ما كان العمل الذي يتفوّق فيه[1272]، كما عبّر الإنجليز عن العبقرية بكلمة "Genius" ومعناها جن[1273]، مما يؤكد أنّ العلاقة بين العبقرية والجن في اللغة الإنجليزية، كالعلاقة بين عبقر والعبقرية في اللغة العربية.

1266 – امرؤ القيس: **ديوانه**، ص63.

1267 – طرفة بن العبد: **ديوانه**، دار صادر، ص16.

1268 – عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، دار صادر، ص134.

1269 – الصَبَحَ: الوضوء واللمعان، المدمومة: من الدم.

1270 – النابغة الجعدى: **ديوانه**، ص64.

1271 – الجُساد: الزعفران الأصفر، القريان: مجرى الماء في الروض، الليط: قشر القصب، الأحوى: الحُمرة التي تميل إلى السواد،الزرابي: البسط المخملية.

1272 – **شياطين الشعراء**، ص110.

ونجد في طقوس الاستسقاء ما يشير إلى العلاقة بين الجنّ والجبال "إذ كان الاعتقاد الشائع أنّ القوى الغيبية، هي المسيطرة على مُجريات الحياة، بما في ذلك المطر، وفي سبيل الحصول عليه، يجب إرضاء تلك القوى، عن طريق التوسّل والتضرّع والتذلُّل، والتعاويذ والسحر، وتقديم القرابين، والصلوات لها" (1274)، "فقد كانوا يصعدون بقرابينهم في جبل وعْرٍ، ويشعلون فيها النار (1275)، فلماذا الجبال بالذات؟ وما علاقتها؟ لولا اعتقادهم أنّ فيها القوى الخفيّة القادرة على جلب الخير لهم وإلحاق الأذى بهم، والتي تتحكم في سقوط المطر، فقد ذكرت المصادر أن العرب كانوا "إذا أصابَهُم قحط، صعدوا إلى أبي قبيس للاستسقاء" (1276)، ذلك الجبل الذي "يَرَوْن فيه قوة سحريّة، قادرة على إزالة أوجاع الرأس"(1277)، وقد جاء في تفسير تسمية أبي قبيس بهذا الاسم، ما يشير إلى أن الجبال، مأوى للجنّ والأرواح. وذلك يعود "إلى اختفاء رَجل أسمه (قبيس بن سراج) وانقطاع ذكره، هناك، وقيل إنه- استقرّ في الجبل، وأنّ روحه تحولت إلى أشباح وأطيافٍ تجول هناك" (1278)، وقد نظرو إلى الجبال على أنها ترمز إلى الأم الكبرى عشتار التي تمنح القلوب الحياة، فحاول الإنسان الهروب إليها؛كي ترد الموت عنه، ويتجسد ذلك في حكاية لقمان ونسوره التي اتخذت الجبال مقراً لها؛ فهذا أمية بن أبي الصلت يتمنى لو كان يرعى الوعول في الجبال؛ لينال الخلود، بقوله: (1279) (الخفيف)

لَيْتَني كُنْتُ قَبلَ مَا قَد بَدَا لي   فِي قِنانِ الجِبَالِ أرْعَى الوُعُولا

فاجْعَلْ المَوْتَ نَصْبَ عينيكَ واحذَرْ   غُولةَ الدَّهْرِ إنّ لِلدَّهرِ غُولا

فهو يؤمن بأن في الجبال قوة خفية تمنحُ الحياة، إلاّ أن ذلك لا يستطيع رد الموت عنه.

1273 – **الأسطورة في الشعر العربي الحديث**، ص66.

1274 – **الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام**، ص41.

1275 – **الحيوان**، 466/4، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 409/1، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 815/6.

1276 – **السيرة النبوية**، حاشية، 225/1.

1277 – **الأساطير دراسة حضارية مقارنة**، ص96–97.

1278 – **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص167.

1279 – أمية: **ديوانه**، ص96.

ومن الجبال التي لها علاقة بالاستسقاء، جبل في المزدلفة يُسمى قُزحاً، وهو اسم شيطان، وقيل مَلَك موكّلٌ بالسُحُب، وقد نهى الإسلام عن إضافة قوس إلى قُزَح، كما أوردَ ياقوت، قول ابن عبّاس: "لا تقولوا قوس قزح، فإن قزح، اسم شيطان، ولكن قولوا قوس الله"[1280]، وكان لهذا المكان علاقة بالاستسقاء؛ لأن هناك ارتباطاً وعلاقة في الاسم بين قُزَح وقوس قزح والسُحب الناجم عنها المطر. كما أنّ "قُزاح" اسم صنم، قد يكون له صلة بهذا الموضع[1281].

وتعكس قصص وأخبار الشعراء، واستلهام الشعر من قوى خفية، نظرة الجاهليين إلى الجبال، على أنّها مأوىً للجن والشياطين. إذ ذكروا أنّ الشاعر كان إذا خانته قريحته، وصَعُب عليه الشعر، يركب ناقته، ويطوف خالياً منفرداً وحده في شعاب الجبال، وبطون الأودية، والأماكن الخربة الخالية فيعطيه، الكلام قياده[1282].

ولا عجب في ذلك، فقد لجأ كثير من الأنبياء والكهنة والعرافين إلى الجبال، واعتكفوا فيها، وما ذاك، إلاّ لأنها تمثل مصدر الوحي والإلهام[1283]، وقد أطلق بعض الشعراء لفظة(كور) التي "تعني العالم الأسفل عند السومريين على الجبال"[1284]، مما يؤكد علاقتها بتلك الأرواح، ويبدو ذلك في قول عامر بن الطفيل: [1285] (الطويل)

وَبِالكُورِ إذْ ثابَتْ حَلائبُ جَعْفَرٍ إَلَيْكُمْ وجاءتْ خَثْعَمٌ لِلّتَحَاشُدِ[1286]

فهو يُقيمُ بها؛ لما لها من مكانة في نفسه؛ وما ذاك إلاّ لما تشتمل عليه من أرواح.

1280 – **معجم البلدان**، 341/4.

1281 – **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 384/6.

1282 – المناعي: في صلة الشعر بالسحر، ص29

1283 – الديك، إحسان: **الوعل صدى تموز في الشعر الجاهلي**، ص47.

1284 – **مغامرة العقل الاولى**، ص28.

1285 – عامر بن الطفيل: **ديوانه**، دار صادر، ص 53.

1286 – الحلائب: **الجماعات وأنصار الرجل من أبناء العمّ خاصة**، الكور: جبل ببلاد الحارث، وأرض باليمامة.

المبحث الرابع

الجن والآبار والأودية

رغم تكامل الصورة الإلهية في مخيلة الجاهلي، إلا أن المحسوسات الطبيعية، كالأشجار والآبار والكهوف والحجارة، بقيت مقدسة، وما ذاك، إلاّ لأنها تعتبر وسائط يتقرب بها العابد إلى المعبود[(1287)]، ولأن هناك قوى خفية تحلّ فيها، وتسيطر عليها، فأخذوا يمارسون إزاءها طقوساً من التذللّ والخضوع والاستعطاف، والسحر والشعوذة، من أجل السيطرة عليها، ومن ثم إخضاعها للإرادة الإنسانية؛ لأنهم نظروا إلى الظواهر الكونية، وكأنها تجارب إنسانية، يمكن تغييرها والسيطرة عليها، خاصة وأن أرواح الأجداد، قد حلت في مظاهرها الطبيعية، واستقرّت فيها، ومن ثم يمكن أن تستجيب للدعاء، والتوسل والسحر[(1288)].

وهكذا تصور القدماء "أن لبعض الآبار رّباً يحميها، مما قادهم إلى تقديس مواطن الماء القديمة، فأضفوا عليها من القوى الخفية، مالم يضفوه على غيرها من الأماكن ، واعتقدوا أن فيها أسراراً غامضة"[(1289)]، وقد يكون هذا هو السبب الذي دفع الجاهليين "إلى نصب بعض أنصابهم، على أماكن المياه، كنصبِ (هُبل) على بئر في جوف الكعبة و (إسافٍ ونائلة) على موضع زمزم"[(1290)].

وقد مارس الجاهليون عدة طقوس، تؤكد هذه المعتقدات، أشهرها "أنهم كانوا إذا غمّ أمر الغائب، جاءوا إلى بئر قديمة، بعيدة الغور، ونادوا يا فلان، أو أبا فلان ثلاث مرات، فإن كان ميتاً، لم يسمعوا ـ في اعتقادهم ـ صوتاً"[(1291)]، وهذا ما نلمحه في قول أحد الشعراء: [(1292)]

دَعَوتُ أَبا المِغْوارِ في قَعْر سَاجٍ بعادي البِئارِ فمَا أجابا (الطويل)

[1287] – حتيّ، فيليب، وآخرون: **تاريخ العرب**–ط7– دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، 1986م، ص143.

[1288]– دراسات **في الشعر الجاهلي**، ص84– 85، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، ص41.

[1289]– **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص169، دراسات في الشعر الجاهلي، ص84.

[1290]– أخبار **مكة**، 117/1

[1291]**- بلوغ الأرب**: 3/3.

[1292] – المصدر نفسه، 3/3.

أظُنُّ أبا المِغْوارِ في قَعرِ مُظْلِمٍ تَجُرُّ عَلَيْهِ الذَارياتُ السَّواقيا

وقول آخر[1293]: (الوافر)

وَكَمْ نادَيْتُـــهُ في قَعْرِ سَاجٍ بعادٍ في البـئار فما أجـابا

مما يؤكد قدرة الشاعر الجاهلي على عكس اللاوعي الجمعي.

ونجد في قصص وحكايات الجاهليين ما يؤكد وجود علاقة بين الماء والجن، ومن ذلك ما حدث مع مالك بن حريم الدلاني وجماعته والشجاع، حين خرج للصيد، فأرشدهم إلى عين ماء غزيرة، سقوا منها إبلهم، وتزودوا، ولم يروا أثراً للعين، بعد قضاء حاجتهم[1294].

ومن تلك الحوادث ما حدث مع عبد المطلب، إذ أتاه آتٍ يُحَدثّه في صيغة، أشبه ما تكون بكلام الكهان، يأمرهِ بحفْر زَمزَم، ويسميها بعدة أسماء، ويرشده إلى موضعها، والآيات الدالة عليها، فيقول: [1295]

يا أَيُّها المُدْلِجُ احفر زَمْزَمْ إنَّك إنْ حفرْتَها لَمْ تَنْدَمْ (الرجز)

فتماثل الصورة في أذهان الجاهليين، وتكرارهم لعبارة "نعوذ بسيّد الوادي"، تشير إلى أنهم، كانوا يخافون من الوديان خاصة؛ لما قد تلحق فيهم من المهالك، فقد نسبوا ذلك إلى فعل الجن، وقيل "إن رجلاً استعاذ منهم، ومعه ولد، فأكله الأسد، فقال معبّراً عن ذلك في شعره"[1296]

وبناء على هذا حّرم العرب القدماء السير والعمل في أماكن شاسعة؛ اعتقاداً منهم أنّ هذه الأماكن هي موطن الأسلاف من الجن "أهمها وادي برهوت، ويبرين وصهين، وهي أماكن تواجد قبائل عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق"[1297]، ومن الأودية التي وَرَد ذكرها وادي

1293- **بلوغ الأرب**، 3/3.

1294- المصدر نفسه، 362/2.

1295- عجينة، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 258/1.

1296– **بلوغ الأرب**، 326/2، **المفصل في تاريخ العرب**، 721/6.

1297 – عبد الحكيم، شوقي: **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية**، ص131.

"تُبل" وهو من الأماكن التي يكثر فيها الجنّ، بدليل ما حدث مع عبيد بن الحمارس والقنفذ[1298]، ويتضح ذلك من خلال قول الشنفرى : [1299]

وَوَادٍ بعيدِ العُمْقِ ضَنْكٍ جُماعُهْ   بَوَاطِنُهَ للجِنِّ والأُسْدِ مِأْلَفُ   (الطويل)

ونلاحظ ذلك في قول جذع بن سنان:[1300]

نَزِلْتُ بِشعِبِ وادي الجِنِّ لَما   رأيتُ اللَّيلَ مُنْتشِرَ الجَنَاحِ   (الوافر).

فهو يتحدّث عَنْ جرأته وشجاعته التي دفعته إلى اقتحام وادي الجن، المكان الذي يوحي بالرهبة، وقد وَرد "أنّ واد النمل واد تسْكنه الجنّ، وأن النمل من مطايا الجن، ولكن لا أثر له"[1301]، ويقول الجزائري"إن النملة التي كلّمت سيدنا سليمان، كانت من قبيلة، يقال لها بنو الشيطان، وكانت عرجاء بقدر حجم الذئب"[1302].

وتعكس قصة إخبار الجن بموت ابن جُدعان هذه المعتقدات، إذ وَرَد في بعض القصص "أن "أباهالة" كان قد خرج في عير لقريش، يريد الشام، فنزل وادياً يقال له (غز) وانتبه أخرِ الليل، فإذا شيخُ قائم على صخرة، ينشد شعراً في رثاء ابن جُدعان، وكان ذلك الشيخ جانّاً مِن الجن، وجرت محاورة شعرية بينهما"[1303].

وإذا عُدْنا إلى أساطير الأمم القديمة، وجدنا أنّ الحيّة باعتبارها شيطاناً، وجدت حيث وجد الماء، فهي حارسة الينابيع، وعيون الماء[1304]، كما "كان مسكنها في جنّة المأوى، على شاطئ نهر الكوثر"[1305].

1298 – **بلوغ الأرب**، 2/ 357.

1299 – الشنفرى: **ديوانه**، ص52.

1300 – **بلوغ الأرب**: 336/2.

1301 – النجار، عبد الوهاب: **قصص الأنبياء**، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص336.

1302 – **الأسطورة والتراث**، ص207.

1303 – الشبلي: **غرائب وعجائب الجن** ، ص194–195، المفصل في تاريخ العرب، 714/6.

1304 – الأحمد، سامي سعيد: **ملحمة جلجامش**، ترجمة سامي سعيد الأحمد، دار الجيل، بيروت، 1404هـ–1984م، ص532.

1305 – الكسائي، محمد بن عبد الله: **قصص الأنبياء**، طبعة ايزن بيرك، بريل، لندن، 1994، ص36–37.

ونخلص من ذلك إلى أن الجن كائنات كانت تعيش في خيال الإنسان، تهدده أينما ذهب، ويتهيأ له أنها تعاكسه وتلاحقه، وأنها تفضّل الأماكن المهجورة، وترتبط بالرهبة والخوف في الذهن العربي، و أن مساكنها تشبه مساكن السباع التي كانت العرب تخافها، فكل شيء مخيف أو صوت غريب كان متعلقاً بالجن في بادية العرب".

الفصل السادس

أبعاد صورة الجن ودلالاتها في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: البعد الميثولوجي

المبحث الثاني: البعد الاجتماعي

المبحث الثالث:البعد النفسي

تمهيد

تعتبر الصورة الشعرية عنصراً أساسياً في بناء الشعر، إذ لا يمكن أن يكون هناك شعر بمعزل عنها " فالصورة ليست شيئاً جديداً والشعر العربيُّ قائم على الصورة منذ أن وجد"[1306]، ولا نستطيع تصور العمل الفني مجرداً من هذا العنصر، أو قائماً على غير هذا الإساس.

ويؤكد الجاحظ تلك العلاقة بقوله: " إنما الشعر صناعة، وضربٌ من النسج، وجِنسٌ من التصوير "[1307].

نلاحظ أن الصورة أساس الشعر، بل هي الشعر نفسه، ورغم مكانتها وأهميتها إلا أنها " تُعَدُّ من أكثر المصطلحات غموضاً في الشعر العربي، وذلك بسبب الخلط بين الأدب العربي الموروث، والنقد الأدبي الذي يدين في الغالب إلى الفكر والأدب الغربيين "[1308]، فقد تعددت دلالات الصورة الشعرية، ومصطلحاتها وأنواعها، وكان لكل باحث أو دارس تقسيمه الخاص به، حسب انتمائه الفكري، أو حتى لَيَحِسّ القارئُ، وهو يجول بين هذه الدراسات والمباحث، أن أمر التسميات قد أفلت من قبضة الضوابط والمقاييس، فهناك الصورة الحسّية، والصورة الذهنية والجزئية والكلية [1309].

وقد تميز في تاريخ تطور مصطلح الصورة الفنية مفهومان: "قديم يقف عند حدود الصورة البلاغية في التشبيه والمجاز، وحديث يَضُمُّ إلى الصورة البلاغية، نوعين آخرين، هما: الصورة الذهنية، والصورة باعتبارها رمزاً" [1310]، فلم تَعُد الصورة البلاغية هي وحدها المقصودة بالمصطلح.

إلا أن الصورة الفنية في رأي خليل عودة "تجمع بين هذين المفهومين، فهو لا يرى

1306 – عباس، إحسان: **فن الشعر**– ط3– دار الثقافة، بيروت، (د.ت) ص 23.

1307 – **الحيوان**، 132/3.

1308 – الرباعي،عبد القادر:**الصورة الفنية في النقد الشعري**– ط1– دار العلوم للطباعة والنشر،الرياض،1984م ص42–53.

1309 – عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص 8 – 14.

1310 – البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي**، ص 15.

فاصلاً، يفصل التشبيه والمجاز عن الصورة الذهنية، أو ذات المشاعر، ولا يقيس الصورة قياساً حرفيا، كما فعل القدماء؛ لأن ذلك يقضي على طاقاتها الإبداعية، ويَضُرُّ بها"[1311].

ويرى علي البطل في حديثه عن الصورة الفنية، أنّ المفهوم الحديث لمصطلح الصورة، تأثر بالدراسات السيكولوجية التي فتح فرويد آفاقها، بمباحثة عن العقل الباطني، وذلك المنبع الذي جعله السرياليون مصدر فيض صورهم الشعرية، ويعتبر تحديد الصورة الشعرية رمزاً مصدره اللاشعور، انعطافاً مهماً في فهمها، أضيف إليه فيما بعد فكرة يونج عن النماذج العليا، فتوجه اهتمامُ الدارسين نحو التشكيل اللغوي للصورة، ومنابعها الموغلة في أعماق الميراث الحضاري للذهن الإنساني[1312].

فالقدماء وقفوا عند قضايا شكلية، وعلاقات حرفية، تخصُّ الصورة دون الالتفات إلى جوهرها، وما تعكسه من تجارب وخبرات، تخص ذات مبدعها، فقد عيب على القدماء "أَنّ حرصهم على التشابه الخارجي في بعض صفات الصورة، لم يكن يواكبه إحساس بنفس الدرجة من الحرص على دلالتها النفسية، مع إنها الأهم في مضمون الصورة بوجه عام"[1313].

"وتعتبر اللغة إحدى الوسائل التي يملكها الشاعر، إذ يحاول الشاعر أن يقترب باللغة من روحها البدائية، وكلما قَرُبت اللغة من وضعها البدائي، كانت تصويرية"[1314]، فالأدب يقدم المعرفة، والتجربة الإنسانية، بوسيلة خاصة "هي اللغة بعد أن ينقلها الفنان من بعدها الإشاري التقريري، إلى بعد أعمق؛ لتعبر بالصورة والرمز"[1315]، "والكلمة الشعرية، قطاع في بناء القصيدة الشعرية، لأن عملية الإبداع الشعري، تتمثل أقوى ما تتمثل في إبداع اللغة" [1316].

[1311] – عودة، خليل محمد حسين: **الصورة الفنية في شعر ذي الرمة**، رسالة دكتوراه، غير منشورة، مصر، 1987م، ص،14.

[1312] – **الصورة في الشعر العربي**، ص 28.

[1313] – عبد الله، محمد حسين: **الصورة والبناء الشعري**– ط1– دار المعارف، القاهرة، 1981م، ص148.

[1314] – **الصورة في الشعر العربي**، ص26.

[1315] – وادي، طه: **جماليات القصيدة المعاصرة** –ط2– دار المعارف، القاهرة، 1989، ص14.

[1316] – إسماعيل، عز الدين: **الشعر العربي المعاصر وقضاياه**، بيروت، دار العودة، بيروت، (د.ت)، ص 78.

والدارس للشعر الجاهلي، يلاحظ غلبة الصورة على وسائل التعبير اللغوي، والفني فيه، فرغم عدم فهم القدماء للصورة، إلا أنهم استخدموها في أشعارهم، فما ينبغي علينا إلا أن ندرس أشعارهم دراسة نقدية جديدة، وفق أسس ومعايير جديدة؛ لنبعث الحياة في ثناياها، ونكشف ما فيها من طاقات إبداعية.

والحديث عن الصورة في الشعر الجاهلي "هو دراسة موضوعية وفنية، غايتها الكشف عن أصول هذه الصور، وفهمها فهماً صحيحاً، وبيان وسائل الشعراء الفنية في ملاحظة العلاقات المختلفة، التي تربط بين أطرافها المتناقضة، وخلق هذه العلاقات أحياناً، وتحويرها بما يجعل فيها على الرغم من النمطية، والتكرار صوراً فنية متجددة، ومتنوعة الرموز والإشارات"(1317).

وقد ربط (نصرت عبد الرحمن) بين معتقد الجاهلي وشعره، إذ يرى أن معرفة معتقد الشاعر، هي السبيل لكشف شعره؛ "لأن الشعر رمز يلتقي فيه الباطن بالخارج، فيلون الباطن الخارج بألوانه، والشاعر الجاهلي، وثني ينظر إلى الأشياء نظرة تساوق معتقده، فيعكسها في صوره"(1318)، وقد رسم صوره" من خلال تأثره بالموروث القديم، ذلك الموروث الذي يعج بالقصص والأساطير، فوظف هذا الموروث في قصائده؛ ولا بد لفهم هذا الشعر من معرفة الأساس الذي يرتكز عليه الشاعر الجاهلي، والخلفية التي ينطلق منها.

وسنحاول في الصفحات القادمة التعرف على عناصر الصورة الفنية وأهميتها، فيما ورد في الأشعار التي تتعلق بالجن، ونتبين علاقة ذلك بقضايا الشاعر وأحاسيسه، ومواقفه من الحياة والناس من حوله، ومدى اهتمام الشاعر الجاهلي بالتعبير الرمزي.

1317 – عبد الرحمن، إبراهيم: **الشعر الجاهلي**، قضاياه الفنية والموضوعية، ص 196.

1318 – **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص187

المبحث الأول

البعد الميثولوجي

التراث الجاهلي عالم خصب وثريٌّ، وهو جزء من علاقة الجاهليين بعالم الغيب، نستطيع أن نجد فيه من الرموز إلى قوى الطبيعة، ونوازع النفس الإنسانية، ما نجده في بعض أساطير الأمم الأخرى، والشعر العربي وثيق الصلّة بالأسطورة [1319]، والشاعر رجل يبدع الأساطير، لأنه مُلهَم أو مَمْسُوس؛ أي أنه ليس في حالته الذهنية الطبيعية، وإنما يتلقى أصواتاً، كانت تبدو للأولين مُنَزَّلَةً من السماء [1320]، والشعر الجاهلي سِجلٌّ دقيق حافل بتاريخ العرب السياسي، والديني والاجتماعي، فهو يقوم مقام الأثار عند قدماء المصريين واليونانيين وغيرهم من الأمم القديمة، في أعطائنا صوراً مفصلة، لألوان الحياة العربية الجاهلية[1321].

وإذا حاولنا استقراء صورة الجن في الشعر الجاهلي، فإننا بلا شك، نجد أن صُوَرَه المتعددة جاءت مستمدّة من بيئة الشاعر، مرتبطة بحياتهم في حالتي السلم والحرب، تكشف عن كثير من القضايا الدينية والأسطورية الموغلة في القدم، والتي تفسّرها الطقوس الشعائرية في العقلية القديمة،[1322]وقد كان الإنسان البدائي يتصرف لحلّ قضاياه الوجودية، بدوافعه الروحية أكثر من وعيه العقلي المجرد، "والعقلية الجاهلية ذات الطابع البدائي، في مواجهتها لظواهر الكون، ومشكلات الحياة، كانت تحقق النظرة الأسطورية التي ترى الأرواح حالّة في كل مكان، ومتلبِّسة في كل جماد"[1323]، إذ كان إحساس الإنسان بالمجهول حوله، يعطيه وعياً غير واضح، ويجعله يجسّم أخطار هذا المجهول، عن طريق خلق فكرة الوحوش الخرافية، والآلهة الشريرة، والشياطين والجان؛ فإن ذلك يقوده إلى ترجمة شعوره بالمجهول المهدد، إلى مثل هذه الكائنات الخرافية؛ لتأخذ به عبر الشعر إلى ميثولوجيا السلوك الفردوسي نفسه، حتّى يتمَّ التطابق الحتمي

[1319] – داود، أنس: الأسطورة في الشعر العربي الحديث، ص68.

[1320] – ريد، هربرت: **الشعر والحلم والأسطورة**، ترجمة قاسم عيدو، مجلة آداب القاهرة،1916، 33/12.

[1321] – الخفاجي، محمد عبد المنعم: **الشعر الجاهلي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت)، ص355.

[1322] – البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي**، ص38.

[1323] – رواس، عبد الفتاح: **رموز وأساطير في الموروثات الشعبية**، مجلة التراث العربي، 1418هـ، 1997م، ع 68، ص59.

بـين مسـتوى الحـسِّ البطـولي علـى أرضـية الواقـع، ومسـتوى الميثولوجـات ذات النزعـة التراجيدية[1324].

وقد تعددت الصور التي استقاها الشاعر الجاهلي من ذلك العالم الخفيّ والمجهول، فجاءت تعكس رؤية الإنسان الجاهلي بشكل عام إلى تلك الكائنات، وما اختزنه في اللاشعور الجمعي من موروث فكري قديم؛ لأنه إذا أراد أن يصف طبيعة المرأة، وتقلبها في تصرفاتها ومشاعرها، يعمد إلى الغول؛ لما عَرفه عنه من التلّون والتقلّب[1325].

كما عمد معظم الشعراء الجاهليين إلى تشبيه المرأة بالغول؛ ليقرّب صورة المرأة، وما عُرف عنها من الدّهاء والمكر، و ربّما من النفاق، لأن الخيتعور الذي شبهت به المرأة هو الغول[1326]، وامرأة خيتعور لا يدوم حبُّها، وقيل إنّه "السراب الذي لا يلبث أن يضمحل"[1327]، وكلاهما يعكس صورة الأم الكبرى التي ظهرت بصورة شيطانة، تمتلك وجهين متناقضين، أحدهما يشير إلى الحب والجمال، والأخر يشيرإلى الموت والدمار[1328]، وربّما كان هذا هو الدافع الذي دفع الشاعر إلى الجمع بين المرأة والحب والغول في بيت واحد [1329]، وكأنه يستعيد أيضاً صورة العزى التي بدت بعدة أشكال، تكاد تكون متناقضة، وصورة "الليليث" السومرية التي تجسّدت بصور مختلفة، وهي الجنيّة أو الغولة أو الساحرة العجوز، كما أنها ربة الحكمة ومصدر الإلهام؛ فكلٌّ هذه الصور تلتقي مع طبيعة المرأة والغول.

أمّا بالنسبة للدور الذي تلعبه المرأة، وتبدو فيه كالغول، وتظهر فيه الرموز الدينية و الأسطورية، فقد ترتد تلك العلاقة إلى العهد الفردوسي الأول، الذي بَدت فيه حواء، وهي رمز الشيطانة "ليليث"، كما مثّلت "نموذجاً إنسانياً مصغراً لـ عشتار، سيدة الحياة، الأم المتغيرّة، آلهة الشر والموت التي تلد توأمين وهما في صراع دائم لا ينتهي الابن الأبيض والأسود، الأول سيد

[1324] – الحسين، قصي: **أنتربولوجية الصورة**، ص210.

[1325] – كعب بن زهير: **ديوانه**، ص61، الحيوان، 206/6.

[1326] – **بلوغ الأرب**، 347/2 ، **حياة الحيوان الكبرى**، 170/2.

[1327] – **حياة الحيوان الكبرى**، 170/2.

[1328] – **لغز عشتار**، ص207–ص234

[1329] – **حياة الحيوان الكبرى**، 170/2.

الحياة، والثاني سيد الموت [1330]، فقد ولدت هابيل وقابيل، فكان أحدهما إلهاً للشّرّ، والأخر إلها للخير.

وهكذا فعل الشاعر الجاهلي، إذ ربط المرأة بالحبّ الذي يُعدُّ سببَ الحياة والخصب، وبالشيطان الذي يعدُّ عدوَ الحياة، وإله الموت والدمار، مستمداً صوره من موروثه ومعتقداته، متذكراً ما لَحِق بآدم وذريته من متاعب والآم بسببها، إذ كانت حوّاء "ليليث" التي اتخذها إبليس وسيلة لتحقيق مآربه، فوسوس إليها، ثم استطاعتْ إغراءَ آدم "عليه السلام"، فمعظم الروايات والأساطير تلتقي حول تحميل المرأة مسؤولية السقوط المتمثلة بعصيان الأمر الإلهي، حين خدعتها الحيّة أو إبليس متنكراً بها، فهي السبب في كل ما حصل له، وهذا ما أشار إليه الشاعر الجاهلي عدي بن زيد، إذ بين أن حواء كانت سبَب الشقاء، وسبَبَ الحياة، والخصوبة التي تجسّدت بعد هبوطها[1331].

وتتكرر هذه الأسطورة، وتلعب حواء الدورَ نفسه، تحت اسم "الزَهرة" التي وصفت بالجمال، وبالحسن والبهجة، ونسب إليها اللهو والطرب والسرور، إلا أنها تسحر الرِّجال، بما تملكه من جمال، وتسبب الفرقة بين المحبين في الوقت نفسه، فهي عشتار الثانية، وهي حواء الأولى، إذ ظهرت بصورة مغايرة من حيث الزمان والمكان، والسبب في الإغراء، أغرَت الملكين.. ثم عوقبت على فعلتِها، كما عوقبت حوّاء بمتاعب الولادة والحمل... و يتجسّد ذلك أيضاً في محاولة عشتار إغراء جلجامش، فكانت النتيجة واحدة؛ وهي صعود عشتار إلى السماء، وارتقاؤها عرش الملوكية ممثلة في الزهرة[1332]، فالزمان يعيد نفسه، وجلجامش هو آدم "عليه السلام"، وعشتار هي حواء والزهرة بصورة معاكسة، لأنها التي غَيّرَتْ مجرى حياة البشرية جمعاء.

وها هو الشاعر الجاهلي (جران العود) يعكس تلك النظرة، ويصوّر حذر الإنسان من إغراء المرأة وسحرها، ممّا يدلّ على وعيه الثقافي والفكري، لما يختزنه في لا شعوره..

1330 – لغز عشتار، ص211، **موسوعة الفولكلور والأساطير العربية**، ص186

1331 – ينظر: عدي بن زيد: **ديوانه**، ص159– ص160.

1332 – الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 55/1 4–456، زكي، أحمد كمال:التفسير الأسطوري للشعر القديم، مجلة فصول، إبريل، م1، ع 3، 1981، ص125.

إذ صّوَر ذلك جامعاً بين الغول والسعلاة، مشبّهاً بهما زوجتيه،[1333] وعمد إلى ذلك معتمداً على التشبيه الوهمي والمعنوي، ليعكس الأثر المادي والمعنوي الذي يتركانه في نفسه وجسده، حتى يضطر أن يتركهما مفضلاً الحياة مع الجن على الحياة معهما[1334]،مستعيداً بذلك القصة إيّاها.

فهو يبني صوره على أصول عقدية فكرية قديمة، مما يؤكد اعتماد الشعراء على قوة مَتخَيَلَة مستمدة من موروث فكري قديم، لأن الحياة الجاهلية، تعبر عن المعتقدات الأسطورية والخرافية، وعالم الصحراء كان يعجّ بهذه الكائنات، وتلك القوى الخفية التي دخلت في أوهامهم، وشكلت أخيلتهم، حتى كانت جزءاً من حياتهم اليومية، فالغول في الفكر الجاهلي، هو سبب الهلاك والدمار والفناء، وهو رمز التلوّن، وجران العود يعكس الوجه الأسود للمرأة، ويبين ما لحق به من المرض والأذى بقوله "حَلْقي مُخَدّش ما بين التراقي مُجرّح"[1335]، ويعكس ما استقرّ في أذهان الجاهليين، من أن صورة الغول صورة مثيرة للرعب والفزع، تعترض المسافر في طريقه فتصدّه عنها، وتؤدي به إلى الهلاك، وقد يؤكد خطورتها بجمعه بين الغول والسعلاة التي تعدُّ من نساء الجن، وهي أخبث أنواع الجن، ويرتد ذلك إلى بُعد اسطوري آخر، إذ تبدو "صورة "ارتميس" هيقات سيّدة الموت والظلام، وهي "القهارة" و"بريتانيا" التي ترسل عفاريتها إلى الأرض؛ لتعذّب الرجال" [1336]، كما تبدو فيها صورة العزّى التي تُلْحق المرض، وتَسبب الخبل والجنون، والتي استنجد بها سادنها لكي؛ تقتل خالد بن الوليد، وهي ليليث عدوة الحياة والأطفال، وهي الأم العربية التي تحوّلت إلى ذلك الكوكب الأحمر الذي لعنه رسول الله"عليه السلام"، وتشاءم به، ولا تبتعد صورتها عن عشتار التي تأمر بخلق الثور السماوي؛ لتهلك جلجامش والبشر، فكلّ هذه الصور، تعكس نظرة الإنسان الجاهلي، بشكل عام إلى الغول والسعلاة وإلى المرأة، إذ كَثُر تشبيه الشعراء للمرأة بهذه الكائنات، فهي حوّاء التي دفعت بآدم إلى مهاوي

[1333] – جَران العود: **ديوانه**، ص4، الحماسة البصرية، 1194/3 ، خزانة الأدب، 18/10 .

[1334] – المصدر نفسه، ص 19، **الحماسة البصرية** 1194/3.

[1335] – جران العود، ديوانه، ص4، **خزانة الأدب**، 18/10.

[1336] – **لغز عشتار**، ص223.

الرذيلة، ولكنّ الشاعر جَرَان العود دفعته إلى الهروب، برحلة عكسية إلى الجبال حيث تقيم الجن فيقول:[1337] (الطويل)

حَمَلْن جَرَان العُودِ حَتّى وَضَعْنَه بِعَلْيَاءَ في أَرْجَائِها الجِنُ تَعْزِفُ

فالشاعر يجمع بين عنصري الحركة والصوت، ليقرّب المعنى ويؤكده، وتعكس نظرتُه أُصولاً أسطورية، تمثلت في رحلة جلجامش إلى أعالي الشمس، من أجل الحصول على نبتة الحياة التي تمنح الخلود لمن يأكلها، فكأن الشاعر يَهْرُب إلى هناك طالباً الحياة المستقرة الهانئة البعيدة عن أذى زوجتيه، وكأنه يفصل بين الغول والجن من حيث التأثير، ويؤكد قَداسَة الجبال التي تُعَدّ موطن الآلهة، وواسطة بين السماء والأرض.

أما الجانب الثاني والوجه الجميل، فينعكس في تشبيه حسّان بن ثابت النساء الحسناوات بالجنِّيات، واصفاً جمالهن وحسنهن، والأثر المعنوي في نفسه[1338]. فقد جعل حسّان المرأة في صورة الجنيّة، صورة تعكس أعتقاد العرب بتلبُّس الجن للإنسان، وملازمتها له، ويجعلها الُزهرة نفسها، إذ تزوره ليلاً، ثم تتركه صباحاً، ويعكس علاقتها بالناحية الجنسية، وبالخصب، بقوله في المنام، ويؤكد ذلك بقوله "أرّقني" الدال على القلق، وعدم الاطمئنان.

وهو بهذا يعكس الدور الذي تلعبه "عشتار" الأولى التي كانت تمارس السحر، وتحاول السيطرة على الرجال، بأسلحتها وشباكها المعنوية، التي لم يكن يقوى عليها الرجال، رغم ما في حوزتهم من الأقواس والسهام والرماح[1339]، وإلى السيرينيات اللواتي كُنَّ يَصِدّن الرجال بِشِبَاكِهِنَّ الليلية، بجمال وعذوبة أصواتهن، وصورة الإلهة "أفروديت" التي احتفظت لنفسها بمعظم الخصائص الليلية للأم الكبرى، وبوجهها الأسود أيضاً، فهي تزرع الحبَّ في قلوب البشر، بنفس الأداة والسهام التي تودي بها إلى التهلكة، فهي الأم الكونية عشتار،[1340] فالشاعر يتحدّث في مجال الغزل، ويصورّ المرأة بالجنيّة من خلال سَحْرِها له، وتأثيرها في نفسه، ويعكس ما

1337 – جران العود: **ديوانه**، ص 19، الحماسة البصرية، 1194/3، الشعر والشعراء، 605/2–608 .

1338 – حسان بن ثابت: **شرح ديوانه**، ص271.

1339 –**لغزعشتار**، ص 257.

1340 – **لغزعشتار**، ص224.

وَرَد في المعتقدات الفارسية التي "كانت تتصوّر الإناث من الجن بشكل حوريات حسناوات، ساحرات يأخُذْن بِلُبّ الرجال"[1341]، فهن جنٌّ خيّرة وطيّبة، وهذا يمثل الوجه الأبيض للأم العشتارية؛ بما يوحي إليه من الحب والجنس، والخِصب والحياة.

وتبدو قداسة الجن، وعلاقتها بالأم الكبرى في تصوير الأعشى الذي جعلها تلعب في محراب المرأة كالحُبْش، إذ بنى صورته بمهارة فنية؛ إذ تجاوز الصورة الجامدة إلى صورة حيّة، يتضافر في بنائها كل من النظر، والسمع والحركة، جاعلاً أصوات الحروف تأخذ دورها في التشكيل الفني، حتى جاءت غنية بالعناصر البصرية والسمعية، بدليل الحديث العذب، والحوار الذي دار بينهما، بقوله: والجن تعزف، ويلعبن كالحُبْش.... [1342]، ويشبه الجن في شدّة سوادها بالحُبْش، ويجعلها تلعب، وتُصْدرُ صوتاً يعبّر عن الفَرَح، ويوحي بالخِصْب والحياة، فكأنّه يشير إلى ما تحمله الأم الكبرى "عشتار" من معانٍ، إذ ظهرت عشتار "سيدة الموت والدمار وإلهة العالم: بوجهها الأسود، وصورتها البشعة[1343]، ويزداد الأسود قتامة في النفوس حتى يتحول إلى شيطان [1344]، وقد ارتبط هذا اللون بكثير من الآلهة [1345]، الأمر الذي يفسر لنا قداسته ووقاره، وقد أكد الأعشى قداسة الجن، وعلاقته بالآلهة في قصيدة أخرى، إذ صورها بالمارد القوي الحارس لتلك المرأة، لا يفتأ يطوف حولها، بقوله: "من نالها نال خُلداً لا انقطاع له"[1346].. إذ أن كل ما جاء في القصيدة من أفعال، يؤكد حرص الغواص على نيل تلك المرأة التي يرى أنها سبب الخلود، ومعارضة الجنّيّ له، وحِرصه على تلك المرأة أيضاً؛ وما ذاك إلا ليؤكد عدم قدرة الإنسان على نيل الخلود، وطموحه المستمر، وسعيه الدائم للوصول إليه، فالجن كأنه الحيّة التي سلبت نبتة الخلود من جلجامش، وإبليس الذي وسوس لحواء للأكل من الشجرةَ؛ فَحَرمها من الخلود.

1341 – الجوهري: **علم الفوكلور**، 387/2.

1342 – يُنظر، الأعشى: **ديوانه**، ص16.

1343 – **لغز عشتار**، ص207–234.

1344 – المصدر نفسه، ص211.

1345 – ينظر، **لغز عشتار**، ص 223.

1346 – الأعشى: **ديوانه**، ص124.

ومن الصور التي تحمل أبعاداً أسطورية وميثولوجية، ما قاله أمية بن أبي الصلت يُشَخِّصُ فيه الدهرَ، وينعته بصفات غير مستحبة، إذ جعله غولاً، معتبراً الموت عملاً من أعمال الشيطان [1347]، كما استحضر ما كان للغول من خصوصية في أذهانهم، وعلاقة بالموت، فجاء التشبيه انعكاساً للتصور القديم، وجعله رمزاً للفناء والزوال الذي شكَّل هاجساً مرعباً للإنسان الجاهلي، وأدرك أن نيل الخلود قضية بعيدة المنال، فراح يعكس أفكاره ومخاوفه، على ما حوله من مظاهر الطبيعة، باحثاً عن الخلود في كل مكان. وتتكرر الصورة نفسها عند أحيحة ابن الجلاّح، الذي يصور الزمن وَحشاأو غولاً، يلتهمُ كل منابع الخير، فلا يكاد المرء يعيش في صفاء، حتى يبتلع كل الصفاء والخير، ويتركه فريسة للصراع النفسي، بقوله: [1348]

صَحَوْتُ عن الصِّبا، والدّهرُ غُولٌ وَنَفْسُ المَرْءِ، آوِنَةٌ، قتولُ (الوافر)

ويتكرر المعنى ذاته عند امرئ القيس، بقوله: "غولٌ ختورُ يلتهم الرجال"[1349]، وتنعكس النظرة الميثولوجية في تشبيه كثير من الشعراء المنية والحوادث بالغول، من ذلك قول ربيع ابن ضبع الفزاري: [1350]

سَيُدْرِكُني مَا أَدركَ المرءَ تُبّعا وَيَغْتَالني ما اغْتالَ أَنْسُرَ لُقْمان (الطويل)

وهكذا يصور الشعراء حوادث الدهر بالغول التي لا يقف أحدٌ أمامهُ، مهما حاول الفرار منه، كما يقول المرقش الأكبر: [1351]

فَغَالَهُ رَيْبُ الحوادثِ حتّى زَلَّ عنْ أَرْيادهِ فحُطِمْ [1352] (السريع)

وهكذا فإنّ الدهر كالمرأة يمثل الحياة والاستمرار، مقابل الموت و الفناء، يحمل صورتين متناقضتين تماماً كالمرأة "عشتار" التي تسيطر على الأقدار والمصائر والنهايات، وهي في

1347– ينظر: أمية: **ديوانه**، ص96.

1348 – **جمهرة أشعار العرب**، ص231.

1349 – امرؤ القيس: **ديوانه**، ص150.

1350 – عبقر، ص110، لم أعثر عليه في المصادر القديمة.

1351 – **المفضليات**، 239.

1352 – الأرياد: جمع ريد، وهو الشمراخ الأعلى من الجبل.

الوقت ذاته ناسجة الحياة[1353]، ويؤكد ذلك ما تحمله من أسماء، فهي الأم الكبرى التي تتمثل بصورة اللات والعُزّى ومناة؛ إذ تُظهر المعاني اللغوية لهذه المفردات صلتها الوثيقة بالطابع الأنثوي؛ نتيجة ارتباطها بحروف التأنيث الأصلية في العربية، وتمثل أوجه ألوهيتها في الفكر الجاهلي؛ فهي اللات الآلهة، والعُزى العَزيزة، ومناة ربة الموت والقدر، ولا تَخْفى علاقة مناة بالمنية، وهو الموت والقدر، إذ رجح بعض الباحثين أن مناة البابلية هي التي كانت تعني آلهة الموت والقدر[1354]، كما أعطيت عشتار في جميع الحضارات اسم النساجة والغزّالة؛ فهي التي تحيك نسيج الحياة، وتغزل خيط القدر، ولا يزال "المغزل مرتبطاً بالموت وبالغول"[1355]، فقد جعل الجاهليون مناة إلهاً للموت، وأخذوا يخاطبون ما فيها من أرواح، متمثلة بالشيطانة، أو بالأم الكبرى المُمَثِّلَة لها؛ كي تبعد شبح الموت، أو تخففّ من وطأته، فكانوا يخاطبونها "مامناتو"، فيقولون: [1356]

يا مناة ..... يا إلهة القدر والموت ..... يا أيها الروح، ومَلَكُ الموت

ويبدو أن هذا الكائن الخرافي" الغول"، سَيْطَرَ على ذهن الشاعر الذي يُصوِّر اللاشعور الجمعي، ويعكس أفكار مجتمعه؛ فيُجَسِّد الدهر والمنية، في صورة مُخِيفة مُفْزِعَة، تتصل بالأساطير، والحكايات التي تدور حولها، أو القصص التي ترمز إليها، إذ استخدموا الأساطير استخداماً رمزياً؛ لأن العالم الشعري عالم رمزي في الإساس.

وبناء على هذا نستطيع القول: إن موقف الرجل من المرأة، لا يعكس كراهية حقيقية للمرأة، بقدر ما يعكس ما في لا وعي الشاعر الجاهلي، من اقتران صورة المرأة بصورة الزمن، وإذا كان الزمن قاسياً؛ لأنه يُشِيخُ الشُّبانَ ويفتك بالناس، فإن قسوة الزمن تجعل ردّة فعل الرجل تنقلب قسوة

1353 – **لغز عشتار**، ص 96.

1354 – دغيم، سميح: **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**، ص101–102، الديك، إحسان: صدى عشتار في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث،حزيران، م 15، 2001 ، ص172.

1355 – **لغز عشتار**، ص 96

1356 – خان، محمد عبد المعيد:**الأساطير والخرافات عند العرب**–ط3– دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت،1981م،ص 138

مقابلة تلقي ظلاً على المرأة؛ فكان جلجامش يعلم أنّ عشتار كالدهر الذي يتحطم في داخله الأبطال، فلذلك حاولت عشتار إغراءه بحبها، ووعدته قائلة: [1357]

إذا ما دخلت بيتنا فَسَتُقبِّل قدميك العتبةُ والدّكة

وسينحني خضوعاً لك الملوكُ والحكامُ والأمراءُ

وَسَتَلِدُ عَنزاتُك ثلاثاً ثلاثاً، وَتلِدَ نِعاجك التوائم

فالأم "عشتار" كانت إلهة الحب والحرب معاً، وكذلك النساء، فهن اللواتي يغرين الرجال بالحرب، فهن مصنع للحياة؛ يُنْجِبنْ َالرجال، وهُنَّ سَبَبُ موتهم؛ فيجسّدن الدهر بجميع أحواله[1358].

ويبرز الفكر الأسطوري الميثولوجي بصورة مماثلة، وذلك في تشبيه الحرب بالغول، فهذا أبو قيس بن الأسلت[1359]، يقول: [1360]

أَنْكَرْتِهِ حِينَ تَوَسّمْتِهِ   والحَرْبُ غُولٌ ذاتُ أَوْجَاعِ [1361] (السريع)

مَن يَذُقْ الحَربَ يَجِدْ طَعْمَها   مُرّاً وَتَحْبِسُه بِجَعْجَاعِ[1362]

فالشاعر يعمد إلى التشبيه الوهمي، وقد يعود ذلك إلى طبيعة العمل الفني التي تقتضي مثل هذه التشبيهات؛ لجعل الأمور المعنوية أموراً حسية والعكس، فوظيفة الشاعر تكسير الحواجز بين المادة والعقل، وبين العالم الخارجي والداخلي؛ فهو يصور ما تلحقه الحرب

[1357] – باقر، طه: ملحمة حلجامش، **منشورات وزارة الإعلام العراقية**، بغداد، 1980م، ص108– 109، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، ص 236.

[1358] – **الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام**، ص 235–236.

[1359] – شاعر مخضرم، **الحماسه البصريه** 170/1.

[1360] – **الحماسه البصريه**، 171/1، المفضليات، ص284.

[1361] – التوسم: التثبت في معرفة الشيء.

[1362] – الجعجاع: المحبس في المكان الغليظ أو الضيق.

بالإنسان من آلام ومصائب بالغول، ويعمد إلى كلمة "أوجاع" و"جعجاع"؛ ليكون لها قوة التأثير[1363]، كما اعتمد على حاستي الذوق والبصر، لأنهما مرتبطتان معاً.

ويبدو تشبيه الحرب بالغول والشيطان في إطلاق الشعراء لفظة عوان على الحرب، وهي صفة بغيضة تحرّفت من اسم إلهة الحرب الكنعانية (عنَات)؛ لأنهم جعلوا خصوبتها مشؤومة منفرة، تحمل غِلمَان بَشِعِينَ، كأحمر عاد، بطل أسطورة قدار ثمود[1364]، كما يقول زهير:[1365] (الطويل)

إذا لَقِحَتْ حَرْبٌ عَوَانٌ مُضِرّةٌ ضَرُوسٌ تُهِرُ النَاسَ أَنْيَابُهَا عُصُلُ[1366]

فقد جعل زهير الحرب امرأة شيطانة قوية، لها أنياب تواجه بها الناس، وتلحق الهزائم بهم، ويتماثل مع هذا تصوير امرئ القيس لها، إذ صورها امرأة، تمرُّ بمراحل مختلفة؛ تحمل كل مرحلة منها شعوراً خاصاً، فيقول: [1367] (الكامل)

الحَرْبُ أَوّلُ مَا تَكُــونُ فَتِيَّةً تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَــهُولِ

حَتَى إِذَا اسْتَعَرَتْ وَشَبَّ ضِرَامُها عَادَتْ عَجُوزَاً غَيرَ ذَاتِ خَلِيْلِ

شَمْطَاءَ، جَزَّتْ رَأَسَهَا وَتَنَكَرَت مَكْرُوهَةً لِلْشَّمِ والتَقبِيلِ

ويبدو أنّ الصورة مستمدة من تقلبات العُزى ربَّة الحرب؛ ولذلك اختلطت صورتها بصورة عشتار التي ظهرت تحت اسم (دورجا) إلهة للحرب، على هيئة امرأة ذات وجه هادئ، تحمل أسلحة فتاكة، وقد تَصدَّتَ تَحتَ اسم " كالي- ما " لجيش العفاريت وأبادته، ثم ما لبثت أن قامت بزرع بذور الحياة من جديد؛ فهي مصدر الخوف والرعب، وهي الإلهة الحامية من زمان

[1363] – النعيمي: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 254.

[1364] – **انتربولوجية الصورة**، ص 199.

[1365] – زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، ص60.

[1366] – العوان: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة، العُصل: المعوجة، الأنياب العصل: مثلاً لقوتها.

[1367] – امرؤ القيس: **ديوانه**، تحقيق، محمد أبي الفضل، ص353، وقد وردت الأبيات لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، الشعر والشعراء، 290/1، **الحماسة البصرية**، 66/1.

الشدائد والمصائب، وكوارث الزلازل والأوبئة، وهي القوية ذات البأس، سيدة الدمار[1368]، فالحربُ تبدو قويةً شابَّةً، تتباهى بجمالها ثم تُصْبِحُ عجوزاً شمطاءَ، تَمْتَلِئُ بالكَراهية والسُّم، فهي سبب الموت، وهي رمز البقاء والوجود، فكأن المقصود بالموت، هو الموت من أجل الحياة، أو الحياة بعد الموت، لأن الموت عندهم مرحلة انتقالية، وليس نهاية.

وينعكس البعد الأسطوري من خلال العلاقة بين الشيطان والأفعى، ويبدو ذلك في وصف طرفة بن العبد للمرأة، حين جعلها تتلوى، كما يتلوى الشيطان في أرض مقفرة "تعمُّج شيطان بذي خروع قفر"[1369]، ويتكرر المعنى نفسه عند حميد بن ثور الهلالي إذ يشير إلى علاقة الشيطان بشجرة الحماطة والمرأة، بقوله (كشيطان الحماط محكما)[1370].

ولا شك أن هذا الشعر يعكس فكراً أسطورياً متعلقاً بأذهان الجاهليين، لأنه يجمع بين الشيطان والحية، والمرأة والشجرة، مستعيداً بذلك قضية خروج آدم وحواء من الجنة؛ إذ أقرَّ بعض الشعراء الجاهليين متأثرين بما ورد في التوراة، أن المسؤول الوحيد عن تلك الحادثة هو الحية، وأنها هي صاحبة الغواية، وما لبثت تلك الحية أن أصبحت رمزاً للشيطان " فالمشابهة بين الحية والشيطان، تأتي من توحيدهم بين الضرر الحسي والخطيئة الأخلاقية، ومن تشابه نفث السم ونفث الشر، على سبيل المجاز "[1371]، ويرون أن الحية استهدفت آدم بطريقة غير مباشرة عبر زوجته التي أصغت لها، وتبدو الحية بصورة عدائية؛ تهدف إلى إلحاق الضرر والأذى بآدم؛ رمز الحياة والخلود، ويسجل الشاعر الجاهلي ذلك، مما يدل على وعيه للموروث الثقافي والفكري، وانشغاله بقضايا الخلق، وتتجلى تلك العلاقة في شيطان الحماطة التي تذكرنا بشجرة التين، وشجرة الجنة التي كانت نقطة تحول في حياة آدم وحواء، وانتقالهما من العالم السماوي إلى الأرضي بتدخل الحيّة، وتبدو فيها شجرة السَمَرة التي مثلت العزى، فكانت شيطانة، وإلهة مسؤولة عن المطر والخصب، ولا أدلُّ على ذلك من "شجرة النخلة تلك الشجرة المقدسة التي تعد شجرة الحياة، ورمز النصر عند البابليين والأشوريين"[1372]، أو تعكس صورة شجرة العشر التي كانت مأوى للشياطين، والتي تشير إلى الرابطة الزوجية، والممارسة الجنسية والخصوبة

[1368] – **لغز عشتار**، ص229 – 225.

[1369] – طرفة بن العبد: **ديوانه**، تحقيق رحاب خضر، ص156.

1370 – حميد بن ثور الهلالي: **ديوانه**، ص93.

[1371] – **إبليس**، ص 94.

[1372] – كنعان، توفيق:الكتابات الفلكلورية، ترجمة،موسى علوش– ط1– دار علوش للطباعة والنشر، 1998م، ص99–100.

والتكاثر، وما ينجم عنها من حياة وإنجاب[1373]، وهذا يقربها من النوق العشار، ومن الأم الكبرى؛ فهي رغم أنها السبب في الهلاك والدمار الذي حصل لآدم وحواء، إلا أنها تمثل الحياة والخصوبة، كما أن الربط بين كل هذه المتناقضات هو ربط أسطوري، تعود أصوله إلى جذور قديمة، لأن المرأة كانت مقدسة، وارتبطت الأماكن المرتفعة بالعبادة والتقديس، إذ كانت الآلهة الكنعانية تقيم في قمم الجبال[1374].

وتعيدنا هذه العناصر مجتمعة إلى الشيطانة ليليث والحية، اللتين اتخذتا شجرة الإلهة " إنانا " الحلبو مقراً لهما، وما فعله جلجامش الذي استطاع قتل الحية، ففرت الشيطانة إلى البراري[1375]، وتبدو شجرة الإلهة هي شجرة المعرفة التي كانت محور الصراع بين الخير والشر، وسبب المعصية، وقد استطاع عنصرا الشر "الحية وإبليس" أن ينتصرا على عنصر الخير، على عكس ما حصل مع جلجامش.

وتعد الناقة من الكائنات الحية التي ارتبطت بالجن ارتباطاً له بعد أسطوري، إذ جمع ابن هريم بين الإبل الحوشية والنعامة والطير [1376]، وصوّر ناقته بالنعامة التي تسير في الهواء، ونسبها إلى الجن، ويبدو أن الجامع بين الناقة والنعامة هو صفة الأنوثة، والناقة تسير بالشاعر إلى حياة ومستقبل أفضل في متاهات الصحراء، فهي الملجأ الوحيد الذي يحمي الشاعر، ويبعده عن كل ما يخاف أن يغوله، حتى يصل إلى الحياة الدائمة التي يطمح إليها، وقد بدا ذلك في وصف زهير لناقته [1377]، إذ جعلها رمز الإرادة الإنسانية التي تقتحم الأهوال، من أجل تحقيق الآمال، فوجد في ناقته القوية ما يعينه على مواصلة حياته، بالارتحال عليها من مكان إلى آخر بحثاً عن الماء والكلأ[1378]، فكأنّه في رحلته جلجامش الذي يبغي الخلود، فقد شاركت الناقة الشاعر الجاهلي بطولة الارتحال الإخصابي، في القسم البنائي الملتزم من القصيدة؛ لغاية استجلاب الخصوبة الأمومية الغائبة، والمظاهر الحياتية الذاهبة، فقد أحس الشاعر الكاهن

[1373] – **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، ص 66 – 67.

[1374] – فهمي، محمود: **تاريخ اليونان**، الوعظ، مصر، ط1، 1910، ص 46.

[1375] – **إنجيل سومر**، ص 223.

[1376] – ينظر ،**الحيوان**، 217/6.

[1377] – زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، ص20.

[1378] – عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص168.

بالضعف أمام هذه الطبيعة، وما يتهدده فيها من أخطار، فكان بحثه الدائم عن القوة التي تدفع عنه غائلة هذه الأخطار.

كما استحضر زهير صورة الناقة عند حديثه عن الحرب، لا سيَّما ناقة ثمود التي كان عقرها إيذاناً بالدَّمار والهلاك، وتلك التي كانت مفتاح الرحمة والمغفرة، ووسيلة الحماية والوصول إلى الحياة الأبدية[1379].

يبدو أنّ الشاعر يؤكد إمكانية التقاء شخصية الشيطان والآلهة في الأساطير، وما ذهبت إليه كثير من الأمم السابقة، من أن شخصية الإله تجسدت في الشيطان، وهذه هي نظرة الإنسان الجاهلي إلى آلهته، إذ قدسها حينا ثم ما لبث أن احتقرها وكسرها. [1380]

ويتجلى ذلك في صورة الناقة التي ربطوها بكائنات وهمية، فكان ذلك إيذاناً بكونها تجسد صورة الربة المعشوقة عشتار ربة الخصوبة؛ إذ أن خير النياق الـ "عشار"، وقد صورت السماء ناقة، كما" صورها الفراعنة على هيئة أنثى، يتحلب المطر من ثدييها، وصورها على هيئة بقرة كبيرة الضرع" [1381] كل ذلك يعود إلى صورة الأم الكبرى (عشتار) التي ظهرت على هيئة بقرة كاملة برأسها وقرنيها، والإلهة (نوت) المصرية، والأم(نيت) التي كانت تدعى بالبقرة السماوية[1382]، ويؤكد ذلك علاقة كل منها بالإبداع الفني وبآلهة الشعر. [1383]

ويبدو في وصف علقمة لفرسه بعدٌ أسطوري آخر[1384]، إذ يشبهه بالشيطان وبالحية، في القدرة على المراوغة للعدو وللفريسة؛ فقد أقام صورته على التشبيه المعتمد على الحركة المنبعثة من لفظتي (راح، ويباري)، وقد يكون في تلك الصورة ما يعيدنا إلى أصول ميثولوجية قديمة:" تلك التي ربطت الفرس بصفة (ذات بعدن) التي تتصف بها شمس الشتاء بالذات، والتي قرنوها

1379 – زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، ص 84-85، **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، ص110-111.

1380 – **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، ص112.

1381 – **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص157.

1382 – ينظر: **لغز عشتار**، ص249.

1383 – ينظر: بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**، 56/1.

1384 – علقمة بن عبدة: **ديوانه**، ص20.

بالمطر"[1385]، وصوروا الكواكب المسؤولة عن المطر على هيئة الفرس، وسموها أسماء لها علاقة بالمطر كالدلو، وسعد الماطر، فاتخذت رمزاً للغيث والخير، وأملاً في المستقبل، حتى أصبحت مظهراً من مظاهر الإرادة الإلهية لتحقيق الحياة الإنسانية على الأرض[1386]، فهي تمثل العزى بوجهيها؛ فهي المسؤولة عن المطر الذي يسبب الحياة والخصب، ويكون سبب الفناء والدمار، لأن الشاعر أراد أن يفتخر بقوة فرسه، وقدرته على المباغتة، فلم يجد شيئاً يقرب تلك الصورة أكثر من الشيطان، "فقد شكلت الفرس الرمز، وسيلة مهمة من وسائل القتل والدمار، وحماية جنان ربة الأقدار بتمظهراتها العالمية، وأسرارها الكونية، ولا غرابة في ذلك؛ لأنها تجسيد حيواني رمزي للربة المحاربة، ولأنها تمتاز بالسرعة القتالية التي توصلها للانقضاض على الأعداء في جميع الاتجاهات؛ لتلبية الحاجة الروحية الملحة لدى العباد المقاتلين على أرض المعركة، الطامحين إلى تطهير الأرض الأم من الخطايا البشرية[1387].

ومما يعزز صلة الفرس بالإلهة (دياناً) أو (عنات) أو(ليليث) والعزى ما جاء في تشبيه الخيول بالسعالي، فقد رسم عمرو بن الأيهم التغلبي لخيول قبيلته صورة وهمية، تثير حاسة البصر، ويعتمد فيها على الحوار مع المخاطب، ويضفي عليها طابع القداسة، فقد جعلهن بصورة نساء في طقس شعائري، تجري وقائعه في معبد الأمومة الجاهلية؛ بهدف استجلاب الخصوبة العشتارية، ويتضح ذلك من كلمة (شُزّبا)[1388]، فكأنهن يؤدين طقس الزهرة المتمثل بشراب الخمرة، الشراب المقدس، وقد أضفى عليهن صفة الأم الكبرى عشتار، إذ يرتدين النقاب، وينظرن من خلاله، فقد ورد عنها "أنها لم تكن تلقي النقاب إلا لعُبَّادها" [1389]، وهذا يضفي عليها القداسة الدينية والعظمة. وتتكرر الصورة نفسها عند الأشتر النخعي، فيقول: [1390]

1385 – **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 169/6، الحسين، قصي: **انتربولوجية الصورة**، ص260.

1386 – الشوري: **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 145.

1387 – طه، طه غالب عبد الرحيم: **صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 1424هـ– 2003م، ص340.

1388 – القالي: **كتاب الأمالي**، 44/1.

1389 – **الأساطير العربية قبل الإسلام**، ص123، صدى عشتار في الشعر الجاهلي، ص174.

1390 – الطائي، حبيب بن أوس: **ديوان الحماسة**، ط2، مختصر عن شرح البتريزي،مصر، ص49، الحماسة البصرية، 48/1.

إنْ لَمْ أَشُنَّ علِى ابنِ حَرْبٍ غَارَةً   لَمْ تَخْلُ يَوْماً مِنْ نِهَابِ نُفوسِ (الكامل)

خيلاً كأمثالِ السَّعالـي شُزَّبـا   تَعْدوُ بِبيْضٍ في الكَريْهةِ شُوّس

فهو يعكس اضطلاع الفرس الأسطورية، بأداء وظائف عشتار الحربية في الأرض العربيـة؛ لـذلك قرنها معظم الشعراء بالحرب، وتبدو وظيفة الخيل التدميرية، وهـي تحمل الفرسان فـي المعركـة؛ ليشبعوا الأعداء طعناً وتقتيلاً، فالشاعر يقرن الخيل بصورة الحرب، ويجعلها كالسّعالي التـي تبدو بصورة الإنسان الغضبان، المتكبر المغرور بكرمه، ثم مـا يلبث أن يقرنهـا بمصـدر خصـب، وهـو صورة الأم الكونية المحاربـة، صـاحبة اليد السـوداء التـي تبطش بسـائر الأعـداء، وتشـن الغـارت، التي تسبب الحياة الجديدة التي تنطلق من الموت.

وقد تحولت خيول المهلهل بن ربيعة إلى سعالٍ يحملن الفرسان من أبناء قبيلته، ورسـم لهـا صورة تثير الفزع والخوف في نفوس خصومهم [1391]، إذ تؤكـد تلـك الصـورة أسـطورية الفـرس، وعلاقتهـا بالحيوانـات العلّويـة التـي صـورت بهـا الكواكـب، فيشـبه امـرؤ القيس بـن عمـرو الكنـدي الجاهلي فعلها التدميري، المتمثل في سرعة عدوها، وانقضاضها على الأعداء بـالطيور الكاسـرة، حين تصيب فريستها [1392]؛ وهو بذلك يحيلنا إلى رمزية الطير الكاسرة للأم الكونيـة الكبـرى، فـي الأساطير السامية القديمة، إذ دلت الكشوفات، علـى أن النسـر مـا هـو إلا رمـز تمثيلـي لـلأم الكونيـة الكبـرى، باعتبارهـا سيدة المـوت والأقدار، ويؤكد أسـطورية الخيـل، وعلاقتهـا بـالحرب وبـالقوى الخفية ما جاء في معتقداتهم المتعلقة بالحرب، فقد كانوا إذا اشتدت الحرب بحيث تصبح الخيـل فـي قوة جنونيـة عميـاء، لا تفرق بين إنسـان وآخر، يخرجـون النسـاء، فيبلن فـي سـاحة المعركـة؛ كـي يخفف ذلك من وطأتها، فقد أشار إلى ذلك الشاعر بقوله: [1393]   (الكامل)

هَيْهاتَ ردُّ الخَيلِ بإلابوالِ   إذا غَدتْ في صُوَرِ السَّعالي

[1391] – **جمهرة أشعار العرب**، ص210، النعيمي: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص 254، امرؤ القيس: شرح ديوانه، مطبعة الاستقامة، ص285.

[1392] – الآمدي: **المؤتلف والمختلف**، ص7، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص255.

[1393] – **بلوغ الأرب**: 5/3، **صدى عشتار في الشعر الجاهلي**، ص157.

فرغم أن الشاعر يستبعد قدرتها على التخفيف من وطأة الحرب، فإنّه يذكرنا (بعنات) والمشاهد الدموية التي خاضتها وبدت منتشية بها، ويعكس معتقداً، يدل على أن المرأة هي الزهرة، المرأة المثال التي تمتلك قوة سحرية، تستطيع بها التأثير على تلك الخيول المماثلة لها في البطش.

ومن الصور التي تتكرر بكثرة في الشعر الجاهلي، وتعكس بعداً أسطورياً قديماً، تصوير الرجال، وخاصة إذا امتلكوا قدرات وقوىً فائقة بالجن، من ذلك ما قاله زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان وإخوته: [1394]

جِنٌّ إذا فزعوا، إنسٌ إذا أمنوا مُمَرَّدون بها ليلٌ إذا جَهَدُوا[1395] (البسيط)

ويقول الشاعر نفسه في مدح سنان بن أبي حارثة المري: [1396]

بِخْيلٍ عَلَيْها جِنَّةٌ عَبْقرِيَّةٌ جَديرونُ يَوماً أن يَنَالوا فَيَستَعلُوا (الطويل)

ومنها قول تميم بن نويرة: [1397]

فأسْمعُ فتْياناً كَجِنَّة عَبْقر لَهم رَيّقٌ عِنْدَ الطّعانِ يَصْدَقُ (الطويل)

وقد أكثر الشعراء من ذلك، فعنترة ابن شداد يقول على أثر حرب وقعت بين العرب والعجم، مصوراً شجاعة أبناء قبيلته التي كانت وطناً له ودولة، مفتخراً بما ألحقه بهم من الهزائم: [1398]

أَبَدْنا جَمْعَهُم لَماّ أَتونا تَمْوجُ مَواكِبٌ إنْساً وَجِنّاً (الوافر)

ويشير النابغة الذبياني إلى ذلك بقوله: [1399]

1394 – زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، ص26.

1395 – ممرّدون: مستكبرون.

1396 – زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، ص59.

1397 – عبد الرحمن، عفيف: **الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي** –ط1– دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1404هـ، 1984م، ص311.

1398 – عنترة: **ديوانه**، ص205.

1399 – النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص196.

وَضُمرٍ كالقِداحِ مُسَّوماتٍ   عليها مَعْشَرٌ أشباهُ جِنٍّ   (الوافر)

ويأتي ضمن هذا المعنى ما قاله لبيد: [1400]

وَخَصْمٍ كنادي الجنَّ أسقطْتُ شأوَهُمْ   بِمُسْتَحْصِدٍ ذي مِرَّة صُرُوعِ[1401] (الطويل)

نلاحظ أن الشعراء كانوا إذا أرادوا أن يبالغوا في وصف شيء، شبهوْه بتلك الكائنات. كما استعار النابغة قصةَ جِنّ سليمان، وبنائه مدينة تدمر بالحجارة في حديثه عن الملك سليمان؛ ليدلل على قوة الجن، فهو النابغة ينتقل من الواقع إلى الملحمة، فيشرك الجن بأعمال النبي سليمان؛ متوسلاً بها للمبالغة اللصيقة، بإسلوب تُمحى عنده الحدود بين الواقع والمستحيل، فيغدو شعره المدحي شعراًّ ملحمياً يشترك فيه الوهم والحقيقة، وليعيدنا إلى نظرة الأقدمين الذين وحَّدوا بين قابيل و الشيطان (شمودي) الذي ينسب إليه تشييد مدينة (بعلبك) أول مدينة في العالم[1402]؛ إذ أَنّ قابيل بن آدم بعد ما اعتراه الارتعاش أمر ببنائها.

ويؤكد علاقة الأبطال بالجن، ويعكس الهدف من هذا التشبيه، ويبين ما يمتلكونه من الشجاعة، قول نابغة بني شيبان: [1403]

إن الشبابَ جُنُونٌ شَرْخٌ باطِلُه   يُقيِمُ غَضّاً زَمَاناً ثم يَنْكَشفُ[1404] (البسيط)

ونلمحه في قول الشنفرى، الذي يرد فيه سبب الجنون إلى الانبهار بالجمال والحسن، وهو: [1405]

فدقّت وجلّتْ واسبكرّت وأُكملت   ولو جُنَّ إنسانٌ من الحسنِ جنّت   (الطويل)

إذ جعل الشاعر الشباب مرحلة من الجنون، يبلغ فيه الباطل أوجه، ثم يذبل؛ لأنها كما يقولون جنون النشاط وهذا قريبٌ من الإلهام[1406]؛ فالجن والجنون والشجاعة أسرة واحدة، وكذلك الكرم؛

1400 – لبيد بن ربيعة: **ديوانه**، ص114.

1401 – نادي الجن: مجلس الجن، أسقطت شأوهم: طَلّقهم في العدو، صُروع: نواحٍ.

1402 – **مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير العربية**، ص 67.

1403 – نابغة بني شبان: **ديوانه**، ص113.

1404 – الشرخ: عنفوان الشيء وشدّتُه.

1405 – الشنفرى: ديوانه، ص86.

1406 – **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، ص89.

لأن الكريم من يتجاوز حجب المجتمع الإنساني لكي يتصل بالطبيعة، ويأخذ إلهامه من السحاب، فهو إنسان موهوب كما يوهب الشعراء [1407]، وهذا ما أورده المطلبي عن شكسبير "إنّما المجنون والعاشق، والشاعر من نسج خيالٍ واحد"[1408]، وقد جعل النابغة الذبياني ممدوحه كسليمان بن داود الذي يأمر الجنّ فتطيعه، ويقود جنداً بسيفٍ أسطوريّ، ويفيض كرماً كفيض الفرات إذ تزعزعه رياح الصيف[1409]. وقد ذكر أنّ المجنون القشيري اسمه كُهبل بن مالك سميّ بالمجنون؛ لأنه فرّق ماله في موسم الحج، غضبت عليه قريش، وكان يقول لستُ بالمجنون، ولكني سمحٌ".[1410]

وهكذا نخلص مما سبق إلى أن الغول كائن جدلي مُعَقَّد، لأنه الموت والعبقرية والزمن، أي أنّه علامة (×)، تطلق على المجهول السريَّ العميق، وعلى كل ما يقلق ويحيّر، ويغري ويخيف، علامة على الغيب الذي يضرب بجذوره في أعماق الخيال الجاهلي، ويتجلّى بين الحين والأخر في الخطاب الشعري، وهي بهذا الحشد التأثيري لأفعالها، ذات قوة تدميرية، تفوق قوة الليزر في عصرنا الحاضر.

وكذلك الجنّ، إذ وقر في أذهانهم أنها تُجسَّد ثنائية الخير والشر، وتظهر بمظهر الآله، كما خلطوا بينها وبين الشياطين، من حيث دور كل منها، وهي تمثل الحياة والموت، والخصب والجدب، وكل ما صوره الشعراء بها، احتلّ القيمة نفسها، مما يؤكد نظرة الإنسان الأول إلى الحياة والموت، وبحثه عن الخلود؛ ليهرب من الموت، واعتقاده أن الموت سبب الحياة.

1407 – المرجع نفسه، ص89.

1408 – المطلبي: **مواقف في الأدب والنقد**، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد، العراق، 1980م، ص136.

1409 – ينظر، النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص58، قراءة ثانية لشعرنا القديم، ص69.

1410 – بابتي، عزيزة فوّال،: **معجم الشعراء**، ص325.

المَبحث الثاني

البُعد الاجتماعي

نتبين من خلال استعراضنا عالم الجن والغيلان، والسَّعالي في الشعر الجاهلي، أن الشعر الجاهلي كان سجلاً للحياة العربية في ذلك العصر، فجاء حافلاً بالعديد من المؤشرات الاجتماعية، ومن خلال استقرائنا للجن في الشعر الجاهلي، لاحظنا أنّ الشاعر الجاهلي، كان يعكس رؤيته للحياة والمجتمع على ذلك العالم الخيالي، وأول ما يطالعنا من ذلك، ما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية، فقد صور الشعر الجاهلي عالم الجنّ، عالماً له ملامحه ونمط حياته الخاصة به؛ يسوده النظام الأسري والاجتماعي، له أنسابٌ وصلات قرابة، وروابط أسرية، ويظهر ذلك في قول جذع بن سِنان الغسَّاني، واصفاً الضيوف الذين حلّوا عليه "أتاني قاشرٌ وبنو أبيه ..."[1411]، فالشاعر يبين رابطة الدم والنسب التي تربط بينهم، ويعكس الوحدة والتعاون؛ بدليل أن لهم قائداً يأتمرون بأمره، فهم جماعة منظمة حتى على مستوى الأسرة، ومن المؤشرات الاجتماعية التي تبدو فيها الإشارة إلى النظام القبلي، والعشائري في مجتمعات الجن، أنّ القبيلة كانت تمثل في الشعر الجاهلي وحدة اجتماعية، وسياسية واقتصادية مستقلة، يخضع الفرد لتنظيماتها الاجتماعية أكثر من خضوعه لأسرته.[1412]

وفي هذا يقول حسان بن ثابت: " ولي صاحب من بني الشيصبان "[1413]، ونلمح تلك العصبية القبلية في قول هبيد شيطان عبيد بن إلابرص، الذي يقول: " أنا ابن الصلادم "[1414]، إذ تتجلى فيه روح التعالي والتفاخر، فكأن كلاً منهما يقول أنا من بني هاشم.

ويشير الشعراء إلى أن العلاقة بين أبناء القبيلة لم تكن عشوائية؛ وإنما كانت منظمة، منوطة بشخصية عليا، تكفلت بكل مهماتها[1415]، ويعكس هذا ما أورده الجاحظ " أن الناس لا

[1411] – **بلوغ الأرب**، 352/2.

[1412] – النص: إحسان: **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**– ط2– دار الفكر، 1973م، ص75، وما بعدها، الفاخوري، حنا:**الجامع في تاريخ الأدب العربي** (الأدب القديم) –ط2– دار الجيل، بيروت، لبنان، 1995م، 88/1.

[1413] – حسان بن ثابت: **شرح ديوانه**، ص69.

[1414] – **جمهرة أشعار العرب**، ص 41.

[1415] – **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، 78/1.

يصلحهم إلاّ رئيس، واحد يجمع شملهم، ويكفيهم، ويحميهم من عدوهم، ويمنع قويهم عن ضعيفهم"[1416]، ويتضح ذلك من خلال الطقوس التي كانوا يمارسونها؛ فقد كانوا يستعيذون بسيّد الوادي، أو بعظيم الوادي، فيتولى حمايتهم، ويتعهد لهم بها من أبناء قومه.

وقد أشار الشعراء إلى الوحدة والتضامن اللتين كانتا بين أبناء القبيلة، واللتين كان لا بد من وجودهما في المجتمعات الصحراوية؛ لأن الإنسان لم يكن يستطيع أن يعيش إلا إذا ضمن مساعدة أقرانه، وبني جلدته؛ للوقوف في وجه عوامل الطبيعة، وخصومة البشر، فقد أشار معظم الشعراء إلى خروج الجن بشكل جماعات، وهذا ما وجدناه في قول جذع بن سنان الغساني، "أتوا ناري" وبقوله "قاشر وبنو أبيه"[1417] وشمير بن الحارث الضبي يكرر نفس العبارة مستخدماً ضمير الجماعة[1418]، الأمر الذي يعكس طبيعة الحياة الجاهلية، وما يعترض المسافر فيها من مخاوف اللصوص، والحيوانات الوحشية، وعادة اجتماعية أخرى، وهي أن الرجل لم يكن يرحل وحده، فكانوا يقولون، " أقل الرفقة في الصحراء ثلاثة "[1419]، وذلك ما نلحظه في مقدمات القصائد الجاهلية، إذ تبدأ بخطاب المثنى مثل خَليليّ، قفا؛ وما ذاك إلا لتوفير شيء من الأمن والطمأنينة.

وربّما نلمح في قول الخنساء في رثاء أخيها صخر، ما يشير إلى تأثر الجن، ومحاولتها مشاركة الإنسان الجاهلي مشاعِره وأحاسيسه، فهي تقول: [1420]

والإنس تَبْكي وُلّها   والجِنُّ تُسْعَدُ مَنْ سَمَرَ   (مجزوء الكامل)

ويشير حسان بن ثابت إلى سماع الجن للإنسان، وإعجابها بشجاعته في ساحة المعركة، بقوله:[1421]

بِضِرَابٍ تَأْذَنُ الجِنُّ لَهُ   وَطِعانٍ مِثْلِ أفْواهِ الفُقُرْ [1422]   (الرمل)

[1416] – الجاحظ:رسائله– ط1– " **كتاب النساء**"، جمعها ونشرها، حسن السندوبي، المطبعه الرحمانيه، بمصر، 1352هـ–1932م، ص271.

[1417] – **بلوغ الأرب**: 352/2.

[1418] – المصدر نفسه، 350/2.

[1419] – رومية، وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**– ط3– مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ص216.

[1420] – الخنساء، **ديوانها**، ص45.

[1421] – حسان بن ثابت: **شرح ديوانه**، ص162.

ويؤكد المهلهل بن ربيعة أن الجن تشكّل عالماً مقابلاً لعالم البشر، تتأثر بأفعالهم، وذلك بقوله مصوراً فساد الأمر بعد كُليب: [1423]

فالإنس قَدْ ذُلّتْ لَنا وتَنَاصَرَتْ والجنُّ مِنْ وَقْعِ الِحَديدِ المُلْبَسِ (الكامل)

ويبالغ في تصوير الهزائم التي ألحقها بقبيلة بكر، بقوله: [1424]

لَوْ كُنْتُ قتَّلتُ جِنَّ الخَابلينَ كما قَتَّلْتُ بَكْراً لأَضْحىَ الجنُّ قَد نَفِدا (البسيط)

فالجن في رأيه تشكل عالماً متمنعاً كثير العدد.

ويشير بعض الشعراء إلى دور السيد وموقعه في القبيلة، إذ تقع عليه مسؤولية الحماية، وإجارة المستجير، وإغاثة الملهوف، فقد توجه أحد الأعراب إلى عامر الوادي؛ كي يرد عليه غنمه التي استولى عليها أحد أفراد الجن، فأشار عليه، فردّها مسرعاً[1425]، وهذا يجسد نظرة الجاهليين إلى السيد، فالسيادة أمرٌ عظيم؛ وهذا ما دفعهم إلى القول، بأن الملك غير منتسب إلى الإنس، وإنما هو مَلَك نزل من السماء، وصفاته عظيمة، لا يقدر عليها أحد، فهذا علقمة يخاطب الحارث الغساني، قائلاً: [1426]

ولَستَ لإْنسيٍّ ولَكَنْ لمِلأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَماءِ يَصوُبُ (الطويل)

لذلك عدّوا تمكن الموت من سادة القبائل، نذير شؤم على الناس وأرزاقهم. ومن هذا الباب أيضاً النظام الطبقي "وجود السادة والعبيد" الذي أشار إليه (شمير بن الحارث الضبي) بقوله: وقلت:

1422 – تأذن: تستمع، الفُقرة: مخرج الماء من البئر.

1423 – امرؤ القيس: **شرح ديوانه**، ص280.

1424 – المصدر نفسه، ص270.

1425 – **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ص398، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، 45/2-46.

1426 – علقمة بن عبدة الفحل: **شرح ديوانه**- ط1- شرحه حنّا نصر الدين الحتّي، دار الكتاب العربي، 1414هـ-1993م، ص83.

مَنُونَ أَنْتُم ؟ قالوا: سُرَاةُ الجِنِّ "[1427]، وتبدو هذه النظرة عند شاعر إسلامي، يرى أن شيطانه من أمراء الجن، فيقول: " فإن شيطاني أمير الجن "[1428].

وربما نلمح في وصف عنترة للغول: " ووجه أسود "[1429]، ما يردنا إلى أن إحساسه بالدونيَّة حقيقة لا مراء فيها، فكأن حديثه عن بطولاته ومفاخره، لون من ألوان توليد الذات، والتعالي على صور العبد في داخله؛ فكأنها حيلة من الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها؛ لإزاحة القلق والتخلص منه، بعدم مواجهة المشكلة الأصلية، فقد ثار على واقعه، وتمرد على تقاليد الجاهليين، حتى استطاع تغييره، وانتزع حريته انتزاعاً، مُرغِماً الجميع على الاعتراف به، واحترامه وتقديره[1430].

وينعكس التضامن القبلي في قضية الأخذ بالثأر، حين خرجت قبائل الجن بأفرادها كافةً؛ طلباً لثأر أحد أبنائها من "بني سهم"، فحدثت مقتلة عظيمة بينهما، استمرت حتى تدخلت قريش؛ بطلب منهم، وأصلحت بينهما، ووقع كل منهما على عقد[1431]، وتتجلى في ذلك السياسة الداخلية للقبيلة التي ترى أن أفرادها جميعاً متضامنون فيما يجنيه أحدهم، كما يقول المثل "في الجريرة تشترك العشيرة"[1432]فهو عقد اجتماعي قائم بين الفرد وقبيلته على أساس عاطفي محض، فهي النخوة التي تجيب دون أن تُسأل[1433]، ويشير أمية بن أبي الصلت إلى محاولة الإنس الثأر لحرب بن أمية الذي قتلته الجن، معلناً أنهم لو قتلوا ألف ألف من الجن، لا يعادلونه، بقوله: " فلو قتلوا بحرب ألف ألف "[1434]، وهذا يعكس العادة الجاهلية التي تدعي أنه يخرج من رأس القتيل الذي

1427 – **بلوغ الأرب**، 250/2.

1428 – **الحيوان**، 229/6، **ثمار القلوب في المضاف المنسوب**، ص72، **بلوغ الأرب**، 365/2، عبقر، ص49.

1429 – عنترة بن شداد: **ديوانه**، ص34.

1430 – أمين، فوزي محمد: **الشعر الجاهلي**، دراسات ونصوص، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2004، ص 124.

1431 – **أخبار مكة**، 15/2-16.

1432 – **مجمع الأمثال**: 86/2.

1433 – الفاخوري: **الجامع في تاريخ الأرب العربي**، 88/1.

1434 – أمية: **ديوانه**، ص 132.

لم يؤخذ بثأره طائر يزقو عند قبره، طالباً السقية من دم قاتله[1435]، ويعكس عادة جاهلية وأخرى وهي الثأر للقتيل من قاتله، والتي كانت سبباً في حروب ونزاعات استمرت مدة طويلة.

ومن الإشارات الاجتماعية التي تبدو في الشعر الجاهلي ظاهرة التحالف، فقد رأى بعض الشعراء في هذه السياسة متنفساً يتجاوز به تحدي المتناقضات؛ لما لها من تأثير في توطيدالعلاقات الإيجابية بين القبائل، وتأكيد مبدأ الأخوة، وصلة الرحم [1436].

فلم يجد هؤلاء الشعراء الملجأ الدافئ، والحِصن الأمين بين جماعة الإنس، فذهب كلٌّ منهم باحثاً عنه في عالم آخر، ويؤكد علاقته بذلك العالم باندماجه به، وهذا ما فعله جَرَان العود، وتأبط شراً وغيرهم مِمَّن فضَّلوا الإنتماء إلى الجن على الإنس[1437]؛ فقد رسم الشنفرى لنفسه صورة خارقة، تلحقه بعالم غير مرئي- عالم الجن- في ليلة أفزع فيها القوم؛ مما دفعهم إلى التساؤل، أتراه جنيّاً عظيماً؟! أيكون إنساناً؟! ما هكذا يفعل الإنس، صورة مدهشة تقترن فيها الحركة المادية بالحركة النفسية، فتجسدان الذهول والحيرة والاضطراب، إذ يقول: [1438]

فإنّ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأَبْرحَ طَارِقاً   وإنْ يكُ إنساً مَاكَها الإنس تَفْعَلُ [1439]   (الطويل)

لم يجد الشاعر مكافئاً له إلا من الجن، أليست هذه قضية تخلّي الإنسان عن مجتمعه؛ ودفعه إلى تأسيس انتماء جديد، انتماء إلى عالم الجن؟! ويقترب من ذلك توسل الإنس بالجن، وطلبها الحماية منها، إذ يصور الشاعر نفسه بصورة اللاجئ السياسي المهزوم، الضعيف الذي فقد الناصر والمعين؛ فلجأ إلى دولة قوية لتحميه، ويبدو ذلك بقول أحدهم: [1440]

هيا صَاحبَ الشَّجْراءِ هَلْ أنْتَ مانعي   فإني ضَيْفٌ نازلٌ بِفَنائكا (الطويل)

1435 – **بلوغ الأرب** 311/2.

1436 – **بلوغ الأرب**، ص321.

1437 – تأبط شراً: **ديوانه**، ص60، **الحماسة البصرية**، 1994/3، الشعر والشعراء، 605/2-608.

1438 – الشنفرى: **ديوانه**، ص64.

1439 – لأبرح طارقاً: لأعظم وأكرم طارقاً، البرح: الشدّة، ماكها: ما كهذا أو كمثل هذا.

1440 – **بلوغ الأرب** 326/2، وهناك رواية (ضعيف).

يعترف الشاعر بضعفه، ويعلي من قيمة الجن، ويخاطبه بصورة السيد القوي ويمدحه؛ وما ذاك إلا من قبيل الاعتراف بقدرته، والتذلل إليه، كي يلبي دعوته، ويوفر له الحماية، ويشير بذلك إلى حياة الصعاليك الذين فقدوا الإحساس بالأمان، وأحسّوا بالغربة والوحشة في مجتمعاتهم، فلجأوا إلى الكائنات الغيبية، من ذلك تأبط شراً الذي يقول: " فأصبحت والغول لي جارة "[1441]، تلك العبارة التي تقودنا إلى الحديث عن علاقة حسن الجوار، وضرورة الحفاظ على حقوق الجار التي أوضحها الجنيُّ لعبيد بن الحمارس، عندما نزل في جواره، واعتدى على حقوقه، فقد اتهمه بإساءة الجوار، وركوب مطيته ظلماً، وتوعده بأن يأخذ بحقه منه، مشيراً إلى أن ذلك ليس اعتداءً منه عليه، هو دفاعٌ عن حقوقه، وحفاظٌ عليها، فالجوار قيمة عربية أصيلة، ارتفع صوت الإنسان العربي معلنا التمسك بها، مستعداً للتضحية بالنفس في سبيل الحفاظ عليها[1442]، وقد قَدّس المجتمع الجاهلي هذا القانون تقديساً، فكان العربي يفخر بأن يكون ملاذاً لكل خائف [1443].

والجوار لا يحمل دوماً معنى التعاطف ولا يوحي بالألفة، فقد كانت جارة تأبط شراً من نوع أخر؛ فلم تستطع أن تملأ فراغاً في نفسيته، وإنما كشفت عن عالم جديد يجمع بين وحشية الإنسان وإنسانية الوحش، وقد أعطى هذه الحيوانات كثيراً من السمات الإنسانية[1444]، وهو بهذا يعكس المجتمع بإيجابياته وسلبياته؛ إذ لم يكن كل أفراده يعرفون حق الجار، أو حق اللجوء السياسي والاستجارة، فلم يجد ما كان يبحث عنه، ومهما يكن، فإن هروبه يشير إلى صورة الظلم الواقع على فئة الصعاليك في المجتمع، وأراد أن يثبت شجاعته، وقوته لقومه الذين ظلموه، وربما لزوجته، ويدحض ادعاءاتها من خلال قصته مع الغول، وربما لبني أمه (بني فهم)، كما ورد في قصة أخرى، سّجل فيها ملحمة تاريخية خيالية بسيطة، تدل على جرأته وحنكته وذكائه، إذ أخذ يبحث عن إنسان يحّمله رسالة العزِّ إلى (بني فهم) قوم أمه، مضمونها انتصاره على الغول بكلّ

[1441] – تأبط شراً: **ديوانه**، ص60.

[1442] – الراوي، مصعب حسون: **الشعر العربي قبل الإسلام** – ط1– دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989، ص 79.

[1443] – **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، 89/1.

[1444] – زيدان، عبد القادر عبد الحميد: **التمرد والغربة في الشعر الجاهلي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية 196م ص 127 – 128.

ما تحمله من خوف، ويقول فيها: (ألا من مبلغ فتيان فهم)[1445]، ونلمح في هذا ما يشير إلى عملية الخلع، والتشريد التي كانت القبيلة تمارسها بحق من يحاول التمرد عليها؛ فيضطر الخليع إلى أحد أمرين، إما أن يفر إلى الصحراء؛ ليلاقي مصيره، وإما أن يلجأ إلى من يحميه ويعيش في جواره[1446].

وتبدو في أبياته مغامراته وأمثاله من الشعراء مع الأعداء من جهة، ومع آل قومه من جهة أخرى، ومع المرأة التي أخذ يفتخر أمامها بنفسه؛ ليثبت لها جرأته، بقوله: " أنا الذي نكح الغيلان "[1447]، ويعلن شجاعته للمرأة التي أشارت على صاحبتها عدم قبوله زوجاً عندما طلبها، لذا فر طالباً النسب والقرب من الغول، مستعداً لدفع المهر الذي تطلبه، مفاوضاً إياها، مؤكداً حق المرأة في رفض المتقدم لها، وساعياً لاسترضائها، ومشاركتها في الرأي بقوله: " وطالبتها بضعها فالتوت "[1448]، إلاّ أنّها أصرّت على الرفض، فما كان منه إلاّ أنْ عاقبها بالقتل، والقصة وإن كانت من باب الخرافات والأكاذيب فأنها تشير إلى اعتقاد الجاهليين بإمكانية الزواج من الجن، كما حصل مع عمرو بن يربوع والسعلاة، والقصة ليست جديدة؛ وإنّما تُعيد قصة حواء التي كانت سبباً في هبوط آدم من الجنة، وفي كل ما لحق به من التحول والتغير، كما أشار إلى ذلك عدي بن زيد[1449]، ويبدو وجه الشبه في أن المرأة كانت صاحبة السيادة، والمتفوقة على الرجل تمسك بزمام المبادرة، تأكل من الثمرة المحرمة ولا تستشير آدم قبل ذلك، بل تعطيه منها ولا يرفض، حتى كانت النتيجة، واستعاد آدم مكانته[1450]، وهذا ما حصل مع جران العود الذي دفعته أوضاعه الاجتماعية، بما فيها المرأة إلى البحث عن عالم آخر؛ ليثبت وجوده، ويكونّ لنفسه السيادة، فنظرة المجتمع الجاهلي إلى المرأة لم تأت من فراغ، وإنما كونها المسؤولة عن الخطيئة

[1445] – تأبط شراً: **ديوانه**، ص106، بلوغ الأرب، 342/2.

[1446] – **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، 89/1.

[1447] – **الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع**، ص259.

[1448] – تأبط شراً: **ديوانه**، ص60.

[1449] – عدي بن زيد: **ديوانه**، ص159.

[1450] – الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في النقد الشعري**–ط1– دار العلوم للطباعة والنشر الرياض، 1984م، ص 124وما بعدها، عبد الله، محمود صبري علي: **الحية في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2003م، ص148–150.

الأولى والثانية، مما يدفعنا إلى التفكير في فلسفة القوة والضعف في الوجود كله؛ إذ لم تكن في المظهر فقط، وإنما قد تكون في الخداع الذكي، والخبث الواعي[1451]، وهكذا لم يكن للرجل مكانة إلا بعد الخطيئة.

ومع ذلك نجد صورة أخرى للمرأة، وهي الحريصة على زوجها سليماً معافىً، من خلال ما ورد على لسان أبي قيس بن الأسلت معتذراً عن الحرب التي وُكِّل بها، مصوراً إيّاها بالغول التي توجع الرجال، وتغيّر ألوانهم[1452]، الأمر الذي يقودنا إلى القول: إن المرأة التي اقترنت صورتها بالغول والسعلاة، والتي تسبب المشاكل، ويعزى إليها التفكك الأسري تارة، وبالجنية الساحرة القادرة على التأثير في الرجال، والتي تكون سبباً في الإبداع الشعري تارة أخرى، هي سبب التكوين الأسري، وأساسه تارة ثالثة، ويرجح "أن تكون رمزاً جماعياً لوجدان جماعي ديني للشمس "[1453] وتصويراً للواقع، لذلك اضطربت النظرة إليها كما يضطرب الواقع.

ولم تقتصر الأنظمة الأسرية والقبلية على أبناء الجن أنفسهم، وإنما حرص الشاعر الجاهلي على إقامة علاقات ودية مع أفراد من الجن يكتنفها الإخلاص والوفاء الأبدي؛ فقد لعبت دور الأخ والصديق الكريم الشجاع، فكل هذه النظم والقيم جاهلية محضة، حاول الشاعر عكسها على عالم الخيال، وأشار الأعشى إلى ذلك عندما استنجد بصديقه الجني؛ ليرد على أعدائه الذين هجوه، بقوله: " دعوت خليلي مسحلاً[1454]، يقول: " حباني أخي الجني[1455]، فهو يستخدم كلمات مجسّدة للعلاقة بينها، (الأخوة والصداقة) التي قد تفوق صلة النسب والقرابة. وتبدو روح الإيثار الجاهلي بقوله: " نفسي فداؤه.. " ويظهر التقدير والاعتراف بالفضل والمعروف، وعدم نكران الجميل، بقول الشاعر واعترافه بأنه لم يكن شاعراً لولا شيطانه "وما كنت شاحرداً" [1456]، وهذا ما يؤكد الوحدة القومية؛ فكلاهما يتحدث بلغة واحدة. ويعكس الأعشى نظرة

[1451] – فروم، إريش: **الحكايات والأساطير والأحلام**، مدخل إلى لغة منسية، ترجمة، صلاح حاتم،–ط1– دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1990م، ص 175 وما بعدها.

[1452] – **المفضليات**، ص284.

[1453] – **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص 123.

[1454] – الأعشى: **ديوانه**، ص183.

[1455] – المصدر نفسه، ص184.

[1456] – الأعشى: **ديوانه**، ص119.

الجاهليين إلى الشعر، وخاصة الهجاء الذي لم يكن يقل عن أثر السحر، وما ذاك إلا لعلاقة كل منهما بالجن؛ إذ كان تأثيره أشد من تأثير السيف والرمح. ويبدو أن الجن كالإنس لم تكن على مستوى واحد من الإخلاص والوفاء في علاقتها مع البشر، فقد صوّر سويد بن أبي كاهل اليشكري شيطان خصمه بأنه فرّار هرب، ولم يدافع عن صاحبه، فيقول: " فرّ مني هارباً شيطانه.."[1457] ويعكس ذلك طبيعة الحياة الجاهلية التي كانت قائمة على الصراعات والنزاعات الكلامية والفعلية.

وينظرون إلى الشعر على أنه شر في باطنه؛ يوقع الخصومة بين الناس؛ لأن الأعشى يقول: " فلما رأيت الناس للشر أقبلوا "[1458]، لذلك نظر الجاهليون إلى الشعراء نظرة تقديس ورهبة؛ كما نظروا إلى الكاهن؛ لأنه يمتلك القدرة على التعامل مع تلك المخلوقات الخفية التي قد تكون نافعة أو ضارة، فكأنهم يمتلكون زمام الأمور.

ويشير عمرو بن كلثوم إلى أن الجن طبقات كبني البشر، فيسمي الشعراء (كلاب الجن)[1459]؛ لأنهم تابعون لهم، مسيّرون بأمرهم، في حين يرى شاعرٌ آخر أن شيطانه (أمير الجن)[1460]، ويفتخر بذلك.

وهكذا عكس الشعراء الجاهليون نظرة المجتمع إلى الجن، وأضفوا عليها ملامح المجتمعات البشرية، من حيث التكوين. أما من حيث القيم والعادات فإننا نجد من خلال دراستنا لأشعارهم أن الشاعر الجاهلي أراد أن يعززها، من خلال تعامله مع الجن، وخاصة (إقراء الضيف) الذي يتمثل بإيقاد (نار القرى) أو (نار الضيافة)، التي تبدو في قول "جذع بن سنان" (أتوا ناري)[1461]، وفي قول شمير بن الحارث الضبي[1462]، فكأن كلاً منهما يفتخر بإيقاد النار؛ لإرشاد المحتاجين والسائلين، ولم يجَد الشعراء وسيلة لإبراز شمائلهم أفضل من إشعال تلك

1457 – **المفضليات** ،ص101.

1458 الأعشى، **ديوانه**، ص183.

1459 – عمرو بن كلثوم: **ديوانه**، ص72، الحيوان، 229/6، 351/1.

1460 – **الحيوان**: 229/6.

1461 – **بلوغ الأرب**، 352/2.

1462 – المصدر نفسه، 350/2.

النيران، التي يستدلّ منها على كرم الإنسان، إلا أنّ القارئ يُفاجأ عندما يعلم أن ضيوف الشاعر، كانوا من نوع آخر (من الجن)، ومع ذلك لم يألُ جهداً في تقديم ما يحتاجون إليه من الترحيب والإكرام؛ فيستقبلهم فَرِحاً، مقدِّماً لهم التحية الممزوجة بالبشاشة، ويدخل الأمل والرّاحة في نفوسهم، كما اعتاد، ويتولى خدمتهم بنفسه وذلك بقوله: [1463]

أَتَوْني سافرينَ، فَقُلْتُ: أهلاً رَأَيتُ وُجُوهَهم وَسْماً صَبَاحا (الوافر)

نَحرتُ لهم، وَقُلتُ: ألاَ هَلموا كلوا مِمّا طَهيْتُ لكُمْ سماحا

ويعكس الشاعر نفسه عادة العتيرة التي كانت تقدم كذبيحة للأصنام، ثم تقسم للمعوزين، من أجل كسب الرضا والبركة، وحسن الثناء، وكذلك الجزور[1464]، التي يعكس من خلالها قمة الكرم العربي، الذي بدا في القرآن الكريم، كما فعل سيدنا إبراهيم لضيوفه "فـراغ إلـى أهلـة فجاء بعجل سَمين"[1465]، ويبالغ الشاعر في إكرام ضيوفه، بأن يقدم لهم الخمرة الممزوجة بالعسل؛ وذلك لإظهار كرم المضيف، ولإعلاء قدر الضيوف، كل ذلك يعزز عادة اجتماعية، وهي أن تقديم الخمرة كان مَعْلَماً من مَعَالِم الكرم، لا يستقيم القرى من غيره، ويبين ما للخمرة من قداسة، إذ شاعت عادة ممارسة تقديم القرابين من النبيذ إلى الآلهة يومياً: " ويصور إقبال الجن عليها بشغف ونَهَمٍ، في حين يرفضون تناول الطعام، ويبدو ذلك، في قوله: "فنازَعني الزجاجةَ بعد وهنٍ" [1466]، فكأن الإنسان الجاهلي كان يهدف من ذلك إلى تحقيق الخلود، مع أنه موقن أن الموت واقع لا مهرب منه، فقد أخذ يسعى لتحقيق هدفه، عن طريق ممارسة بعض القيم الأخلاقية الموروثة في العرف الجماعي، فهي سبيل إلى خلود الذكر، ما دام خلود الجسد مستحيلاً"[1467].

1463 – **بلوغ الأرب**، 352/2.

1464 **الوثنية في الأدب الجاهلي**، ص369.

1465 – **الذاريات**، آية 26.

1466 – **بلوغ الأرب**، 353/2.

1467 – **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص226.

ومن الإشارات الاجتماعية التي أشار إليها الشاعر جذع بن سنان الغسّاني "ضرب القداح"[1468]؛ فقد كان الجاهلي إذا أراد فعل أمر، ضرب بالقداح، فإن خرج القدح المكتوب عليه افعل، فعل الأمر، وإن خرج القدح المكتوب عليه لا تفعل، تراجع ولم يفعل[1469]، إلا أن شاعرنا يوحي الى أن اعتقاد العرب بتلك الوسائل التي مارسوها لمعرفة المجهول، كان على درجات متفاوتة من التصديق، وعلى مستويات متباينة من الاعتقاد، وأن الاعتقاد بقدرة الجن على كشف المجهول كان الأكثر صدقاً من القداح، والتطير، والعيافة. و بدا ضيفه في صورة إنسان حكيم مجرب، حريصاً على مصلحته، أخذ يبدي له نصائحه، وهذا يدل على الثقة المتبادلة بين الطرفين.

إضافة إلى ما سبق، فإننا نلمح في أبياته قيمة أخرى من القيم الجاهلية، لا شك أنها الجرأة والشجاعة التي تمثلت بالمخاطرة والمجازفة، وعدم الاستهانة بالموت، وتعكس طبيعة الحياة الجاهلية القائمة على العدوان، والصراع الدائم؛ والتي لا يصلح لها إلاّ الرجل الشجاع الذي لا يبالي بالنتائج؛ فالشاعر يتخذ من نزوله في أماكن تواجد الجن مجالا للفخر بنفسه، فقد نزل ضامناً الموت، مستعداً له، بقوله[1470]: (الوافر)

أَتـَيتهُمُ وللأقدار حَتْمٌ تُلاقي المَرْءَ صُبْحاً أو رُوَاحا

أتَيْتُهُمْ غَرِيباً مُستَفيضاً رَأَوْا قَتلي إذا فَعلَوا مُباحـا

وتبدو الفوضى أو شبه الفوضى التي شاعت بين بعض القبائل، والتي تجلت بعدم وجود قانون اجتماعي، يُنَظّم علاقات البشر، فكأن الحياة قائمة على (شريعة الغاب) التي يفتك فيها القوي بكل من هو أضعف منه، دون رحمة أو رعاية لعهد أو ميثاق [1471]، فلم يكن هناك قانون يردعهم عن قتله، إلا أن الضمير الأخلاقي النفسي، هو الذي منعهم، وربّما استقبال الشاعر

1468 - ينظر، **بلوغ الأرب**، 353/2.

1469 - **السيرة النبوية** ،115/1، مضمون الأسطورة في الفكر العربي ص46، عبقر،ص123-124.

1470 - **بلوغ الأرب**، 2/ 352.

1471 - الفاخوري: **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، 164/1 وما بعدها.

الحسن لهم، هو الذي غيّر من طباعهم، وتعكس الأبيات نظرة الإنسان إلى الغول، أنه سبب الهلاك والموت.

وهكذا نستطيع القول إنّ قصيدة جذع بن سنان الغساني، تمثل معالم الحياة الجاهلية، وما ينظمها من علاقات اجتماعية، بكل معنى الكلمة، ونتبين منها، أن الشاعر إنما يعبر عن اللاشعور الجمعي، فما تجاربه إلا تجارب عامة عاشها شعبه، مستمدة من الممارسات اليومية، بما تتضمنه من نزاعات ومغامرات ومخاطر، وقد عكس الشاعر العلاقات الاجتماعية التي كانت تتمُ بين البشر، من تبادل الزيارات وغيرها على عالم الجن المتخيّل.

ويرى صالح بن حمادي أن التوسلات والقرابين والنذور التي كان يقدمها الجاهليّون لتلك الكائنات، ما هي إلا إجراءات وتدابير اجتماعية، كانت تقدم في الأصل لتنظيم علاقات البشر بعضهم ببعض، في العصور القديمة، فهي كالضرائب العينية التي تشبه الجزية والخراج، كان صنف من البشر يؤديها كفريضة لصنف آخر، بموجب بعض القوانين الطبيعية، كقانون القوة، وحق الأباء على الأبناء، أو اجتماعية، كواجب الفرد نحو المجتمع، وحق الحاكم على المحكوم أو هي كالعطايا التي يقدمها البشر الآدمي إلى الأخر؛ كي يقضي مصالحه أو يحيطه بالعناية والعطف[1472]، ويتمثل ذلك في الجوالق التي كانوا يضعونها أمام جُحْر الحية، ويزيدون فيها إذا لم تستجب لهم [1473]، وقد يكون في ذلك ما يشير إلى الدية التي كان وما زال يقدمها أهل القاتل للمقتول؛ دفعاً للشر والأذى، وفي هذا ما يصور جهل الإنسان الجاهلي، وإيمانه بالخرافات في وقت غاب فيه التفكير العقلي والعلمي، وأصبحت الأوهام والخرافات هي التي تسيطر على الإنسان. ونجد في لجوء الشاعر إلى الرُّقى، وما يُقَّدمه من الكلمات، والتمائم، والخرَزات التي تعلّق؛ لاتقاء أذى تلك الأرواح ما يشير إلى أنها جوازات السفر والمرور التي كان الفرد يستظهرها؛ ليعرف الأخرين بنفسه وبقومه، فيحدد الآخرون على أساسها موقفهم منه[1474]، فإن

1472 – ابن حمادي، صالح: **دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية**، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1983م– ص97–98.

1473– **بلوغ الأرب**، 359/2، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 812/6.

1474 – **دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية**، ص97–100.

كان من قوم بينهم معاهدة أو صلة مرّ بأمان، وذلك كما فعل أحد أفراد الجن مع بني سهم، عندما قال: " أنا رجل من بني سهم، بيننا وبينكم ميثاق "[1475]، وإن كان غير ذلك قتلوه أو أعادوه. نعتقد أن هذه الأفكار وليدة العجز الذي يشعر به إنسان الأساطير أمام الصعوبات التي تعترضه، وتشير إلى مجال يتعدى حدود التصور المنطقي الواقعي إلى المجالات المجهولة.

وتبدو بعض الإشارات الاجتماعية، في محاولة بعض الشعراء تسجيل الظلم الاجتماعي الواقع عليهم، أو على قبائلهم، من خلال الأساطير التي تتعلق بالجن، إذ نجدهم يدعون إلى العدالة، وإحقاق الحقوق، فهذا الأعشى يُعّبر عن غربته عن قوم، لا يعرفون الود بينهم، ولا يرون النسب والقرابة إلا أمراً متكلفاً لا قيمة له، ولا أهمية، ويكشف عن ظلمهم له دون مبرر، من خلال أسطورة ضرب الثور لتشرب البقر مع شربه، فلا ذنب له؛ وإنّما يعاقب على جريمة ارتكبها غيره، وذلك بقوله " لكالثور والجنِّيَّ... [1476]، وإن كان الهدف واضحاً، إلا أن الشعراء استغلوا هذه الحادثة للتعبير عن مثل هذه المواقف.

ويسجل النابغة تعجبه من تصرف النعمان وتقريبه لبني قريع، وإصغائه إليهم مع أنهم الأجدر بالعقاب، ومعاقبته له، مع أنه لم يذنب، ولم يَخُن أمانته[1477]، بقوله " لكلفتني ذنب ...."[1478]، مستغلاً المثل القاتل "كذي العرَّ يكوى غيره وهو راتعُ"[1479]، وهذا أيضاً يعكس الظلم الاجتماعي الذي كان شائعاً، والافتقار إلى العدالة التي يطالب بها كلا الشاعرين. ويبدو نكران الجميل؛ ومقابلة الإحسان بالإساءة، في أبيات أمية بن أبي الصلت التي يقول فيها "كذي الأفعى تربَّبُها"، [1480]متذكراً قصة آدم عليه السلام وإحسانه إليها، وما فعلته به وبالبشرية جمعاء بالتعاون مع الشيطان. وربما نلمح في أبيات امرئ القيس، في قضية تعليق كعب الأرنب، ما

1475 – ينظر، **أحداث القصة، أخبار مكة**، 183/2.

1476 – الأعشى: **ديوانه**،ص9.

1477 – أمين، فوزي محمد: **الشعر الجاهلي دراسات ونصوص**، ص 182.

1478 – النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص126.

1479 – **مجمع الأمثال**، 184/2.

1480 – أمية بن أبي الصلت: **ديوانه**، ص25.

يشير إلى روح المفاخرة، والتعالي بالقوة والصحة، إذ يَسْخَر من الرجل الضعيف، ويطلب من هند ألاّ تتزوجه[1481].

ونخلص من ذلك إلى أن عالم الجن جزء من عالم خيالي، استطاع العرب أن يجسّموا الرؤى، ويشخصوا الطبيعة، ويصوروا نوازع النفس الإنسانية من خلاله، ويؤكد ما ذهبنا إليه من أنه إسقاط لعالم الإنسان الجاهلي عليه بكل ما يشتمل عليه، من أنظمة وعادات وتقاليد، ولم يَشذّ عن طبيعة الحياة الجاهلية أو يختلف عنها.

1481 – امرؤ القيس: **شرح ديوانه**، ص350، 6/357–358.

المبحث الثالث

البعد النفسي

انبعثت الرمزية الأسطورية وأبعادها النفسية، من طموح الإنسان وآماله، ومخاوفه التي بنى عليها فلسفته المضادة للعقل؛ فقد بدا من خلال استعراض ما وَرَد عن عالم الجن، أنه – كما ذكرنا- عالم خيالي، تصنعه الوحدة والتفّرد؛ في الخلاء، والوهم والخوف من المجهول، في عالم كان ولا يزال مناوئاً للإنسان، ولا سيّما المتفّرد. فهو عنوان الخطر في وقت كان الإنسان الجاهلي يحلم فيه بنهر الحياة صافياً، ويغلبه واقع أقوى منه؛ فالصراع بين الواقع والحلم هو الشرط الأول للحياة، ومن العسير أو المستحيل أن تكون ثّمة حياة بلا صراع[1482]، ذلك الصراع الذي انطلقت شرارته الأولى بين إبليس والإنسان.

وقد شكل عالم الجن عنصر القلق، والاضطراب النفسي للإنسان الجاهلي، وهذا ما وجدناه في تصوير جَرَان العود لزوجتيه، وبيان ما ألحقتاه به من الأذى، وسَبّبَتاه له من القلق، وعدم الاطمئنان، إذ أنهما الهمُ الملازم له، الذي اضطره إلى التفكير في الرحيل إلى الجبال، للحياة مع الجن التي ربّما وجد عندها الاطمئنان والراحة، إذ يشبه زوجتيه بالغول والسَّعلاة،بقوله:[1483]

هما الغولُ والسِّعلاةُ حَلقِي مِنْهُما مُخدَّشٌ ما بَيْنَ التَّراقي مُجرّحُ (الطويل)

ولم يكتفِ بالأثر النفسي، وإنما تجاوزه إلى الجسدي؛ فقد تخدّش حَلقهُ من سوء معاملتهما له. ويبين في موقع أخر اضطراره إلى الهروب منهما إلى الجبال، حيث فرق بين الغول والجن، فهو إذ يعكس قلقه وحذره من الغول والسعلاة، يشير إلى راحته واطمئنانه إلى الجن التي تقيم في الجبال[1484]، فكأنها مخلوقات طيبة، تريد الخير للإنسان، بعكس الغول، وربما قصد بذلك اللجوء

[1482] – **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، ص130.

[1483] – جران العود: **ديوانه**، ص4، خزانة الأدب، 18/10.

[1484] – المصدر نفسه، ص19.

إلى الآلهة ممثلة في الجن؛ لكي يشكو إليها ما به. ولم يبتعد عن هذا الأثر ما ذكره الشاعر نفسه؛ يعكس من خلاله أثر المرأة في نفسه، حيث جمع بينها وبين الغول مرة أخرى، بقوله: [1485]

مَن كان أصبحَ مسروراً بِزْوجتهِ مِنَ الأنام فإنيِّ غيرُ مسْرور (البسيط)

كأنّ في البيت بَعْدَ الهَدْءِ راصدةً غُولاً تُصوّرُ لي في كلّ التصاوير

كأنني حينَ أَلْقَىَ وَجْهَهَا نَكِراً أهوي إلى اللَّيلِ يَوْمي ذاكَ في بِئْر

فالشاعر يعكس الأثر النفسي الذي تسببه له، من خلال تشبيهه لها بالغول التي تُلاحقه، وتلحق به الأذى، ولا نجد شاعراً يُجسَّد ذلك المعنى، أكثر من عاصم بن خروعة النهشلي الذي قال في وصف زوجته: [1486] (الطويل)

هي الغولُ والشيطانُ لاغولُ غَيْرُها وَمَن يَصْحب الشَّيْطانَ والغُولَ يَكْمد

تَعوّذَ مِنْها الجنُّ حينَ يَروْنَها وَيُطرقُ منها كلُّ أفعى وأسودِ

فلا يخفي ما توحي إليه الأبيات من اشمئزازه، وشدة نفوره منها. وتبدو السعالي بشكل مثير للرعب والفزع، من خلال تشبيه الشعراء المرأة الذميمة القبيحة بهن، ويتضح ذلك في قول الأعشى "ونِساءٍ كأنهن السَّعالي"[1487]، وتبدو السعالي بصورة مماثلة، في تصوير لبيد بن ربيعة للسائلات والمحتاجات بصورة السعالي الجياع، وذلك في قوله: [1488]

لِيَبْكِ على النُّعْمانِ شَرْبٌ وَقَيْنةٌ وَمُخْتَبِطَاتٌ كالسَّعالي أرامِلُ (الطويل)

أراد الشاعر أن يبين كرم النعمان، وما لحق بالنساء من تغيير بعده، حتى أصبحن في حالة من السوء تشبه السعالي، لذلك طلب منهن أن يبكين على النعمان.

1485 – **الحماسة البصرية** 1450/3، ولم ترد الأبيات في ديوانه.

1486 – المصدر نفسه، 1415/3.

1487 – الأعشى: **ديوانه**، ص169، الحيوان، 49/6.

1488 – لبيد بن ربيعة: **ديوانه**، ص145.

ومن شدة تشاؤم الجاهلي بالمرأة الإنسانة، فقد أخرجها إلى عالم المخلوقات المشؤومة الشريرة وجعلها كالسّعلاة حيناً، وكالغول حيناً آخر؛ من ذلك ما فعله الأعشى، حين حشد موقفاً للأسرى من الأعداء، وبين هؤلاء الأسرى نساءٌ مثلُ السَّعالي في الهيئة والشكل، [1489]وما هذا إلاّ ليبين ما لحق بهن من جراء الأسر، وهو بهذا يشبه جَرَان العود الذي تشاءم من زوجتيه، وشبّههما بالغول والسّعلاة، فالشاعر الجاهلي بهذا التصوير يعكس ما في مخزونه الفكري من قبح السعلاة على تلك النساء، وليس أدلُّ على تشاؤم الشاعر من هذه الكائنات من تلك الصورة المرعبة المنفّرة البشعة التي رسمها عنترة بن شداد،[1490] إذ جمع عنترة في صورته العديد من عناصر الرعب في ذلك الكائن، أولها وأهمها الخفاء والتجلي الذي يحيّر الإنسان ويربكه كثيراً؛ ثم زُرقَة العيون التي تشبه زرقة عيون الأعداء؛ وفي ذلك ما يدلّ على المكر والعداوة؛ لأن العرب وصفت الجان الخبيث بالزُّرقة؛ فالشاعر يقول معبّراً عن ذلك، ذاكراً زُرقة الجان: [1491]

لَقَد زَرُقَتْ عيناكَ يا ابنَ مُكَعْبرٍ   كذا كلُّ جِنِّيٍّ مِن اللُّؤمِ أزرقُ   (الطويل)

ولا يخفى أن الأزرق لون مكروه، يؤدي إلى التوتر والشك والخوف، ولا يذكر إلا في مجال الموت، مما يدلّ على نفور الإنسان من هذه الكائنات، وربطها بالقتل والفَناء، ويشير إلى عداء هذه الكائنات للإنسان؛ لأن هذا اللون هو لون العدو والحيوانات المفترسة التي توقع الشر وتلحقه بالإنسان[1492]، ويحمل اللون الأزرق رمز الشؤم بدليل أن العرب تشاءمت من البسوس، وهي زرقاء العينين [1493]، مما يؤكد تشاؤم الإنسان بهذه الكائنات.

وتبدو حالة الشاعر النفسية القلقة المضطربة، حين يجمع إلى زُرْقَةِ العيون سواد الوجه، وَحِدّة الأظافر، وهما صفتان مكروهتان، ولا يخفى ما للأسود أيضاً من ارتباط بالموت والدمار،

[1489] – النوتي، أحمد موسى: **التشاؤم ومظاهره في الشعر الجاهلي**، ص29.

[1490] – عنترة: **ديوانه**، ص133.

[1491] – ابن سيدة، أبو الحسن علي بن اسماعيل: **المخصص**، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، السفر الأول، ص100، **الحيوان**5/332.

[1492] – ينظر: أبو عون، أمل محمد عبد القادر: **اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي** ، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2003م،ص171.

[1493] – **الحيوان**: 5/331.

وإثارة للخوف والتشاؤم [1494].

وقد جمع عنترة بين عنصري اللون والحركة، إذ أسهمت الحركة المتمثلة بالتناوب بين الخفاء والتجلي في بَثّ جوٍّ من الرُّعب والترقّب المليء بالريبة والشك، ونلاحظ أن الشاعر يحاول التخلّص من الوهم والخوف اللذين سيطرا عليه بَعكِس الموقف؛ كي يثبت الشجاعة في نفسه، فما يلبث أن يُحْدث تبادلاً في الأدوار، ويجعل الجن تضجّ عند سَماع صوته؛ وربّما عكس تشاؤمه من سواد لونه وبشاعة منظره على هذه الكائنات التي تحمل ثنائية متناقضة مثله، وهي بشاعة المنظر، والقدرة الخارقة.

فالموقف النفسي كان وراء المشاهد التصويرية، والأوصاف الحسيّة والمعنوية والجسدية، فكانت كل كلمة تترجم وضعاً نفسياً خاصاً، يفصح عن إحساس معين، فقد استخدم حروف التفخيم في كلمتي "ضجيج، وتُضجُّ" [1495]؛ ليدلّ على عمق الخَطْب الذي ألمّ بالجنِّ، من جّراء ما أوقعه الشاعر فيها، وما ذاك إلاّ لتدعيم صورته، وتوضيحها وإبرازها.

ونلمح الصورة إيّاها بما تحمله من بشاعة المنظر، وما تشير إليه من العداوة والشرِّ في قّول تأبط شراً[1496]، عند حديثه عن لقائه الغول إذ وصفها (بالقبح)؛ وهي كلمة كافية لأن تترجم نفسية الشاعر، فعامة الناس إذا رأوا منظراً قبيحاً قالوا شيطان أو غول، والآية القرآنية كافية لتدعيم هذه الفكرة "طَلْعُها كأنَّه رؤوس الشياطين"[1497]، فيبدو عدم ارتياح الشاعر لها، وعدم اطمئنانه لرؤيتها.

ويُضيف الشاعر إلى ذلك المنظر القبيح صفة الغدر والخداع والمكر، مُذَكِّراً إيانا بالحية وحواء؛ فهي تحاول إغراءه؛ كي يَضْرِبها مَرةً أخرى، بقوله، "فقالت: عُدْ...... "

1494 – **اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي**، ص176.

1495 – عنترة بن شداد: **ديوانه**، ص134.

1496 – تأبط شراً: **ديوانه**،ص106-107.

1497 – **الصافات**، آية 65.

إلا أن الشاعر يبرز حنكته، ويكتشف حيلتها رافضاً ذلك؛ لمعرفته ماذا تريد، ويُصرُّ على الانتصار عليها، مُعلناً عن ذلك، مفتخراً بنفسه، فكأنه حقق انتصاراً على المجهول والتحديات التي واجهته، مما يؤكد أن الغول كانت بالنسبة للشاعر الجاهلي بمنزلة العنصر العدائي المقابل للإنسان والحياة، فهي الموت والمنيّة، وهي الداهية والمصيبة، ويكشف عن ديمومة الصراع بين الإنسان وعوادي الطبيعة، وثنائية الضرب والسقوط، كما تجسد ثنائية الليل والنهار، حيث يمتد صراع الإنسان فيهما، ونجد في الليل وحشة ورهبةً، قليلٌ من الرجال من تغلب عليها، وهذا ما أشار إليه امرؤ القيس الذي جعلها "غولاً ختوراً يلتهم الرجال"[1498]. ليعكس حقده وكراهيته للدهر من خلال كلمة "يلتهم" التي توحي بالبطش والفتك، وتوحي بالقلق والاضطراب النفسي الذي يكنّه الشاعر لتلك الكائنات، مما يؤكد غلبة التعبير الرمزي على التعبير المباشر عند الشعراء الجاهليين، إذ لم يكن الشاعر يقصد بناء الصورة لذاتها؛ وإنما إلى التعبير من خلالها عن قضاياه وأحاسيسه، ومواقفه من الحياة والناس من حوله.

وتبقى مشاعر القلق تسيطر على الشاعر الجاهلي تجاه تلك الكائنات، وخاصة لما تمتاز به من تلوّن وتقلّب، فهي لا تثبت على حال؛ وما تلبث أن تتحول من طيّبة إلى شريرة، وهذا ما قاد الشعراء إلى تصوير الحرب بما تلحقه بالإنسان من ويلات بالغول، وذلك لتقلّب نتائجها. وذلك بقول الراجز: [1499]

والحربُ غُولٌ أو كَشبْهِ الغُولِ   تَذُقُّ بالرَّاياتِ والطُّبولِ   (الرجز)

فالحرب من غير شك مذمومة مكروهة، توحي بالرهبة والريبة، تحمل ثنائية الخير والشر، كما تحمل المرأة الحسناء التي تراود الرجال عن نفسها؛ فهي تغدر بالفرسان، وما تلبث أن تفتك بهم، كالنار التي لا تبقي شيئاً. وهذا ما كشفه كعب بن زهير بتصوير المرأة بالغول في تقلبها وتلوّنها[1500]، ولم يجد الشعراء أفضل من قرن الحرب والمرأة بالغول؛ بهدف التعبير عما تحمله

1498 – امرؤ القيس: **ديوانه**، ص150.

1499 – **الحيوان**، 195/6.

1500 – كعب بن زهير: ديوانه، ص61، **جمهرة أشعار العرب**، ص283.

نفوسهم من مشاعر الاشمئزاز والنفور من هذه الأمور.

ويجمع أبو قيس بن الأسلت بين الصورة البصرية والذوقية، بقوله واصفاً اَلحرب "غولٌ ذاتُ أوجاع، وطعمها مُرّ"[1501]، وما ذاك إلاّ ليؤكد حقده عليها، وكراهيته لها، فقد وقر في أذهان الجاهليين الخوف والقلق، وعدم الراحة لذكر هذه الكائنات حتى أصبحت الحوادث غولاً، والأيام غولاً، والحرب غولاً؛ والسيوف حادّة كأنياب الغول[1502]، فكأن الشاعر في قصيدته ينهل من الأنماط العليا الكامنة في مجال اللاشعور، فيبدو ذلك الحيوان الأسطوري رمزاً للشرّ في صورة رسم أبعادها امرؤ القيس، مخرِجاً الغول من عالم المخلوقات اللامرئية إلى مخلوقات مرئية، مُشَبّهاً سيفه بأنياب الغول، وما ذاك التشبيه الوهمي إلاّ كناية عما يوحيه ذلك الكائن من مشاعر الخوف و الرعب في قلوب الأعداء.

ومما جاء في هذه المعاني قول أعشى بني قيس الذي يعتبر المنية غولاً: [1503]

فَما مِيْتةٌ إنْ مِتُّها غيرَ عَاجِزٍ بِعارٍ إذا ما غَالَتِ النّفْسَ غُولُها (الطويل)

وقول عدي بن زيد في رسالة أرسلها من سجن النعمان إلى ابنه عمرو بن عدي: [1504]

ألمْ يَحْزُنْكَ أنَّ أباكَ عَانٍ وأنتَ مَغيبٌ غَالتْكَ غُولُ[1505] (الوافر)

ويقول جران العود ما يؤكد تلك العلاقة: [1506]

فَقُلتُ مَا لِحمولِ الحيِّ قَدْ خِفَيتْ أَكَلَّ طَرْفي أَمْ غالَتْهُم الغُولُ؟ (البسيط)

ونستدلّ من خلال تماثل الصور على ما وَقر في نفوس الجاهليين من صور توحي بالنفور، والخوف والاشمئزاز من تلك الكائنات. ويشبه أبو دؤاد الإيادي الدهر بالمجنون، ويعتبر الإنسان طعاماً لآكل يدور كالمجنون، ويقول: [1507]

1501 – **المفضليات**، ص284، تاريخ الطبري، 241/1

1502 – **امرؤ القيس:** ديوانه، ص125

1503 – البحتري: **ديوان الحماسة**، ص36.

1504 – عدي بن زيد: **ديوانه**، ص34.

1505 – العاني: **الأسير الغول:** البعد؛ وسمي بذلك لأن المتخبط بها يهيم على وجهه، فيبعده عن أهله، يقال غالته غول.

1506 – جران العود: **ديوانه**، ص36.

1507 – البحتري: **ديوان الحماسة**، ص107.

إنّما الناسُ فاعْلَمنَّ طعامٌ		خَبَلٌ خَابلٌ لِريْبِ المَنونِ	(الخفيف)

عَطَفَ الدَّهرُ بالفَنَاءِ وَبالَموْ		تِ عَلَيْهم يدورُ كالمَنجْنُونِ[1508]

وَيرد المعنى نفسه عند أحيحة بن الجلاّح في قوله: [1509]

صَحَوْتُ عن الصَّبا، والدَّهرُ غُولِ،		وَنَفْسُ المرْءِ آونةً، قتُوُلٌ	(الوافر)

كما يعكس الشعر الجاهلي نظرة الجاهليين بشكل عام إلى الشيطان، وخوفهم منه حين يربطونه بالحية، إذ يسّمون الحية الداهية شيطاناً[1510]، ويصورون المرأة بالشيطان الشرير البعيد عن الحق، فقد جمع طرفة بن العبد بين هذه العناصر مضيفاً إليها الشجرة، في صورة تعكس ما في داخله من الرعب والفزع تجاه هذه العناصر، و تشير إلى ما تحمله من الخبث والمكر، توحي بالألم والندم الذي سبّبته لآدم وحواء، بقوله "تعَمُّج شيطان بذي خروع قفر"[1511] فكأنه يعكس القصة ذاتها.

وتتضح مشاعر الخوف والرهبة من هذه الكائنات، من خلال قول أمية بن أبي الصلت مُحَمّلاً الجِنَّ مسؤولية ترك الأفعى تنشر الأذى والشر، والفساد، مُحَذِّراً من التعامل معها؛ لما تتصف به من المكر والخديعة، فهي رمز الغدر والخيانة[1512].

ويؤكد خوف الجاهليين من الجن ونفورهم منها، أنّهم ربطوا ظهورها بالليل، واعتبروا اللون الأسود لون المجهول من الجن والغيلان. وتبدو مشاعر التوجس والخوف والقلق في قول عنترة، واصفاً الليلة التي التقى فيها بتلك الكائنات، وما فيها من أخطار ومواقف بطولية، سببّت له الشيب الذي ردّه إلى الخوف والرُّعب، كما في أذهان عامة الناس[1513].

1508 – المنجنون: الدولاب.

1509 – **جمهرة أشعار العرب**، ص231.

1510 – ينظر: طرفة بن العبد: **شرح ديوانه**، تحقيق رحاب خضر، ص156، الحيوان، 133/4.

1511 – المصدر نفسه، ص156.

1512 – ينظر، أمية: **ديوانه**، ص25.

1513 – ينظر: عنترة: **ديوانه**، ص134.

ونلمح ذلك فيما قاله نابغة بني شيبان، حين استخدم حاستي السمع والبصر، في قوله "أصواتُ جِنٍّ إذا ما أُعتموا عزفوا"[1514]؛ وما ذاكَ إلا ليزيد خطورة الموقفِ، ويجمع بين الليل والصحراء المقفرة إلاّ من الجن.

وتعكس الصورة عند زهير بن أبي سلمى مشاعر الخوف والحذر، وهواجسه النفسية من خَلال إلقائه إياها على الثعالب التي يجعلها تضجُّ مخافة، كما جعل الفؤاد يرتفع ويرتجف، من شدّة الخوف، وما سببّه له من القلق والاضطراب. ونلمح في أبياته ما يزيد خطورة الموقف؛ إذ لا يكتفي بالصورة السمعية المباشرة، بل يعمد لاستخدام الألوان المثيرة للرعب والفزع، وبخاصة لون الغبار الذي يُنذر بالشؤم، وذلك بقوله:[1515] (المنسرح)

وَبَلدةٍ لا تُرامُ خَائِفةٌ   زَورَاءُ مُغْبرّةٌ جَوانِبُها

فالغبرةُ لا تثور إلاّ عند مقتل زعيم من الجن، وغضب الجن لذلك، وتجمعهم للانتقام، فهو ينذر بالشرّ والفساد، لرغبة الجن بالانتقام والثأر لها[1516]؛ وهذا ما دفع الشعراء إلى قرنها بالمعارك، وبالمواقف البطولية، فقد تركت في نفوسهم شعوراً بالخوف والرهبة، وأصبحوا يتشاءمون بها، ويعكس ذلك طبيعة الحياة الجاهلية، ومحاولة ربط السبب بالمسبب، فعندما لاحظوا أن الغبار يثور، دون أن يحدث حركة فوقه، ظنوا أن هذا الغبار لجلبة الجن، ثم مالبث هذا اللون أن أصبح عنوان الشجاعة والبطولة، والثبات في المعارك[1517]، وقد أكّد القرآن الكريم تلك الدلالة، بقوله "وَوُجُوهٌ يَومئِذٍ عَلَيهَا غَبَرَةٌ "[1518]، ويبدو هاجس الخوف والرهبة من الجن، حتىّ في معاملتهم معها، فهذا جذع بن سنان الغسّاني، يستقبلهم عندما حلُّوا ضيوفاً عليه، بقوله "مَنُونَ أنتم" عبارة توحي بالفزع، تنسجم مع حالته النفسية، محاولاً تجاوزها بتهيئة جو

1514 – ينظر، **نابغة بن شيبان:** ديوانه، ص119

1515 – زهير بن أبي سلمى: **شرح ديوانه**، ص212–213، **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص307.

1516 – **أخبار مكة**، 15/2–16.

1517 – **اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي**، ص 76–77.

1518 – **سورة عبس**، آية 39.

الضيافة، بقوله: "فقلت : "عِموا صباحاً [1519].." كي يتفادى شرهم، وقد عزا شاعرٌ آخر خوفه منهم إلى اختفائهم عن الأعين؛ ورأى أنهم لو ظهروا، لذهب الخوف من قلبه [1520].

وهذا يتناسب مع الطبيعة الإنسانية التي تخاف من المجهول، وتأنَسُ بالظاهر من الأنوار، وهذا ما يزيد من خوف الإنسان منهم، ويدفعه إلى محاولة التخلص من الشعور بالقلق، والاضطراب النفسي بالشعائر والطقوس والقرابين، ويعكس الأسدي في قوله للحارث الملك الغّساني ما توحيه تلك الكائنات، فهي في نظره أشدُّ تأثيراً من الرَماح؛ لأنها تسبب المرض، وتقتل الإنسان، وتفتك بحياته، ويظهر ذلك بقوله"خَشيْتُ رماح الجن" [1521]، فكلمة الخشية تعكس الحالة النفسية القلقة المتوترة؛ كل ذلك يؤكد أن الجن في نظر الجاهليين رمز الفناء والموت؛ وهذا ما قادهم إلى تقديم القرابين لها؛ للتخفيف من معاناتهم، ممثّلة بجمال من الطين حيناً [1522]، وبالذبائح حيناً آخر[1523]، وما ذاك إلا حالة نفسية تسبب لهم الاطمئنان، وتعكس القلق والوهم اللذين يسيطران عليهم؛ ولا عجب في ذلك، فما زال كثير من الناس يلجأون إلى السحرة والمشعوذين، في مثل هذه الحالات، ويؤمنون بصدقهم.

ويبدو ذلك في قول أبي العَمْلس الطائي "أُصَفَّقُ بالبَنَانِ على البَنَان " "وَأَقْلِبُ تارةً خوفاً ردائي...[1524] إلى غير ذلك مما يُعبّر به، عن أن هذه الكائنات تشكل الشبح المُرعب، والمشجب الذي تعلق عليه مخاوفهم.

ونلمح في الطيرة ما يشير إلى مشاعر التوتر والقلق التي كان يعيشها الجاهلي، ومحاولته التخلص منها بأية وسيلة، فما بعثه للطير مثلاً إلا تعبيرٌ عّما يَحسُّ به من مخاوف كامنة تجاه الحدث قبل وقوعه، فلجأ إلى إسقاط مشاعره ومخاوفه على ما يشاهده في الطبيعة؛ لذلك جاء الطير نذيرَ شؤم وشرّ أو حاملَ فألٍ وخير، فما هذه الشعائر والتصرفات إلاّ نوع من تهدئة النفس

1519 – **بلوغ الأرب**، 352/2.

1520– المصدر نفسه، 359/2.

1521 – **الحيوان**، 6/ 219، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص53.

1522 – **أحداث القصة**, **بلوغ الأرب**, 359/2

1523 – **لسان العرب**، مادة (ذبح) **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص69، المفصل في تاريخ العرب، 808/6.

1524 – ينظر، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 461/1–462، **بلوغ الأرب** 316/2..

واطمئنانها، وإزالة ما فيها من هواجس تجاه هذه الكائنات[1525]، وبمنزلة جوازات السفر التي لا يُسمح باجتياز المناطق بدونها، والقرابين التي تقدّم للآلهة من أجل نيل رضاها، ودفع شرّها. وإن كنّا نلمح في ذلك ما يدلّ على قداسة الجن وعبادتهم لها، وشعورهم بقدرتها وتفوقها، إذ لا يستعيذ الإنسان إلا بمصدرٍ قوي قادراً على توفير الحماية له.

ونجد ما يؤكد قلق الإنسان وتوتره، وسعيه إلى إيجاد وسيلة، يتخلص بها من همومه وهوجسه، في تعويذة الوشم التي استخدمت في الحضارات السامية القديمة للسلامة من الغيلان التي تعدّ وسيلة من وسائل سطوة الدهر على البشر، وانتزاع أرواحهم، واستلاب حياتهم[1526]، ما يؤكد قلق الإنسان وتوتره، وسَعيه إلى إيجاد وسيلة يتخلص بها من هذه الهموم والهواجس. ويثبت ذلك استخدام الشعراء الوشم في مَعرض حديثهم عن الأطلال التي تعدّ في نظرهم (قرينةُ الأرواح الشريرة)[1527]، أو أنها " تخبيء عروساً من الجن" [1528]، فهم يرون في الوشم ما يحقق لهم الحفظ والصوّن؛ بوصفه تعويذة الشاعر الساحر ضد الموت والفناء، وهذا السحر الذي يبطل سلطان الحيوان أو الطير المسخر ضد الإنسان، ما هو إلا وسيلة لردّ شرَّ هذه الكائنات [1529]؛ فكأنهم يلتمسون الحماية منها بتقديم التعاويذ والأدعية إليها، وخاصة أنّ الشعر كان في البداية، كما يظن شوقي ضيف "عبارة عن أناشيد دينية يتّجهون بها إلى آلهتهم، يستعينون بها على حياتهم، فيطلبون نصرتهم، ونصرة أبطالهم، أو القضاء على خصومهم"[1530]، ويرى البعض "أن استخدام الشاعر لصيغة المثنى كان يَهدِف إلى تضليل الأرواح الشريرة المقيمة في الطلل؛

1525 – النوتي: **التشاؤم ومظاهره في الشعر الجاهلي**، ص93-95.

1526 – سنجلاوي، **إبراهيم موسى: الغول في التراث العربي القديم**، مجلة أبحاث اليرموك،:م6، ع1، 1988م، ص25-58

1527 – الشورى: **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص159.

1528 – **أنثربولوجية الصورة**، ص163، لسان العرب: مادة (طيف).

1529 – القرعان: **الوشم والوشي في الشعر الجاهلي**، ص28.

1530 – شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي** (العصر الجاهلي) ، ص 196.

كي لا تُصيب الفرد بأذى"[1531]، مما يؤكد أنّ كثيراً من العادات والطقوس التي أوردها الشاعر اليوناني القديم هوميروس في الإلياذة أو الأودسا ما تزال موجودة في حياة الأفراد والجماعات.

فكأنّ الشاعر كان يحاول أن يتجاوز تصوير معاناته، إلى توفير جو نفسي يستمد منه الهدوء والراحة النفسية، ويلتمس المعونة ممن يحلّون بهذه الأماكن؛ للفرار من الموت والفناء الذي يوحي به الطلل؛ لما فيه من أرواح شريرة.

وربمّا نلمح في هذه التصرفات، ما يشير إلى أنهم يَرون فيها وسيلة، يحققون من خلالها ما يطمحون إليه من الخصب، فتوحي لهم بالأمل والتفاؤل؛ لأنهم ربطوا بين العزيف الذي يحمل معاني الخصوبة والحياة، والطلل والديار المقفرة، فكأن العزف والشعر المرتّل المصاحب له، هو التمثيل الطقسي الذي يقدّم عبادةً لَربّة الخصب والجمال، طلباً للحياة وقوامها الرئيسي (الماء) [1532]، ونجد ذلك في قول أسماء بن خارجة في حديثه عن الصحراء: [1533] (الكامـــــل)

وبهِ الصّدى والعزفُ تَحْسِبهُ صدحَ القيانِ عزفنَ للشربِ

وهذا يشير إلى ما تمثّله هذه الكائنات؛ إذ تمثل ثنائية متناقضة، فهي الموت والحياة، وهي رمز القوة الخارقة والذكاء، نالت إعجاب الشعراء؛ فراحوا يلتمسون صورهم الأدبية منها، خاصة في مجال الفخر والمدح؛ فالشاعر لبيد بن ربيعة يلجأ إلى التشبيه الوهمي، فينعت بني ماء السماء، مشبّها إياهم بالجنّ، بقوله "جنّة عبقر"[1534]، والنابغة يصوّر أبناء قبيلة النعمان "أشباه جنّ"[1535]، وما ذَاك إلاّ لإعجابهم الشديد بشجاعتها وقدرتها؛ وكي يثيروا الفزع والرعب في قلوب أعدائهم، وهذا يعكس اللاشعور الجمعي، وما وَقَر في أذهان عامة الناس، فكلُّ من يأتي

[1531] –الرخاوي، نذير: **جدلية الجنون والإبداع**، ميراث الإلهام وإلهام الميراث،مجلة فصول، م6، ع4، 1986م، ص22.

[1532] – الجبوري، حسين: **المطر في التفكير الميثولوجي، مجلة التراث الشعبي**، المركز الفلكلوري في وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة والنشر بغداد–العراق، 1976/1، ص36.

[1533] – **الأصمعيات:** ص49–50.

[1534] – ينظر، لبيد: **ديوانه**، ص102.

[1535] – ينظر، النابغة الذبياني: **ديوانه**،ص196

بشـيء غريـب عجيـب يَـنمُّ عـن ذكـاء، يقـال لـه مـن بـاب الإعجـاب والتشـجيع شـيطان أو جـنّ أو عبقري، وإذا

حققوا نصراً مؤزراً نسبوه إلى الجن، فهذا عديّ بن زيد، يقول: [1536] (الطويل)

وَأَخْرَجْنَ يومَ الحَوْصِ سيَّدَ حِميرٍ بِحَرْبةِ جِنِّيٍّ مِنَ الحُبْشِ ماردِ

ويفتخـر النابغـة الـذبياني مُشَبِهاً نفسـه علـى ظهـر ناقتـه بـالجنيَّ الـذي أخـذ يخاطـب كـلاب الصـيد ويحذرها من الاقتراب من شياهه، بقوله: [1537] (البسيط)

يقولُ راكِبُها الجِنَّيُّ، مُرْتفقاً هذا لَكُنَّ، وَلحْمُ الشَّاةِ مَحْجُورُ

وقد رأوا فيها مصدر السرعة والنشاط، والقوة وخفّة الحركة، مما يؤكد إعجابهم بهـا؛ فَهم يردون سُرْعة الناقة، أو الفرس إلى ما فيها من شياطين تتملكها، وهذا ما قاله ضابىء بـن الحـارث "كأن بها شيطانة...[1538]" وذلك ليدلُ على أنّ الصورة الشـعرية فـي الشـعر الجـاهلي، تكشـف عن روح الإنسان الجاهلي بعامة، ويُثبت إعجـابهم بتلك الكائنـات، ومـا تمتلكـه من قوة خياليـة، بحيث أخـذوا يحولـون خيـولهم إلـى سـعالٍ [1539]، فـامرؤ القـيس يلجـأ إلـى التشـبيه المفـرد "كأنهـا سَـعال" [1540]، ويتـرك المجـال أمـام القـارئ؛ كـي يتخيـل صـورة السـعالي، ومـا تتصـف بـه؛ لأنهـا كائنـات وهمية، ويفكر في الدافع الذي دفع الشعراء إلى اختيـار هذه الكائنـات بالـذات، ويحـدد وجـه الشـبه، وما ذاك إلاّ ليزيد خطورة الموقف.

[1536] – عدي بن زيد: **ديوانه**، ص124.

[1537] – النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص88.

[1538] – ينظر، **الأصمعيات**، ص181.

[1539] – ينظر، **جمهرة أشعار العرب**، ص210.

[1540] – ينظر، المؤتلف والمختلف ص7، **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص255، شرح ديوان امرؤ القيس ص285

وهكذا ارتبط الجن في الشعر الجاهلي بمجموعة من القضايا، ذات الأثر المباشر في حياة الجاهليين، ويبدو أن هذا الارتباط ليس مجرد علاقة بين ظواهر مختلفة، وإنما يحمل دلالات وأبعاداً غير العلاقة الظاهرة المباشرة.

الخاتمة

بعد استعراض مادة البحث، واستقراء ما أكدها من أشعار، لابد من الوقوف على بعض النتائج التي خلص إليها البحث، وأهمها:

1. آمن الإنسان القديم بوجود قوىً خفية تتحكم فيه وبالكون، تصورها مجموعة من الآلهة متفاوتة المكانة، ضمن أطر الطبيعة الكونية، ترسل أسلحتها المدمرة التي تجاوزت المحسوسات إلى المجردات، فأخذ يفكر ويتأمل، مع غياب القوانين الإلهية والعلمية؛ كي يتوصل إلى حقيقتها، فوجد في الأساطير مخرَجَاً من الحالة العاطفية القلقة التي عاشها من جرّاء صراعه معها، وتحديّها له.

2. كان للأساطير المتعلقة بتلك الكائنات أهمية كبيرة في دراسة تاريخ الفكر الإنساني؛ فهي أول محاولة لوضع مفاهيم فلسفية، ترمي إلى إنقاذ الإنسان من متاهات الجهل بأسرار الطبيعة وظواهرها، فقد منحت الطمأنينة للإنسان القديم، وأنارت جوانب نفسه المظلمة.

3. لم يكن الإنسان الجاهلي، بمعزل عن هذه المعتقدات والأفكار التي أقرّها الإسلام، وما زلنا نؤمن بها، ونصدق بتأثيرها علينا؛ الأمر الذي يؤكد الصلة بين الأجيال المتعاقبة، ويدعم فكرة اللاوعي الجمعي للإنسان، ويؤكد حلقة التواصل الفكري والثّقافي والإنساني بين البشر.

4. للجن حضورٌ بارزٌ في القصيدة الجاهلية؛ مما يؤكد قدرة الشاعر الجاهلي على التعبير عن همومه، وهموم جماعته، ويثبت أن الشاعر الجاهلي كان جاهلياً حقاً، فكراً وفناً؛ أي استطاع أن يجعل من شعره مرآة، تعكس ما في عصره من أفكار ومعتقدات وقيم.

5. معظم الأشعار الجاهلية استمدّت مادتها من العلاقات الاجتماعية؛ إذ أثبتت تلك الأشعار، أن الفكر العربي كان فكراً متطوراً، ينضوي على خيال مبدع، استطاع أن ينشئ الأساطير والخرافات؛ كي يعلل كثيراً من الظواهر المحيطة به، مما يجعل أيُّ حكمٍ عليه بالبدائية وحسية الخيال، حكماً ضالاً بعيداً عن الحق والصواب.

6. وظف الشاعر الجاهلي هواجسه وخيالاته، من أجل توضيح بعض المواقف، وتقوية بعض الصور، وتدعيمها وإبرازها؛ وإن لم يتحدث عن الجن بشكل مستقل، ولم يخصص لها قصائد قائمة بذاتها.

7. عبّر الشاعر الجاهلي بصوره وكلماته وموسيقاه، عن صراع الإنسان ضد وحش الحياة، وهو الموت؛ إذ أن الصراع من أجْل البقاء سمة الشعر الجاهلي كلّه.

8. عبد العرب الجن، وربما جاء ذلك تتويجاً لاعتقادهم بأنّ الجنَّ هي القوة الخفية الوحيدة التي تتحكم بحياتهم ومصيرهم، فأوجدوا لها علاقة بكل ما يحيط بهم من مكونات بيئية، واستقّر في أذهانهم، أن لها علاقة بالموت والحياة، والمرض والشفاء؛ لهذا كلّه تقربوا منها رغبة ورهبة، وقدّسوا كلَّ ما يتعلق بهم.

9. نظر الجاهلي إلى الجن نظرة تتعدى كونه حيواناً، نظرة تقوم على أساس من الطوطمية.

10. تتحد الدلالة اللغوية للجن مع المفهوم الاصطلاحي؛ إذ كلاهما يدور حول التستر والإختفاء، وصنَّف العرب الجن إلى أنواع، وجعلوه مراتب، فادّعوا أنهم عرفوا الغول ورأوها، وأقاموا علاقاتِ زواجٍ وَنَسبٍ معها، وعرفوا منها أيضاً الخابل، والغدَّار، والدلهاب، والشِقّ ...الخ.

11. ارتبطت قضية الإبداع الشعري عند العرب بالأسطورة، وبخاصة ما يُسْمى بشياطين الشعراء، فكانت الجن هي القوة المؤثرة في عملية خلق الشعر؛ إذ لا يتعدى دور الشاعر أن يكون وسيطاً في هذه العملية.

12. ارتبط الشعر بالسحر والكهانة، وغدا دور الشاعر أخطرَ من دور الكاهن والساحر، وانتشرت نصوص السحر، والكهانة والتعويذات انتشاراً واسعاً.

13. اعتقد العرب بوجود علاقة بين الجن والحيوان؛ فجعلوا للجن مطايا من الحيوانات، ونظروا إلى هذه الحيوانات نظرة تقديس وخوف ورهبة، فأحجموا عن صيدها أو قتلها، واتخذوا من بعض أعضائها تعاويذ وتمائم؛ لدفع الأذى والشر، وآمنوا بقدرة الجن على التشكل بأشكال الحيوانات المختلفة، كالكلب والقط والحيّة..الخ.

14. اقترن الجن بالحية في كثير من أخبار العرب وأشعارهم، وتوزعت رمزيتها من خلال الخير والشر؛ فهي إذ تمثل الشيطان والأرواح الشريرة تارة، تمثل القوة الخارقة والقدرة تارة أخرى.

15. يُعدُّ دور الحية في خروج حواء من الجنة هو المحور الذي بنى عليه العرب اعتقادهم بها، وربط العرب بين الجن والإبل، ورأوا بينهما صلة قرابة ونسب، وكذلك بين الجن والفرس، والثور الذي أدخلوه في كثير من طقوس الاستسقاء خاصة.

16. قدس العرب بعض الظواهر الطبيعية بما فيها الجبال والأشجار والوديان؛ وما ذاك إلا لاعتقادهم بأنها مأوى الجن والأرواح الشريرة؛ فلجأوا إلى بعضها ملتمسين الحماية أو الخصب والحياة، فعدّت الجبالُ المقرَّ الرئيسَّ الذي يصلهم بالآلهة العلوية المقدسة.

17. عكس الشاعر الجاهلي أفكاره ومعتقداته، ونظمه الاجتماعية والنفسية على تلك الكائنات، واستمدّ منها صوره ومعانيه، ولا سيما في مجال الفخر والوصف والمدح، فضربوا بها المثل في القوة والنشاط، والخبث والمكر والسحر.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد.

الآلوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، شرح محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، د . ت.

الآمدي: أبو القاسم، الحسن بن بشر بن يحيى: **المؤتلف والمختلف**، تحقيق عبد الستار أحمد فرح، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1381هـ - 1961م.

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد: **المستطرف في كل فن مستظرف**، المكتب العالمي للبحوث، طبعة جديدة ومنقحة، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان،(د.ت).

ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود محمد الطناحي وغيره –ط1- دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1383هـ- 1963م.

الأحمد، سامي سعيد:

ملحمة جلجامش، دار الجليل، بيروت، د. ت.

المعتقدات الدينية في العراق القديم، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م.

أحمد، عبد الفتاح محمد: **المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي**-ط1- دار المناهل، بيروت 1987م.

أحمد، محمد خليفة حسن: **الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم**، (دراسة في ملحمة جلجامش) -ط1- دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م.

أدزارد: **قاموس الآلهة والأساطير**، ترجمة، محمد وحيد خياطة- ط1- دار مكتبة سومر، حلب، 1987م.

أدونيس: **مقدمة للشعر العربي**-ط4- دار العودة، بيروت، 1983م.

أرمان، أدولف: **ديانة مصر القديمة،** ترجمة، عبد المنعم أبو بكر، ومحمد أنور شكري-ط1- القاهرة، مكتبة مدبولي، 1995م.

الأزرقي، أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد: **أخبار مكة،** تحقيق رشدي الصالح ملحس- ط3- دار الإندلس، بيروت، 1983م.

إسماعيل، عز الدين: **الشعر العربي المعاصر وقضاياه،** دار العودة، بيروت، د.ت.

الأسمر، راجي: **الشياطين حقيقتها،** التحصن منها-ط1- جروس برس، طرابلس، لبنان 1991م.

الأشقر، عمر سليمان: **عالم الجن والشيطان**-ط1- مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 1409هـ- 1989م.

الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**-ط1- منشورات المكتبة الحيدرية 1416هـ - 1974م.

الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني،** عن طبعة بولاق الأصلية، بيروت، 1390هـ- 1970م.

الأصمعي، أبو سعيد، عبد الملك بن قريب: **الأصمعيات**- ط5- تحقيق، أحمد محمود شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1979م.

الأعشى، ميمون بن قيس: **ديوانه،** دار صادر، بيروت،(د،ت).

الأفوه الأودي: **ديوانه،** تحقيق محمد التونجي -ط1- دار صادر بيروت، 1998م.

الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح الجامع الصغير وزيادته** " الفتح الكبير " -ط3 -المكتب الإسلامي، بيروت، 1988م.

امرؤ القيس:

*- **ديوانه،** تحقيق مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423-2002م.

*- **ديوانه،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم-ط4- دار المعارف، القاهرة، 1984م.

- **شرح ديوانه،** تأليف حسن السندوبي-ط5- مطبعة الإستقامة، القاهرة(د.ت).

أمية بن أبي الصلت: **ديوانه،** تحقيق سجيع جميل الجبيلي-ط1- دار صادر، بيروت، 1998م.

أمين، أحمد: **فجر الإسلام** -ط11- مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).

أمين، فوزي محمد:

*- **الشعر الجاهلي، دراسات ونصوص**-ط1- دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 2004م.

*- **عنترة بن شداد العبسي**- ط1- دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004م.

أوس بن حجر: **ديوانه**، تحقيق، محمد يوسف نجم-ط3- دار صادر، بيروت، 1399هـ، 1979م.

بابتي، عزيزة فوّال: **معجم الشعراء الجاهليين** –ط1- دار صادر للطباعة والنشر، جروس برس، بيروت، لبنان، 1998م.

بارند، جفري: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة، إمام عبد الفتاح، ط2، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م.

الباش، حسن:

*-**المعتقدات الشعبية في التراث العربي** (دراسة في الجذور الأسطورية والدينية والمسلكية والاجتماعية)، دار الجليل، د.ت.

*-**الميثولوجيا الكنعانية والإغتصاب التوراتي**- ط1- دار الجليل للطباعة والنشر، دمشق 1988.

باقر، طه: **ملحمة جلجامش**- ط4- منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، 1980م.

البحتري: أبو عبادة، الوليد بن عبيد: **ديوان الحماسة**- ط1 - وضع حواشيه محمود رضوان ديّوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان1420هـ- 1999م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، بن المغيرة، بن بردزيه: **صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان(د.ت).

بدوي، عبد الرحمن: **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت.

بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة، عبد الحليم النجار-ط4- دار المعارف، مصر، 1977م.

بشر بن أبي خازم الأسدي: **ديوانه**، تحقيق عزة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1960م.

البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن: **الحماسة البصرية**، تحقيق، عادل سليمان جمال- ط1- مكتبة الخانجي، القاهرة، 1420هـ- 1999 م.

البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري**، (دراسة في أصولها وتطوره)- ط3- دار الإندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر: **خزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون-ط4- مكتبة الخانجي، القاهرة، 1420هـ- 2000م.

البنعلي، يوسف: **عُبّاد الشيطان**، أخطر الفرق المعاصرة- ط1- ط2، 1997م.

تأبط شراً: **ديوانه**، إعداد، طلال حرب-ط1- دار صادر، بيروت، 1996م.

الثعالبي، أبو منصور، محمد بن إسماعيل النيسابوري:

*- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- ط1- دار المعارف، القاهرة، 1965م.

*- **فقه اللغة وسرّ العربية**، -ط الأخيرة- تحقيق مصطفى السقا وآخرون، 1972م.

الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: **قصص الأنبياء** المسمّى (عرائس المجالس)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1414هـ - 1994م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

*- **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هاون-ط4- دار الفكر،(د.ت).

*- **الحيوان**، تحقيق عبد السلام محمد هارون -ط3- المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1388هـ، 1969م.

*- **رسائله**- ط1- (كتاب النساء) جمعها وشرحها حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية بمصر،1352هـ- 1932م.

الجبوري، يحيى: **الشعر الجاهلي**، (خصائصة وفنونه)- ط8- مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ - 1997م.

جران العود: **ديوانه**، رواية أبي سعيد السكري- ط3- دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000م.

الجوزو، مصطفى: **من الأساطير العربية والخرافات**- ط2- دار الطليعة، بيروت، 1998م.

الجوهري، محمد: **علم الفولكلور**، (دراسة المعتقدات الشعبية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1988م.

حاتم الطائي: **ديوانه**: تحقيق مفيد محمد قمحية، دار المطبوعات الحديثة. السعودية1408 هـ- 1987 م.

الحارث بن حلزة: **ديوانه**، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2004م.

حتّي،فيليب: **تاريخ العرب** – ط7- دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، 1986م،

حسان بن ثابت: **شرح ديوانه**-ط1- ضبطه وشرحه، عبد الرحمن البرقوقي، راجعه يوسف الشيخ، محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1424هـ- 2004م.

الحسين، قصي: **انتربولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام**، -ط1-الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م.

الحطيئة: **ديوانه**، شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، 1401هـ- 1981م.

حفني، عبد الحليم: **شعر الصعاليك**، منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م.

الحلبي، حسن علي وآخرون: **موسوعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**-ط1- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1416هـ- 1999م.

ابن حمادي، صالح: **دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية**، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس،1988م.

الحموي، شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله البغدادي: **معجم البلدان**- ط2- دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة، 1376هـ-1957 م.

حميد بن ثور الهلالي: **ديوانه،** تحقيق محمد يوسف نجم- ط1- دار صادر، بيروت، 1995م.

حميدة، عبد الرزاق: **شياطين الشعراء،** مكتبة الإنجلو المصرية، (د.ت).

الحوت، محمود سليم: **في طريق المثيولوجيا عند العرب**- ط3- دار النهار للنشر، بيروت، 1983م.

الحوفي، أحمد محمد:

*- **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**-ط3- مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة، القاهرة، (د.ت).

*- **المرأة في الشعر الجاهلي**-ط1- دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1409هـ-1980م.

خان، محمد عبد المعيد:

*- **الأساطير العربية قبل الإسلام**-ط1- لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937.

*-**الأساطير والخرافات عند العرب** -ط3- دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 1981.

الخفاجي، محمد عبد المنعم: **الشعر الجاهلي** – ط1- دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.

ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**-ط3- دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان، (د.ت).

خليف، يوسف**: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي** -ط2- دار المعارف، مصر،مكتبة الدراسات الأدبية 1959م.

خليل، أحمد خليل: **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**-ط2- دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980م.

الخنساء: **ديوانها،** المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان(د.ت).

خورشيد، فاروق: **عالم الأدب الشعبي العجيب**- ط1- دار الشروق، 1991م.

داود، أنس: **الأسطورة في الشعر العربي الحديث**-ط3- دار المعارف، 1992م.

داود، جرجس داود: **أديان العرب قبل الإسلام وجهها الحضاري والاجتماعي**- ط1- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1402هـ - 1981م.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: **الاشتقاق،** تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون- ط1- دار الجيل، بيروت، 1411هـ-1991م.

دغيم، سميح: **موسوعة الأديان السماوية والوضعية والوصفية،** (أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام)- ط1- دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995م.

الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: **حياة الحيوان الكبرى،** دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، مكتبة البيان، بيروت، (د.ت).

ول، وايزيل، ديورانت: **قصة الحضارة** (نشأة الحضار في الشرق الادنى)، تقديم محي الدين صابر، ترجمة نجيب محمود ،بيروت، تونس.

الرافعي، مصطفى صادق: **تاريخ آداب العرب**- ط2- دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1394هـ- 1974م.

الراوي، مصعب حسون: **الشعر العربي قبل الإسلام**- ط1- دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1979م.

الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في النقد الشعري**-ط1- دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1984م.

ربيعة بن مقروم الضبي: **ديوانه،** جمع وتحقيق، تماضر عبد القادر فياض حرفوش-ط1- دار صادر، بيروت، 1999م.

رومية، وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**- ط3- مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م.

الزبيدي، محي الدين، محمد مرتضى، الحسين: **تاج العروس من جواهر القاموس،** تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).

زكي، أحمد كمال:

*- **الأساطير دراسة حضارية مقارنة**- ط2- دار العودة، بيروت، 1979م.

*- **درسات في النقد الأدبي**-ط1- مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1997م.

زناتي، محمد سلام: **الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقية،** دار النهضة العربية للطباعة والنشر،(د.ت).

زهير بن أبي سلمى:

*- **ديوانه،** دار صادر، بيروت.

*- **شرح ديوانه،** صنعة الشنتمري.تحقيق فخر الدين قباوة- ط1- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ - 1992م.

زهير بن جناب الكلبي: ديوانه- ط1- **صنعة محمد شفيق البيطار،** دار صادر، بيروت، 1999م.

زيتوني، عبد الغني: **الوثنية في الأدب الجاهلي،** وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1987م.

زيدان، جرجي:

*- **تاريخ آداب اللغة العربية**- ط2- مطبعة الهلال، مصر، 1924م.

*- **تاريخ آداب اللغة العربية،** دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)

زيدان، عبد القادر عبد الحميد: **التمرد والغربة في الشعر الجاهلي،** دار الوفاء، لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 1969م.

سعفان، كامل: **معتقدات آسيوية** (العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان) -ط1- دار الندى، 1419 هـ 1999م.

سليمان، علي: **الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع،** قراءة في اتجاهات الشعر المعاصر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2000م.

السواح، فراس:

*- **الأسطورة والمعنى** (دراسات في المثيولوجيا والديانات المشرقية- ط1- دار علاء الدين، دمشق 1997.

*- **جلجامش،** ملحمة الرافدين- ط1- دار علاء الدين، دمشق، 1996م.

*- **لغز عشتار** (الألوهة المؤنثة، وأصل الدين والأسطورة)-ط6- دار علاء الدين، دمشق 1996م.

*- **مغامرة العقل الأولى**- ط1- دار علاء الدين، دمشق، 1996م.

سويلم، أنور:

*-**الإبل في الشعر الجاهلي،**(دراسة في ضوء علم الميثولوجيا والنقد الحديث-ط1- دار العلوم للطباعة والنشر 1403هـ - 1983م.

*-**دراسات في الشعر الجاهلي،** دار عمار، عمان، دار الجيل، بيروت، 1407هـ - 1987م.

*-**المطر في الشعر الجاهلي**-ط1- دار عمار، عمان، دار الجيل بيروت، 1987م.

*- **مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي،** دار عمار،عمان، 1410هـ - 1991م.

ابن سيدة الأندلسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص،** المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

شابيرو، ماكس، رودا هندرلكس: **معجم الأساطير،** ترجمة حنا عبود، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999م.

شاطر، إحسان باير: **الأساطير الإيرانية القديمة،** ترجمة حنا عبود- ط1- دار الجيل للطباعة، 1965م.

شاكر، شاكر هادي: **الحيوان في الأدب العربي**- ط1- مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ-1985م.

الشبلي، بدر الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله.

*- **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان،** تحقيق أيمن البحيري- ط1- مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1995م.

*- **غرائب وعجائب الجن،** كما يصورها القرآن والسنة، تحقيق، إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، القاهرة،(د.ت).

الشماخ بن ضرار الذبياني: **ديوانه،** حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، 1968م.

الشنفرى: **ديوانه،** إعداد، طلال حرب، ط1، دار صادر، بيروت، 1996م.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: **الملل والنحل،** صححه وعلق عليه أحمد فهمي محمد-ط2-دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، 1413هـ-1992م.

الشورى، مصطفى عبد الشافي: **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري،** الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1996م.

شيخو، **لويس**: شعراء النصرانية في الجاهلية، مطبعة الأباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، د.ت.

الصائغ، عبد الإله:**الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام،** دار الرشيد للنشر،العراق 1982م.

صفوت، أحمد زكي**: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة** (العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام) المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، القاهرة، 1352هـ- 1933م.

الضبي، المفضل بن محمد بن يعلي: **المفضليات،** تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون- ط10- دار المعارف، القاهرة، 1994م.

الضناوي، سعدي: **أثر الصحراء في الشعر الجاهلي**-ط1- دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1993م

ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي** (العصر الجاهلي)- ط7- دار المعارف، مصر، القاهرة 1960م.

الطائي، أبو تمام، حبيب بن أوس: **ديوان الحماسة-** ط2- مختصر عن شرح التبريزي، د.ت.

الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير:

*- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر، د.ت.

*- **تاريخ الأمم والملوك**، دار القلم، بيروت – لبنان، (د.ت).

طرفة بن العبد:

*- **ديوانه**، دار صادر، بيروت، (د.ت).

*- **ديوانه**، تحقيق رحاب خضر عكاوي-ط1- دار الفكر العربي، بيروت، 1993م.

الطفيل الغنوي: **ديوانه**، رواية الأنباري، تحقيق محمد عبد القادر أحمد- ط دار الكتاب الجديدة- 1968م.

عامر بن الطفيل: **ديوانه**، دار صادر، بيروت، 1399هـ - 1979م.

عباس، إحسان: **فن الشعر**-ط3- دار الثقافة، بيروت، د.ت.

عبد الحكيم، شوقي:

*- **مدخل لدراسة الفولكور والأساطير العربية**- ط1- دار ابن خلدون.

*- **موسوعة الفولكور والأساطير العربية**- ط1- دار العودة، 1982م.

عبد الحميد، يونس: **معجم الفولكور**- ط1- مكتبة لبنان، 1983م.

عبد الرحمن، إبراهيم: الشعر الجاهلي، قضاياه الفنية والموضوعية، مكتبة الشباب، القاهرة 1979.

عبد الرحمن، عفيف: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي- ط1- دار الإندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1981 م.

عبد الرحمن، نصرت:

*- **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي** (في ضوء النقد الحديث)، وزراة الأوقاف والمقدسات الإسلامية، مكتبة الأقصى، عمان، 1976م.

*- **الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،1985م.

عبد الفتاح، فاطمة: **الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي**، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1414هـ- 1994م.

عبد الله، محمد حسين: **الصورة والبناء الشعري**-ط1- دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، القاهرة، 1981م.

عبد الله، محمد صادق حسن: **خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة**-ط2- دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1977م.

عبود، محمد سليمان: **الإنسان والحيوانات من الأسطورة وطقوس تقديس الحيوانات** وعبادتها إلى داروين وحماية البيئة، ترجمة محمد سليمان-ط1- دار المنير، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1413هـ - 1993م.

عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، دار صادر، بيروت 1418هـ - 1998م.

عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**- ط1- العربية للنشر والتوزيع، تونس 1994م.

عدي بن زيد العبادي: **ديوانه**، تحقيق محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، د.ت.

عروة بن الورد: **ديوانه**- ط1- شرح سعدي ضناوي، دار الجيل، بيروت، 1416هـ 1996م.

عزيز، كارم محمود: **أساطير التوارة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**-ط1- دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة، دار الكلمة للنشر، دمشق، 1999م.

العقاد، محمود عباس: **إبليس**، القاهرة، 1955م.

علقمة بن عبدة:

*-**ديوانه**، شرح، سعيد نسيب مكارم- ط1- دار صادر، بيروت، 1996م.

*- **شرح ديوانه**- ط2- قدم له حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1414هـ-1993م.

علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**- ط2- دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، 1976م.

عمر، أحمد مختار: **اللغة واللون**- ط2- عالم الكتب القاهرة،1997م.

عمرو بن شأس: **شعره،** تحقيق يحي الجبوري، ط2، دار القلم، الكويت، 1403هـ-1983م.

عمرو بن كلثوم: **ديوانه،** تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1424هـ - 2004م.

عنترة بن شداد: **ديوانه،** شرح، يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، 1422هـ - 2001هـ.

العنتيل، فوزي: **الفولكلور ما هو؟** مكتبة مدبولي، القاهرة، دار المسيرة، بيروت.

عياش، عبد القادر: **الحية في حياتنا وتراثنا،** دير الزور، سوريا، 1968م.

الغناضي، حاتم صالح: قصائد نادرة (منتهى الطلب من أشعار العرب)، جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، د.ت.

الفاخوري، حّنا: **الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم**- ط2- دار الجيل، بيروت، لبنان، 1995م.

فادمر، هنري جورج: **تاريخ الموسيقى العربية** حتى القرن الثالث عشر ميلادي، تعريف جرجس فتح الله، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت).

فروم، إريش: **الحكايات والأساطير والأحلام** مدخل إلى فهم لغة منسية، ترجمة صلاح حاتم- ط1- دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1990م.

فرويد، سيغموند: **الطوطم والتابو**، ترجمة بو علي ياسين- ط1- دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1983م.

فريزر، جيمس:

*- أدونيس أوتموز، **ترجمة جبرا إبراهيم جبرا**، المؤسسة العربية للدراسات والنش، بيروت، 1979م،

*- الغصن الذهبي (**دراسة في السحر والدين**) ترجمة أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1971م.

*- **الفولكلور في العهد القديم،** ترجمة، نبيلة إبراهيم، مراجعة حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

فهمي، محمود: **تاريخ اليونان**-ط الواعظ- مصر-ط1- 1910م.

فريشادو: **الجنس في العالم القديم،** ترجمة فائق دحدوح، دار الكندي للترجمة والنشر، 1988.

الفيومي، محمد إبراهيم: **في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام،** عالم الكتب، القاهرة، 1979م.

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم: **كتاب الأمالي** –ط2- مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1344هـ- 1926م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:

*- **الشعر والشعراء**-ط2- دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1964.

*- **المعارف**- ط4- دار المعارف، كورنيش النيل، 1981م.

القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب: **جمهرة أشعار العرب،** دار صادر، بيروت، (د.ت).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن** - ط دار الكتب- دار الكتب العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ - 1967م.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود:

*- **آثار البلاد وأخبار العباد،** دار صادر، بيروت، 1960م.

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: فاروق سعد-ط4- دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981م.

قطب، سيد: في ظلال القرآن –ط7- **دار إحياء التراث العربي،** بيروت، لبنان، 1391هـ- 1971م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**-ط1- شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ- 1987م.

القمني، سيد: **الأسطورة اسطورة والتراث**- ط3- المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، 1999م.

أبو قيس بن الأسلت: **ديوانه،** جمع وتحقيق، حسن محمد باجودة، دار التراث، القاهرة، 1973م.

القيسي، نوري حمودي:

*- **الطبيعة في الشعر الجاهلي**- ط1- دار الإرشاد، بيروت، 1970م.

*- **تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام،** دار الحرية للطباعة، بغداد،1399هـ- 1979م.

كريمر، صموئيل نوح: **أساطير** العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.

الكسائي، محمد بن عبد الله: **قصص الأنبياء،** طبعة ايزين بيرل، بريل، لندن، 1994م.

كعب بن زهير: **ديوانه،** حققه وشرحه وقدم له، علي فاعور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1407هـ - 1987م.

الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب: **كتاب الأصنام،** تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1384هـ - 1965م.

كنعان، توفيق: **الكتابات الفولكورية،** ترجمة موسى علوش- ط1- دار علوش للطباعة والنشر، 1998م.

لبيد بن ربيعة: **ديوانه،** شرح الطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1424هـ - 2004م.

لقيط بن يعمر الأيادي: **الديوان،** تحقيق محمد التنوجي- ط1- دار صادر، بيروت، 1998م.

الماجدي، خزعل:

*- **أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ**- ط1- عمان، دار الشروق.

*- **إنجيل بابل**- ط1- منشورات الأهلية، عمان 1998م.

*- **إنجيل سومر**- ط1- منشورات الأهلية، عمان 1998م.

*- **بخور الآلهة**،(دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)- ط1- منشورات الأهلية، عمان، 1998م.

*- **الدين المصري**- ط1- دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، 1999م.

*- **متون سومر** (الكتاب الأول، تاريخ، المثيولوجيا، اللاهوت، الطقوس) -ط1- منشورات الأهلية، عمان، 1998م

*-**المعتقدات الأمورية**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 2002م.

*-**المعتقدات الآرامية**- ط1- دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2000م.

*-**المعتقدات الكنعانية**، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان، 2001م.

المتلمس الضبعي: **ديوانه**، شرح وتحقيق محمد التونجي- ط1- دار صادر، بيروت، 1998م.

المثقب العبدي:**شرح ديوانه**، تحقيق حسن حمد- ط1- دار صادر، بيروت، 1996.

محمود: عزيز كارم: **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى**، دمشق، 1999م.

المرتضى، **آمالي المرتضى**، تحقيق أبي الفضل إبراهيم- ط1- دار إحياء الكتب العربية، 1954م.

المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران: **معجم الشعراء**، تحقيق ف كرنكو- ط1- دار الجيل، بيروت،1411هـ-1991م.

المرزوقي، أبو علي: **كتاب الأزمنة والأمكنة**- ط دار المعارف- الهند، 1332هـ

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي:

*- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق يوسف أسعد داعر- ط1- دار الأندلس للطباعة، بيروت، 1965.

*- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، قدم له مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، (د.ت).

المصري، حسين مجيب: **الأسطورة بين العرب والفرس والترك**- ط1- المكتبة الثقافية للنشر، القاهرة.

المطلبي، عبد الجبار: **مواقف في الأدب والنقد**، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد، العراق 1980.

المعري، أبو العلاء: **رسالة الغفران**، حققها محمد عزت نصر الله، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، 1968م.

معلوف شفيق: **عبقر**- ط3- منشورات العصبة الأندلسية، دار الطباعة والنشر العربية، 1949م.

ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

ميتامورفوزس: **مسخ الكائنات**، ترجمة ثروت عكاشة -ط2- الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: **مجمع الأمثال**، تحقيق سعيد محمد اللحام - ط1- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1422هـ 2002م.

النابغة الجعدي: **ديوانه**، حققه وشرحه، واضح الصمد - ط1- دار صادر، بيروت، 1998م.

النابغة الذبياني: **ديوانه**، شرح وتعليق حنا نصر الحتي- ط2- دار الكتاب العربي، 1416هـ - 1996م.

نابغة بني شيبان: **ديوانه**، شرح عبد الله بن مخارق بن سليم، تقديم قدري مايو- ط1- دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ-1995م.

ناصف، مصطفى: **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت).

النجـار، عبـد الوهـاب: **قصـص الأنبيـاء**- ط3- دار إحيـاء التـراث العربـي، سـوريا – بيـروت، (د.ت).

ابن النديم: أبو الفرج محمد ابن اسحاق بن يعقوب:**الفهرست**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت.

النص، إحسان: **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**- ط2- دار الفكر، 1973م.

نعمة، حسن: **موسوعة الأديان السماوية والوضعية** (مثيولوجيا وأساطير الشعوب القديمة) - ط1- دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994.

النعيمي، أحمد إسماعيل: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**- ط1- سينا للنشر، القاهرة 1995م.

النوري، قيس: **الأساطير وعلم الأجناس**، جامعة بغداد، بغداد، 1981م.

النـويري، شـهاب الـدين، أحمـد بـن عبـد الوهـاب: **نـهايـة الأرب فـي فنـون الأدب**- ط مصـورة بالأوفست عن دار الكتب المصرية- القاهرة، 1983م، (د.ت).

النيسابوري، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري: **صحيح مسلم**، دار إحياء الكتب العربية، بيروت- لبنان (د.ت).

الهذليون: **الديوان**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.

ابـن هشـام، أبـو محمـد عبـد الملـك: **السـيرة النبويـة المعروفـة بسـيرة ابـن هشـام**،-ط2- المكتبـة العصرية، صيدا، بيروت 1419هـ - 1999م.

هوراس: **فن الشعر**، ترجمة لويس عوض.

هوك، صموئيل هنري: **منعطف المخيلة البشرية**، (بحث في الأساطير)- ط2- دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية 1995م.

هوميروس: **الإلياذة**، عّربها نظماً سليمان البستاني، مطبعة الهلال، مصر، 1904م.

وادي، طه: **جماليات القصيدة المعاصرة**- ط2- دار المعارف، القاهرة، 1989م.

أبـو يحيـى، أحمـد إسـماعيل: **الخيـل فـي قصـائد الجـاهليين والإسـلاميين**- ط1- راجعـه ياسـين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، 1417هـ - 1997م.

يوسف عمرو: **حقائق مثيرة عن السحر**، المركز العربي للنشر والتوزيع، مصر، د.ت.

الدوريات

الأحمد، سامي سعيد: معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور، مجلة المؤرخ العربي، ع3، بغداد، 1975م.

الجبوري، حسين: المطر في التفكير الميثولوجي، مجلة التراث الشعبي، المركز الفولكوري في وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد – العراق، ع1960،4.

الحجاجي، أحمد شمس الدين: الأسطورة والشعر العربي المكونات الأولى، مجلة فصول، 1984م، م4،ع2.

الديك، إحسان:

صدى عشتار في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، عمادة البحث العلمي، حزيران، م5، 2001.

الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث الإنسانية، م13، ع2، 1999 م.

الوعل، صدى تموز في الشعر الجاهلي: محلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع2، 2003م.

الرخاوي، نذير: جدلية الجنون والإبداع، ميراث الإلهام وإلهام الميراث، مجلة فصول،م6، ع4، 1986م.

رواس، عبد الفتاح: رموز وأساطير في الموروثات الشعبية، مجلة التراث العربي، دمشق، السنة 17، ع68، 1967 - 1968،.

ريد، هربرت: الشعر والحلم والأسطورة، ترجمة قاسم عبدو، مجلة آداب القاهرة، م12، 1961م .

زكي، أحمد كمال:

التفسير الأسطوري للشعر القديم، مجلة فصول، م1، ع3، إبريل، 1981م.

التشكيل الخرافي في شعرنا القديم، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، م5، 1977 – 1978م.

الزيتوني، عبد الغني: الجن أحوالهم في الشعر الجاهلي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع 1991،44م.

الساعاتي، سامية حسن: السحر والمجتمع، دراسة نظرية-ط1- بحث ميداني، مكتبة الإنجلو المصرية، 1998م.

سنجلاوي، إبراهيم موسى: الغول في التراث العربي القديم، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد السادس، ع1، 1988م.

السيد: عبد الحليم محمود، الثنوية في التفكير، مجلة عالم الفكر، م3، ع2، 1972-1973.

سيد كريم: تفسير الأحلام عند المصريين القدماء، مجلة الهلال، ع10، 1975.

عبد الرحمن، إبراهيم: التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، مجلة فصول، م1، ع3، إبريل، القاهرة، 1981م.

كاثمان، تسيبورا: التزاوج بين الإنس والجن في الأسطورة والقصة الشعبية، ترجمة محمود عباس، مجلة الشرق، الأعداد 1-4، السنة السادسة، حزيران – أيلول، 1975 م 1978م.

المخبل السعدي، حياته وما تبقى من شعره، دراسة وتحقيق، حاتم الضامن، مجلة المورد، م2، ع1، 1973م.

المعطاني، عبد الله سالم: قضايا الإبداع، قضية شياطين الشعراء وأثرها في النقد العربي، مجلة فصول م4، ع2، 1984م.

المناعي، مبروك: في صلة السحر بالشعر، مجلة فصول ع1 + 2، م1، 1991م

يوسف، شريف: السحر عند البابليين والمصريين والعرب قبل الإسلام، مجلة التراث الشعبي وزارة الثقافة والفنون في العراق السنة9، 1971م.

الرسائل الجامعية

صالح، محمود سمارة محمد: الجبل في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 1999م.

طه، طه غالب عبد الرحيم: صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 1424هـ-2003م.

عودة، خليل محمد حسين: الصورة الفنية في شعر ذي الرمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، مصر، 1987م.

أبو عون، أمل محمد عبد القادر: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، شعراء المعلقات نموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2003م.

القرعان، فايز عارف سليمان: الوشم والوشي في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1984م

قلعية، مي غالية: أسطورة التكوين البابلية دراسة مقارنة على ضوء اللغات السامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003.

النوتي، أحمد موسى: التشاؤم ومظاهره في الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، 1991م.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

THE JINN IN THE IGNORANTPOETRY

Prepared by
Haleemah Khaled Rasheed Saleh

Supervised by
Dr. Ihsan Al-Deek

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Arabic Language, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine

2005

THE JINN IN THE IGNORANTPOETRY
Prepared by
Haleemah Khaled Rasheed Saleh
Supervised by
Dr. Ihsan Al-Deek

Abstract

THIS research talks about the Jinn in the ignorant poetry. The significance of studying this research is clear in reveling some sides from the thought of the ignorant human who is considered a part from the thought of the old and modern Arabic human and about the similarity of basic legends for the people of the old world and its overlap in literature. In addition, it clarifies and illustrates the origin of these legends and fables and the ability of the ignorant poet in employing his imaginations and obsessions in his poetry. The nature of the research necessitated to divide it into introduction, six chapters and a conclusion.

In the **FIRST CHAPTER,** I talked about the Jinn in the old human and Arabic tradition. I reached that the Jinn has a high position and importance for these nations because they looked to it a look full with holiness, fear and desire, they attributed to it all things they noticed from natural phenomena, and what follow them from illness and other things in the absence of the divine and scientific law. The Jinn occupied a vital position on the levels of the Christian and Jewish religions; they attributed to it the fall affair and the results resulted from it as evils and discomforts.

In the second theme, I presented the ignorant Arabs' look for the Jinn and the things which they were practicing as slogans and rituals to get its consent and acceptance to be near to it and prevent its hurt. I

proved through it the link of intellectual, cultural and human communication among the different nations.

As regards to the **SECOND CHAPTER**, I specialized it to talk about the linguistic and conventional concept. On the other hand, I illustrated what they carry from the meanings of hiding which are supported with the opinions of many historians. Then I talked about the types of the Jinn and its levels. I noticed that its world is similar to the world of the human from its class and varied construction, and I talked about its forms and shapes which reflected that primitive naive mentality which made these illusions and claims.

As regards to **CHAPTER THREE**, I began it by talking about the relation of the Jinn with the human through what has mentioned in the ignorant poetry beginning with the conflict of the Jinn with the human and passing with utilizing the Jinn for the benefit of the human and the attempt of the ignorant human to be near from it by all means. Then I displayed the possibility of coupling between the Jinn and the human and the things which resulted from these relations from compound product. Then I moved to the role of the evils in the process of poetic innovation, in the magic and clergy.

In the **FOURTH CHAPTER**, I talked about the relation of the Jinn with the animal, and its taking for some animals as means to ride on them, then the possibility of forming the Jinn and its reincamation to the forms of some animals and what follow that from slogans and rituals such as startling and hanging the heel of the rabbit…etc.

Then I moved to talk in the **FIFTH CHAPTER** about the places in which the Jinn and ghouls are found, then I presented the desert effect in the self of the ignorant human and his mentality and the extent of reflecting this effect on his imaginations and obsessions which encouraged him to create these illusions and imagination these creatures.

I stood with its relation with dams, mountains and valleys, and the look of the Arabs for these places and what followed that from its holiness and fear from its penetrating, besides I illustrated the effect of the fables, legends, beliefs and the old religions in them.

With regards to **CHAPTER SIX**, I stood with the poetic image concept, then I moved to talk about the significance of the Jinn image in the ignorant poetry beginning with the mythology side and what follows it from religious affairs and proved the ability of the ignorant poet to get his subject from mythological, historian and religious origins. Then the social side through which I reached to the attempt of the ignorant poet to make varied and social relations with these creatures. Besides, I talked in the psychological side about the effect which the Jinn excited in the selves of the ignorant persons as fear, holiness and admiration. Then I presented in the conclusion the most important results to which the research reached.